كتاب اخبار دولة محمود بن ابي منصور
سبكتكين سبكتكين عرب ١٧

رمضان اولنك سكزنجي يوز
دفعه شوال اخرنك اوچ يوز
باقي اوچ بيك

رمضان اولنك يدي يوز

جلد اولى شرح البخاري
مذهب جلدوار مشكوك

كتاب اليميني

أخبار دولة الملك يمين الدولة

ابي القسم محمود بن ناصر الدولة ابي منصور سبكتكين ملك خراسان

للعتبي رحمه الله

محمد احمد عبد العزيز بن محمد العجمي الشافعي عفا الله عنهم

٢٩٤٩

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان
الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر واعتبر وتذكر حرره الحاج
[illegible] نوابه واوقر [illegible] الحمد شيخ زاده المفتش باوقاف
الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بفضلك

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد بعزته
الكريم بالآلاء العظيم بكبريائه القادر فلا يمانع والقاهر فلا ينازع
والعزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام والمليك الذي له الاقضية
والاحكام الذي تفرد بالبقا وتوحد بالعز والسنا واستاثر باحاسن
الاسما ودل على قدرته بخلق الارض والسما كان ولا مكان ولا زمان
ولا بنيان ولا ملك ولا انسان فاوجد المعدوم ابداعا واحدث ما لم يكن
انشا واختراعا جل وتعالى فيما خلق عن احتذا صورة واستدعا
مشورة وافتقار رسم ومثال وافتقار الى نظير وقياس واسند لا
في كل ما ابدع وصنع وفطر وقدر دليل على انه الواحد بلا شريك
والوزير والقادر بلا ظهير ونصير والعالم بلا تبصير وتذكير
والحكيم بلا روية وتفكير والحي الذي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير رفع السما عبرة للنظار وعلة للظلم و
الانوار وسببا للغيوث والامطار وحيوة للحروث والثمار ومعاشا
للوحوش والاطيار ووضع الارض مهادا للابدان وقرارا للحيوان وفراشا
للجنوب والمضاجع وبساطا للمكاسب والمنافع وذلولا لطلاب الرزق
وارباب البضايع واشخص الجبال اوتادا راسية واعلاما بادية وعيونا

جارية وانجاما للاجنة الاعلاق حاوية وجعل البحار مغايض
لفضول الانهار ومغاير لسيول الامطار ومراكب لرفاق التجار ومعابر
لمصالح الامصار ومناجح الاوطار تحوي من الدر والمرجان نباتا وتنبع
بين الملح الاجاج عذبا فراتا وتقذف للآكلين لحما طريا وتخرج للابسين
جواهر وحليا واستخلف على عمارة عالمه من انتجبهم من خلقه وانزلهم بالهامه
ودبرهم باوامره واحكامه وكان اعلم بهم من ملايكته حيث قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
قال اني اعلم ما لا تعلمون واقام عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد
ويحذرهم الفساد ويرجيهم الثواب وينذرهم العقاب ولم يقتصر
على ما اقامه به من الحجة واوضحه من المحجة حتى ابتعث الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين بالمعجزات الباهرة والدلالات الزاهرة
والبينات المتظاهرة داعين الى توحيده ونادبين لتسبيحه وتمجيده
فازاح بهم العلة وازال الشبهة وافاد سكون النفوس ونفى خلاج
الشكوك ولم يزل يستحدث من يشا من خليقته موسومين بسمة الانبيا
ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والامرا حتى انتهت نوبة
الخلق الى زمن النبي المصطفى الامين المجتبى الابطحي المرتضى محمد
صلى الله عليه وعلى اله فارسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله

باذنه وسراجا منيرا وجعل امته به افضل الامم وكلمتهم اعدل الكلم
وملتهم اوسط الملل وقبلتهم اسد القبل وسنتهم اقوم السنن وكتابهم
اشرف الكتب ووعدهم ان يكونوا يوم العدل والقضا الفصل شهدا على
من يظهر الجحود ويكفر الواحد المعبود قال الله تعالى جده وهو اصدق
القايلين واحكم الحاكمين وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فنسخت بشريعته الشرايع وبصبغته
الصنايع وبدليله الادلة وببدره الاقمار والاهلة واشرقت نبوته
مسداة بالخلاص ملحمة بالاخلاص معلمة بالتمام مطرزة بالدوام على
تعاقب الليالي والايام لم يفرط فيهما من شي يقتضي تماما ويستدعي روية
وكمالا قال تعالى جده اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا فاطلق على الدين لفظ الكمال لاستقامته على غاية
الاعتدال واستنابه عن عوارض النقص والاختلال الى ان قبضه الله جل ذكره
اليه مشكور السعي والاثر ممدوح النصر والظفر مرضي السمع والبصر
محمود العيان والخبر فاستخلف في امته الثقلين اللذين يحميان الاقدام
ان تزل والاحلام ان تضل والقلوب ان تمرض والشكوك ان تعترض فمن تمسك
بهما فقد امن العثار ونجا من النار ومن صدف عنهما فقد اسا الاختيار وركب
الخسار وارتدف الادبار اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت

تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى اله ما انبلج الليل
عن الصباح واقترن العز باطراف الرماح ونادى المنادي حي على الفلاح
صلاة تكافي حسن بلائه وتضاهي سابق عنايته وتقضي فرض طاعته
وتقتضي فضل شفاعته وسلم تسليما وبعد فان الدين والملك توام
فالدين اس والملك حارس فما لا حارس له فضايع وما لا اس له فمهدوم والسلطان
ظل الله سبحانه وتعالى في ارضه وخليفته على خلقه وامينه على رعاية
حقه به تتم السياسة وعليه يستقيم الخاصة والعامة وهيبته ترتفع
الحوادث والفتن وباياليه تنحسم المخاوف والمحن ولولاه لاختل النظام
وتساوى الخاص والعام وشمل الهرج والمرج وعم الاضطراب والهيج
واشرابت النفوس الى ما في طباعهما من التباغي والتباين والتفاضل
والتمايز حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا وينسيهم اودهم
يوما وغدا والى هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران اذا كان اكثر الناس يرون
ظاهر السياسات فيردعهم خوف المعاقبة وحذار المواخذة عن تنكب
الجدد والعدول عن السمت المقتصد ومن الناس من يستهدي الى كتاب الله
تعالى بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منها زماما يهديه الى الاصلح
ويثنيه عن الاقبح فيكون مودب نفسه ومقوم ذاته وراثض اخلاقه وعاداته

ومعنى حديث عمر رضي الله عنه منتزع من قوله جل ذكره لأنتم أشد رهبة
في صدورهم من الله ذلك بأنهم لا يفقهون فموضوع السيف للعامة ومجموع القرآن
للخاصة وإن كان الجميع في معانيه مشتركًا وبأوامره ونواهيه
مرتبطًا غير أن العامي يرى السيف فيرتدع والخاصي يرى الحق فيتبع
وشتان ما بين مدبر ومسخر بغيره ومؤدب ومهذب بنور رشده
وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد
فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب
إن الله قوي عزيز لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر
ظاهرها من المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جوار المشاكلة
والمجانسة وسألت عنه عدة من أعيان العلماء بالتفسير والمشهورين
من بينهم بالتذكير فلم أحصل منهم على جواب يزيح العلة ويشفي
الصدر ويشفي الغلة حتى أعملت التفكر وأمعنت التدبر فوجدت
الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد
ويفصل جمل الفرائض ويبرهن مصالح الأبدان والنفوس ويتضمن جوامع
الأحكام والحدود قد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي.
والتخاصم وأمر بالتناصف والتعادل في أقسام الأرزاق المخرجة

لهم بين رجع السماء وصدع الأرض ليكون ما يصل منها إلى أهل الخطاب
بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب واحتاجوا
في استدامة حياتهم بأقواتهم مع النصفة المندوب إليها إلى استعمال
آلة للعدل يقع بها التعامل ويتم معها التساوي والتعادل
فألهمهم الله اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه
لئلا يتظالموا بمخالفته فيهلكوا إذ لم ينتظم لهم عيش مع شروع
ظلم البعض منهم للبعض ويدل على هذا المعنى قوله جل ذكره والسماء
رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا
تخسروا الميزان وذلك أنه تعالى جعل السماء علة للأرزاق والأقوات
من أنواع الحبوب والنبات وكان ما يخرج عنها من أغذية العباد
ومرافق حياتهم مضطرًا إلى أن يكون اقتسامه بينهم على الإنصاف
دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك إلا بهذه الآلة المذكورة فنبه
الله على موقع الفائدة فيه والعائدة به بتكرير ذكره فكان
ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم إنه من المعلوم أن الحا مع
للأوامر الإلهية والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية إنما يحفظ
العالم على اتباعهما ويضطر العالم إلى التزام أحكامهما بالسيف
الذي هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد

وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعدة عذابه فهذا
السيف الذي وصفه الله بالباس الشديد يجمع بالقول الوجيز معاني
كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقوّمة المبادي
والمقاطع فظهر بهذا التاويل معنى الاية وبان ان السلطان خليفة الله
على خلقه وامينه على حقه بما قلّده من سيفه ومكّن له في ارضه واحق الولاة
بان يكون قريبا منها وعند الله كريما وجيها من كانت عنايته بنصرة الدين
وحماية بيضة الاسلام والمسلمين اوفر واوفى ومجاهدته لاعداء الله المارقين
عن شرايعه المارين دون حدوده وفرايضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله
اشرح للصدر واشفى ه وقد علم ابناء البدو والحضر واقناء المدر والوبر
من حيث مدّ الصباح جناحيه الى ان ضمّه الموقوع في افق الغروب ان راية
الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق يقينا واوسع علما واوفر
حلما واسدّ سيرة واخلص سريرة واتمّ وفاء واعمّ سخاء واوفر حياء واغنى
غناء واعظم قدرا وافخم ذكرا وامدّ باعا واشدّ امتناعا واجلّ
جلالة واكمل عدة والة وارفع ملكا وسلطانا واطوع انصارا واعوانا
وامضى سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه وانفى للشرك ومنتحليه
واعدى للباطل ومن يليه اكتسابا ووراثة وطباعا واستفادة من
الامير السيد الملك المؤيد يمين الدولة وامين الملة ابي القسم محمود بن ناصر الدين

ابي منصور سبكتكين اطال الله بقاءه ملك الشرق بجنبيه وصدر
العالم ويديه لانتظام الاقليم الرابع بما يليه من ثالث الاقاليم وخامسها
في حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة
في قبضة ملكه ومصير امرائها وذوي الالقاب الملوكية من عظمائها
تحت حمايته وحيازته واستذرائهم من افات الزمان بظل ولايته ورعايته
واذعان ملوك الارض بتقدمه لعزته وارتياعهم من فايض هيبته واحترا
على تقاذف الديار وتخاجز الانجاد والاغوار من فاجئ ركضته واستحنا
الهند والروم تحت جيوبها عند ذكره واستشعارهم لمهبّ الرياح من
ارضه وقد كان ادام الله دولته منذ لفظته المهد وجفاه الرضاع
وانحلت عن لسانه عقدة الكلام فاستغنى عن الاشارة بالافهام
مشغول اللسان بالذكر والقران مشغوف النفس بالسيف والسنان ممدود
الهمة الى معالي الامور معقود الامنية بسياسة الجمهور لعبه مع
الاتراب جدّ وجدّه مستكدّ بالم ما لا يعلم حتى يتلقّنه خبرا او جزن
لما جزن حتى يدمّثه قسرا وقهرا وكان الامير الماضي سبكتكين انار الله
برهانه يرى الدنيا بعينه ويسمع باذنه وينطق بلسانه ويستحلي
مذاق العيش به ويستطيب روح الهوا بقربه ويستفتح مغالق الامور
بيمنه ويستنجح عواقب الخطوب باسمه ولم يزل بين سحره ونحره الى ان استرله

رونق البلوغ وبصيرة الادراك عن حجره ولم يزل يتدرج بين الطاعة
وكفاية وولاية وانقطاعة من رتبة الى اخرى اعلى منهما مكانا وارفع
شانا الى ان ولى قيادة الجيوش والعساكر بخراسان وهى الرتبة التى
طال ما تناحر عليها كباش الرجال وقروم الابطال فلم تحظ بها
الا العدد اليسير الذين سار ذكرهم فى الافاق وتسامع بهم رجالات
خراسان والعراق سنا وقدرا ودهاء ونكراء ومهابة وحشمة ونباهة
ونعمة هذا على طراءة سنه ونضارة غصنه وعنفوان امره وريعان شبابه
وعمره اذ الجياد لخمس عشرة حجة ولداته اذ ذاك فى اشغال
فقعدت بهم هممهم وسمت به همم الملوك وسورة الابطال
وهلم جرا الى ان ملك خراسان باسرها وقد السنان عن اخرها وبلاد نيمروز
بحذافيرها وجبال الغور على حصانتها ودوخ السند فاستباحها وغزا
الملتان فاجتاحها وتوغل الهند غزوا على بعد منكبى اخراجها واذل
لقاحها وجاس مغانيها وربا عها وافتتح صياصيها وقلاعها واقام
عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد
والايمان فصارت اطفال الهند فى بطون امهاتها باقدامه وتفزع باقبال
الويته واعلامه وظل ارباهم وحيالهم وكمانهم وابطالهم
كما قال اشجع السلمى فى هرون الرشيد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحلام

حاز الله له من البسطة فى العلم والحلم والهيبة بالاسم والجسم والظفر
باحابيش الاعادى وتتابع بعز هصر النفوس على امثالها ونكاد
الارض ان تمور من اهوالها ما لم يسمع بمثله خبر لاحد من الملوك الاعز
اساطير الاولين ادبرها التطويل والتهويل والتعجيب والتغريب دون الحقيقة
التى يشهدها العيان ويقوم عليها البيان والبرهان فلو نشرت صحائف
الدول الاسلامية وايام الملة الحنيفية لكانت دولته غرة تلك الدول
ومساعيه فيها طراز تلك الحلل اذ لم يبق احد من سلف الملوك من غرر
المآثر وزهر المناقب والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه وابيه واثاره ومساعيه
ولما حاز الله له كرايم الخصال ووفاه طبع الكمال فى معانى الكمال
سياسة اردشير فى زمانه والمنصور فى سلطانه وهيبة
خشعت لها جنادب الليالى النابية وخمدت عليها عيون الاراقم العارمة
وعدل لا ضيم بين الضدين حتى ان النار الى الماء والف بين ذباب الطلس
والشاء فكفيت الانياب شبا الاظفار والقرون صلابة الاجواف
وكانت ايامه مشغولة بمرة السياسة عن ثمرة الرياسة وبغرض السيادة عن
نيل الاستفادة لطف الله تعالى له باولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث

الجواد بل السيوف البواتر بل العقبان الكواسر يقدمهم الأمير الأجل السيد
أبو سعيد مسعود بن يمين الدولة وأمين الملة أطال الله بقاه من لم تر عين اللاحظ
شخصا يوازيه فخامة وجلالا ووسامة وجمالا وسماحة وأفضالا وسعادة
وإقبالا وعلوما وآدابا ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا وأخلاقا
مرة وعذابا نعم وصرامة ومضاء وشجاعة وإباء ونجاحة وحباء ورجاحة
ونماء وسيادة وعلاء ونجابة ورياسة وجلالة ونفاسة وإيالة وسياسة
وإسامة وحراسة وفروسية وفراسة ثم زال تربيته في حضن الجد وبصنعه
في مضمار الأدب وبروضة بين الكتائب والكتب حتى تجافى حجاب الملك
منه عن شمس الأنام وبدر الظلام وبحر الكرام وليث الزحام وحد الحسام
وواسطة النظام وزبدة الليالي والأيام فاشرأبت إليه الآمال والهمم
وتباهت به الدواة والقلم لذلك يصنع لعباده في كل زمان ويلطف
لذوي العلوم في جنب كل سلطان ووافق ذلك وزارة الشيخ
الجليل شمس الكفاة أبي القسم أحمد بن الحسن من ذخره الله لزمان صادف
فترة من أحرار الرجال وأبناء الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم يصنع
شرواه في مضماره سماحة شيم ورجاحة كرم وسماحة كف وفصاحة
قلم وهمة ترى الدنيا هباء بين أحوالها الثائرة بل نقطة موهومة
من نقط الدائرة وغدت سدته ميقاتا للفضل وأهله وسوقا للأدب

ومستجلبه تجلب إليها بضاعات الفضائل من منظوم ومنثور ومختوم
ومنشور وقد صنفت طبقات الأدباء والكتاب تصانيف في ذكر أيامهم
وتصاريف أحوال الزمان بهم بحسب قوتهم في البيان وسهمتهم من بلاغة
الخاطر والبنان حتى أن أبا إسحق إبرهيم بن هلال الصابي عمل كتابه
المعروف بالتاجي في أخبار الديلم موشى بحبر الألفاظ الساحرة ومغشى
بحلل معانيه الزاهرة فحل عقد البيان بما قيده وبيض وجه البلاغة بما سوده
وأن تكن دولة تقتضي إثبات محاسنها بالتخليد وتقييد مآثرها للتأبيد
فهذه هي التي تقتضي الأدباء أن تخلد وتسفر بمعاليها كلامهم وتحلوا
بسحر مساعيها أقلامهم ولو أدركها الماضون من أرباب التصانيف لودوا
لو كانت ألفاظهم عن غيرها معزولة وإلى ذكر محاسنها منقولة ولحدثتهم
أنفسهم بأن يعتذروا اعتذار أبي نواس بقوله

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

وقد كنت أقدر أن بعض صنائع هذه الدولة ثمن له أحظى في الصناعة
وتوجه في طرق البلاغة والبراعة من يتاح لتقييد أخبارها فجمع
كتاب في تصاريف أحوالها وأطوارها من لدن قام الأمير الماضي أنار الله
برهانه أمير إلى أن أجلى أبا علي محمد بن محمد بن إبرهيم بن سيمجور عن خراسان

كسيرا وحصلا من بعد في يده اسيرا وولى امورها سياسة وتدبيرا
ومما قدر له في اثناء ذلك كله من اغاثة الامير الرضي ابي القسم نوح بن
منصور رحمة الله عليه ونصرته واستجابة ما لطف اليه من دعوته والمدافعة
عن بيته وخطته واستيفا ما فضل عن ذوبان الترك من ولايته وكفهم
بترغيبه وترهيبه عن اذالة حشمته واستباحة ما سلم عليهم من نعمته
محافظة على حقوق سلفه الاولى طالما صنعوا الصنايع واودعوا
الودايع وبثوا العوارف والرغايب وانفقوا الاموال والحرايب حتى
كسبوا المحامد وعرفوا للحرمات اقدارها وحفظوا على البيوتات
استارها وقضوا للنفوس المتقطعين اوطارها الى ان ورث السلطان
المويد يمين الدولة وامين الملة مكانه فخلفه في ترتيب الامور وتدبير
الجمهور وتالف الاخوة والاقارب واستمالة القلوب ببذل الرغايب
الى ان استقل به سرير الملك مطاعا وتناهضت ولاة الاطراف الى
بيعته سراعا فوجدتهم قد عولوا في معانيها على ما سار في اكناف
الحضر من اشعار الفارسية لازدحام شعرايها على بابه الرفيع بقصايدهم
التي قد عبروا بها في ديباجة الرودكي وصنعة الخسروي و
الدقيقي ولعمري انها كافية شافية ومن ورا الاشباع والاقناع ابية
ولكنها دواجن خراسان لا تعرف عن ديارها ارتحالا ولا تعرف غيره

اقطارها مجالا فاقتضاني حكم ما اسلفته في هذا البيت الرفيع
من خدمته وتعرفته ايام الامير الماضي قدس الله روحه من بركة اصطناع
ونعمه ان امنح اهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي
البيان يتخذونه سميرا على السهر وانيسا في المقام والسفر ويعرفون به
عجايب ايات الله تعالى في تبديل الابدال وتقليب الامور من حال الى حال
مبتديا بذكر الامير الماضي اكرم الله مآبه من حيث نشات بيعته وتفرعت
دوحته الى ان استعان به الامير ابو القسم نوح بن منصور برد الله مضجعه
في تلافي دولته والانتقام له من ابي علي محمد بن ابرهيم بن سيمجور
حين نزع يده من الفتوح الماثورة والمقامات المشهورة طاعته واستجره
نحى مسلمته عن دار اقامته لكفاية ما دهاه في امره وامر من طابقهم
من الترك على جفوته واطمعهم برسايله ووسايله في تورد مملكته
وما جرى على يده من الفتوح الماثورة والمقامات المشهورة وتبعا
ذلك بلواحقه من وقايع السلطان الاجل يمين الدولة وامين الملة في الهند
والترك وما اتيح له فيهما من النصر والفلج وما يتصل بها من اخبار
واخبار ولاة الاطراف في جواره والله ولي المعونة على درك المنشود
واصابة الغرض المقصود بمنه

ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمة الله عليه ورحمه الله

قد كان ذلك الامير قدس الله روحه في جبلته ابي النفس حمي الانف
جري القلب قوي البطش كريم الخيم رضي التدبير كبير الهمة كثير
الحكمة يتبين ذلك كله في خصاله وخلاله ومتصرفات عزايمه
واحواله وحكى لي ابو الحسين جعفر بن محمد الخازن انه كان ورد
بخارا ايام الامير السديد منصور بن نوح رحمة الله عليه في جملة ابي اسحق
بن البتكين المتولي صاحب جيوش خراسان وهو اذ ذاك حاجبه الكبير
ووجهه الغرير وعليه مدار اموره وبيديه مناظم شؤونه وعرفه
اركان تلك الدولة بشهامته وغنايه وصرامته ومضايه وتوسموا فيه
الارتفاع الى اليفاع حين صرف ابو اسحق الى غزنة واليا عليها
وسادا مسدا ابيه بها انصرف هو بانصرافه على جملته في زعامة رجاله
ومراعاة ما وراء بابه فلم يلبث ابو اسحق بعد مفارقته اياها ان قضى
نحبه وودع عمره ولم يبق من قرابته وبطانته من يصلح لمحله ومكانه
واضطرب العدد الذين هم من مواليه وموالي ابيه الى من يتولى زعامتهم
ويكفل بحسن الاياله خاصتهم وعامتهم فلم ينفكوا مختلفين في الاختيار
وساخطين غب الاختبار الى ان اجتمعت كلمتهم على تاميره واتفقت
اراوهم على الرضى بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه وتاخيره فماسحوه
بايمانهم طايعين وجعلوا القوة بايمانهم متبايعين مولى

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما
ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت ارض خزانته
وارتاعت النفوس لهيبته وتقلصت الاطماع بمعونته وكان من احدى فتوحه
ناحية بست وسبب ذلك ان بايتوز كان قد ملكها على طغان
احد الامرا كان بها غصبا واجلاه عنها حربا ونهبا فلجا هو الى الامير
الماضي رحمة الله عليه مستظهرا به ومستنفرا اياه عليه بمال يضمنه
وولا يرهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة
يلتزمها فلبى نداه وحقق بفضله رجاه وناهض خصمه بعظم جيوشه
حتى اناخ بباب بست وبرز بايتوز الى معسكره فتناوشا القتال كاشد
ما يكون نفحا بالصفاح وسفقا بالرماح واثخانا بالجراح فلما اضطرب
الفريقان والتفت حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب عسكره حملة
كشفتهم عن مقامهم واغصت شوارع البلد بهم وداركت عليهم الحملات من كل
اوب حتى جلوا عنها مفلولين وتفرقوا في متون الهضاب وبطون الاودية
والشعاب مخذولين واستقر طغان بها شاكرا احسانه ومظهرا
تحقق ما اوجب عليه ضمانه وبذل به رهنه ولسانه وهو يتلوى في ذلك
بتراين وعد واخلاف وتزحزح بين وفاق وخلاف حتى اذا حان حين
الاداء طالبه الامير بالوفاء واغلظ له في الاقتضاء لما راه من تخبط الاباء والالتواء

وهما على صخر اغاصة بعلمهما واتباعهما فحدثته تجربته الطبع
بالمنع ولم يرض بالقول حتى انتضى سيفه وضرب يد الامير ضربة اوسعت
جرحها فلما تبين غدره ضرب بيده الى سيفه وهي تشخب دما
فضرب منكبيه ضربة استمسك له منه وطلبه باخرى فحجز عنها اختلاط
الفريقين وهاب الامير الى رفقائه وغلمان داره يطردوا الغواة وحطهم
وتبييض تلك النواحي من سوادهم فلم يبلغ المغابر الا وبسط له صافية
واظهارها عن ذوي الخلاف خالية وتبعا ردولته حالة وامتد
باي توز وطغان الى نواحي كرمان وسجستان ولم يحلم احد منهما بان يلبث
وراه فضلا عن ان يتمنى بقاه وكان من جملة ما استفاده ذلك الامير
برد الله مضجعه من صفايا ذلك الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب
صاحب التجنيس رحمه الله فانه كان كاتبا لباي توز فلما انحسرت تلك
الكشف اعينته صحبته فتخلف عنه ودل الامير عليه فاستحضره ومناه
واعتمده لما كان قبل معتمدا له اذ كان محتاجا الى مثله في كالته وكفايته
ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته وحدثني ابو الفتح قال
لما استخلصني الامير الماضي واحلني محل الثقة الامين عنده في مهمات
شانه واسرار ديوانه وكان باي توز بعد حيا وحسادي يلوون السنتهم
بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي لما اشفقت لقرب العهد بالاختيار

من ان يعلق بقلبه شيء من تلك الاقوال ويتوطن عرض القبول بعض
تلك البلابل فحضرته ذات يوم وقلت ان همة مثلي من ارباب
هذه الصناعة لا تزيد الى اكثر مما راى الامير اهلا له من اختصاصه
واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات اسراره غير ان حداثة
عهدي بخدمة من كنت به موسوما واهتمام الامير بنفض ما بقي من سلطته
بقصبات اسنادنه في الاعتزال الى بعض اطراف مملكته ريثما
يستقر له هذا الامر في نصابه فيكون ما اليه من هذه الخدمة اسلم
من المتهمة واقرب الى السداد وابعد من كيد الحساد فارتاح لما سمعه
واوقعه من الاحماد موقعه واشار الى ناحية الرخج وحكمني في ارضها
اتبوا منها حيث اشا الى ان يقع الاستدعا فتوجهت نحوها فارغ البال
رافع العيش والحال سليم اللسان والقلم بعيد القلم من مخاطبات التهم
قال وكنت اذ لجت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع او موسم لا
امامي فلما اصبحت نزلت فصليت وسبحت فدعوت ودعوت للركوب
ففتح ضيا الشروق طرفي على قرية ذات بهجة محفوفة بالخضر مفروشة
بالنور والزهر واما بها ارض كانها مفروشة ببساط من الزبرجد
منجد بالدر والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان تنساب بها الانهار كتطوف
الحيات في صفا ما الحياة وقد فغمني من نسيم هواها عرف المسك المسحوق

والعيش المهنوء فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان وفزعت
الى كتاب ادب كنت استصحبته لاخذ الفال على المقام او الارتحال
ففتحت اول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو

وإذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوز

فقلت هذا والله الوحي الناطق والفال الصادق وتقدمت بعطف صبيتي
اليها وعشت ستة اشهر بها في انعم عيش وارخاه واهنا شرب وامراه
الى ان اتاني كتاب الامير في استدعائي الى حضرته بتبجيل وتأميل
وترتيب وترحيب فنهضت اليها وحظيت بما حظيت به منها الى يومي هذا
وكان اختياره ذلك احد ما استدل به ذلك الامير على رأيه ورزانته
ودرجه به الى محله ومكانته وصار من بعد ينظم باقلامه منثور الآثار
عن حسامه وينسج بعباراته وشايع فتوحه ومقاماته وهلم جرا الى
زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة فقد كتب له عدة فتوح الى ان
زحزحه القضاء عن خدمته ونبذه الى ديار الترك عن غير قصده وارادته
فمات بها غريبا ولم يجد من مساعدة الزمان نصيبا ولما استتبت للامير
تلك النواحي واستقرت على شعار دعوته الاقاصي والاداني وصفت
له اشوابها ودرت عليه اخلافها استخلف عليها من اختاره من ثقاته
وخواصه وكانت بلاد قصدار قد وقعت من ورا بيضته ومرد عليها واليها

لحصانة اطرافها ونواحيها وخشونة مصاعدها ومهابطها وظن
ان بعد الشقة وحزونة المضرب وضيقة المدخل ووعورة المتغلغل
مانعته من الدمور عليه وقاطعته دون الوصول اليه فلم يرعه الا صيحة
الغارة واحداق الخيول به كالخط في الاستدارة فقد طوى الامير
اليه تلك الطرق القاصية والقلل المتناصية في ركضة لم ينل منها جفنه
غرارا ولا خيله جماما الا لماما فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه
فاخذه اخذ المقتنص شاته عجلان يشوبها النوم تركه فكان كما قيل
اذا خرس الفحل وسط الحجور فصاح الكلاب وعق الولد
ثم رأى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان بيديه فاطلقه تطولا وانعاما
واعاده الى مكانه احسانا وامتنانا ووافقه على مال يعجله واخر
في كل سنة يحمله فعمرت باسمه تلك المنابر واشترك في العلم بحاله
الوارد والصادر والغائب والحاضر ولم يزل بعد ذلك يدارك
الركض على اطراف الهند غازيا او مجاهدا حتى افتتح قلاعا
كانت مرتفعة في جبالها مطمعة باموالها ممتنعة برجالها وحماتها
كلها في يده ونظم خزائنها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود
حتى افتتح بلادا لم يسكنها قبل الا كافر ولم يطأها الا للاسلام
خف ولا حافر وحين علم جيبال الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة

قرارا ولا غمضه

مملكه ويتبض من اطراف ولايته ويلصق الهون والخسار بمن يحامى عن
حوزته اخذه المقيم والمقعد وملكه المزعج والمكمد ورأى الارض
قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه وعشيرته واعيان جيوشه وعساكره
وما خف من ثقال فيلته يريد الانتقام منه ويوطى عرصة الاسلام واستباحة
حلته الحرام يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون وسار كما هو حتى جاوز لمغان دايامن
ولاية ذلك الامير دنو الواثق بطوله الساكن الى قوته وحوله وقد باض
الشيطان في راسه وفرخ وشوى السودا في دماغه وطبخ فهو يظن
الظنون ويعد في حساب الحسبان ما ان يكونه ولما سمع الامير
بتورده وتغلبه استعد لمناهضته وجمع اولياه على محاجزته واستجاش
من مطوعة الاسلام من وجب استجاشتهم لمناصبته وكف باسه ومعرته
وبرز من غزنة متوجها نحوه وقاصدا قصده بنية في الجهاد قوية
وحمية للاسلام ابية ووافقه في رجال كقطع الليل او دفع السيل
ومعه السلطان يمين الدوله وامين المله كالليث الخادر والعقاب
الكاسر والموت الكاشر لا يوم صعبا الا ذلله ولا يروم عقدا الا حلله
ولا يزحم منكبا الا حطمه ولا يصاول قرنا الا اباح دمه ونشبت
الحرب بينهما اياما ولاوا وادير عليهم كووس الطعن والضرب ملا حتى

١٧

الفريقان من سورة الطعان وبعزب تلك المعارك تماملي الكفار
عقبة تعرف بعقبة غورك تخفض عنها طرف العقاب وتعسكر
دونها جيش السحاب ذات مهاو ومشارف ومثاني ومعاطف
وفي بعض اوهادها شريعة ما كالشريعة الحنيفية في الطهارة
لا تقبل قذرا ولا تحمل غثا ولا عثرا فان القي شي من القاذورات
فيه اكفهرت له السما واختلفت النكبا واظلمت الشواهق
والاعماق وغصت بالزمهرير الافاق حتى يرى الموت الاحمر عيانا
والعذاب الاكبر حقيقة وبيانا فعندها امر الامير بالقا بعض ربا
من النجاسات تعمدا فقامت القيامة على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم
الصواعق والقوارع واحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السما
عليهم سرادق البرد والخصر واثارت زوابع الاعصار والقر حتى
عميت عليهم المذاهب والمهارب وانسدت دونهم المسارى والمسارب
فاستسلموا لفرط الهول والهول وشهدوا بانه قد شاهدوا الموت قبل
الاجل وارسل جيبال يطلب الصلح ويستكف الحرب على مال يوديه وحكم
لذلك الامير في فيلته ومملكته يمضيه فهم الامير باجابته الى ملتمسه
اشفاقا على اوليايه او لصواب عن له في رايه فنهر السلطان يمين الدوله
وامين المله اوليك الرسل لهم وابى ان يكون فصل الحرب الا عنوة وقهرا

حمية للاسلام والمسلمين وثقة بالله رب العالمين فانصرفوا بما عرفوا
من صورة الحال وضيق المجال فاضطر جيبال لما عناه من الحيلة
في امره الى اعادتهم في طلب المكافة خاشعا والتماس الموادعة
طايعا ضارعا وكانت زبدة كلامه انكم قد عرفتم حمية الهند
واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق محذور وحزبهم حازب مكروه
فان يكن اباؤكم عن الصلح طمعا في الغنيمة والنخ والفيلة والسبي
فما هو الا ان عزم بمنطيه في استهلاك الاموال وسمل الافيال وعرض
الغلمان على النيران ومشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب
وظبات السيوف ثم شانكم وما يبقى من جماد ورماد وموات ورفات
فلما سمع الامير ذلك من كلامه واحس بصدوقه فيما هم به عند باسه
من مرامه راى حظ الدين وارباب الدين في موادعته واستنزاله عن ماله
وعدته ان يخرج من تخليته وما اختاره من التقاطع بالسيوف والتهافت
في الوقود فوافق السلطان يمين الدولة وامين الملة على كف يد الارهاق
عنه على الف الف درهم شاهية وخمسين راسا من الفيلة ضمنها نقدا
وعلى عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته كان اشترطها عليه يسلمها
الى من يتسلمها من جهته بعد ان بعث اليه برهاين من عشيرته واعزته
على الوفا بما ضمنه والانجاز بما بعده وقبض المال والفيلة نقدا

ووافقه على البلاد المذكورة وعددا ارسلهم معه بمسالته وحاجته
دليلين يعدلان به عن المعتسف ويقفان به على القصد في المنصرف
وبعث معه بعده من ثقاته ليتسلم الاماكن المشروطة منه فلما اوغل
به المسير وراى انه قد خف عنه الطلب واسترخى به اللبب حدثته
خبث الضمير بالاخلاف واركسه عجز الراي في استيناف الخلاف
واعتقل من كان في صحبته بدلا عمن رهنهم من عشيرته وقدر
الامير ان الذي بلغه من امره ارجاف يردفه خلاف وباطل يلبس
له حامل الى ان شامرت به الانباء فبرح الخفا وانكشف الغطا
وعلم ان الله قد طبع على قلبه وحال بينه وبين رشده ليحيق به وبال
امره ويحق عليه مال كفره وشحذ عزيمته لغزو بلاده وتخليصها
عن خبث خبثه والحاده ونهض في الكماة من غلمانه والحماة من رفقا به
واعوانه متوكلا على الله وحده ومستنجزا في النصر وعده
وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبرز له بادر من اعوان جيبال
وجيوشه الا اوسعهم طعنا واستلحمهم ضربا وطعنا وقصد لمغان
وهي كورة بحصانة الاطراف وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها
عنوة واقتدارا واضرم بعضها على الكفار نارا وهدم بيوت الاصنام
واقام فيها شعار الاسلام ومضى عنها متنابعا يفتح البلاد ويقتل الارجاس

والاوغاد حتى اذل المشركين وشفى صدور قوم مؤمنين ولما بارى على الغاية
في النكاية واربى على قدر الامكان في الاثخان وقرر دين يده وابدى
اوليائه بما يقر الحسد والعدى كرائم الامال وغنائم تلك البلاد
عطف الاعنة وراءه حميد الظفر كريم الورد والصدر وتطايرت كتبه
الى الافاق بذكر ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك الناس خاصة وعامة
في الارتياح له والاستراح لموقعه والشكر لله على ما اتاحه فيه من صنعه
ولما راى جيبال ما قد دهاه جزاء عما نقضه فيه من عهده ونكثه من مرائر
عقده وراى وجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعم النسور الجوامع
سقط في يده وفت في عضده ونالته منه الندامة وقامت عليه القيامة
وبقي زمانا مبهوتا على حاله لا يعرف الراي في ظهر اداره او في وجه
اقباله ثم حركته الانفة لاستيناف المناجزة طلبا للثار وطمعا
في الانتصار ففكر ودبر واقبل وادبر ثم عزم وقرر ونادى فحشر
وثار في زهاء الف او يزيدون وبلغ الامير خبره فقابل اقباله بالاستقبال
وحرض المومنين على القتال وسار بقلب منشرح وامل منفسح حتى اذا دنت
الخطى بين الفريقين فرع الامير ثنية مشرفة على سواد الكفرة كاذ النمل
محشورا او الجراد منشورا فراعه منهم ما يروع الذباب من سوام النعم
والليوث الجياع من هوامي الغنم وحث اولياء الله على الكفرة الغلف فاجابوه

سراعا بقلوب محشوة بالدين مملوة من صدق اليقين وتقدم اليهم
بان يتناوبوا الحملات بينهم في كل حملة خمس مائة غلام من رماة الحدق
يتقرعون عن الرشق الى المشق ويتعاورون على الرض والدق حتى
اذا ابلوا عذرهم في الجهاد انتقض من يوقف لهم اولياء مثل عددهم الى مقاماتهم
لاراحتهم واجمامهم وخلافتهم على مثل شأنهم ففعلوا ما امروا واخذوا
بما رسم فلم تزل هذه حالهم حتى استغاث الملاعين من وقع النبال وحر
القراع والنضال وهموا بان يجعلوها حملة واحدة تزحزح الاقدام
وتقتلع الجيش اللهام فعندها حمي الوطيس واختلف المرؤوس والرئيس
وتداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف واختلفت الضربات
من واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام وثارت عجاجة غبرا
سترت العيون عن الاشباح فلم تعرف الصفاح من الرماح ولا الرجال
من الافيال ولا الابرار من الفجار ثم انجلت عن هزيمة الانجاس الارجاس
والاسلام عدتهم وعتادهم واسلحتهم وازوادهم وفيلتهم وكراعهم
وقد غصت البيد بالجيف فلاهم من حرج بحد الحسام وطرح
من هول ذلك المقام سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله
تبديلا ولو ان الهند بعد ذلك اذنابها على رؤوسها ورضوا بان يسلموا
من حر الطلب في اقاصي ديارهم وصفت تلك النواحي لذلك الامير

عليه الاموال والخلع واعقد الجنايات وحصل لهم من وجوه الغنايم
وغيرها ما لينا راس من النبلة الحربية وكثف سواد جيوشه ودانت له
الافغانية والخلج فمن سنا استنادا منهم الالاف في خدمته وامتهان
الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته وعند ذلك واوجب
اغاثة الامير ابا القسم نوح بن منصور والي خراسان واعانته على جيوش
الترك الذين اجلوه عن دار ملكه بخارا او ازحموه عن وطنه بها
حتى تزودهم واضطرتهم الى الانهزام وراهم كرما لم ينبسط له غيرهم
من اوليا تلك الدولة واشار تلك النعمة لاجرم ان ابقه حازله جماله وذكره
وذكره وقصر عليه سناه وقدره وجعل كدحه سببا لاستباق الملك
الى ولده وتوطية لبقا العز في عقبه وذلك فضل الله يوتيه من يشا
والله ذو الفضل العظيم ه ذكر الاسباب التي اطمعت الترك في ولاية
الامير ابي القسم نوح بن منصور رحمه الله ووسط ما بحكمه
قد كان انتقل الملك اليه في شهور سنه اربع وستين وثلثمايه واجتمع
اولياوه وحشمه على بيعته بعد اموال عظيمة اطلقت وعشرينيات فرقت
حتى تبدد شمل الاموال التي كان وزرا السامانية من قبل يكدحون لها
وبدا بين جمعها كابي الفضل البلعمي وابي جعفر العتبي ومن كان
ينصب منصبهما في الوزارة وتدبير امور المملكة وكان ابو الحسن محمد بن ابراهيم

بن سيمجور اذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور فتلطف لابدا الرضا
به وعقد البيعة له على صغره وحداثة سنه وضوعفت له الصلات
المطلقة لاماثل من اركان الدولة حتى لانت عريكته ونمت
بيعته وفوضت الوزارة الى ابي الحسن العتبي رحمه الله فقام على ميعة
شبابه بالامر قيام الحدب المشفق وكفله بمناصحته كفالة المويد
بالنصر والتوفيق حتى استقامت بحسن تدبيره الامور وانشرحت الصدور
وانسدت الثغور واستطارت هيبة تلك الدولة شرقا وغربا وبعدا
وقربا وكان الامير عضد الدولة وتاج الملة على جلالة قدره ونباهة
ذكره ومناعة جانبه وخشونة حده يتوخى رضاه فيما يحتكم عليه به
من المطالب ويخفض بلاينه وربما اخذته العزة باللجاج فيذكر ما وراه
من الادوات المعضلة والامور المستعجلة فتسمح قرونته ويذل صعبه
وحرونه وحدثني احمد الخوارزمي وكان من جملة خاصته مندوبا
لحمل الرسوم التي كانت معلومة من جهته كل سنه الى بيت الله الحرام
ومجاوريه وسكان مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى اله وتفرقتها
فيهم ووضعها مواضعها منهم قال دخلت عليه ذات يوم منحدرا من
خراسان فسالني على رسمه عن حال ذلك الشيخ في سلامته واستقامة
الامور في ضمن كفالته ثم قال لما استدعاه واعظم لما بدا له فعرضت بذكره كان

سلمها الى بتحصيل ما رسم لي حمله من ديار العراق وفي جملتها الف ثوب
مستعملة مطرزة الاطراز بالامير السيد الملك المنصور ولي النعم ابي القسم
نوح بن منصور مولى امير المومنين وخمس مائة ثوب مطرزة بالشيخ الجليل
السيد ابي الحسين عبيد الله بن احمد ومثلها معلمة بالحاجب الجليل ابي العباس
تاش فلما تامل النسخة واحاط بها علما ملكته نخوة الملك واستفزته حمية
العز وطار بها الغضب كل مطار فالتفت الي وقال في الجواب ان ابن العتبي
لو اغتنم سلامة ما يليه وتفرد بالتدبير فيه لكان اولى به واعود عليه وعلى
صاحبه مما يسومني بهذا الاحتكام واشار الى غيره ان اجعل سواحل
جيحون قبل عودك من وجهك مرابط الجحافل ومراكز القنا والقنابل
فقمت من مكاني متخاذل القوى عن جوابه متهافت الاركان خوفا من
عقابه واخذت اجر رجلي على الارض حذرا الباس على اعين الناس
الى ان ركبت على الرسم وانصرفت الى المناخ فلما ازف ارتحال
الحجيج اتاني رسوله فبادرت اليه واقمت رسم الخدمة بين يديه
فزادني على المعهود بشرا خصيبا وبرا وترحيبا وقال قد امرنا في
معنى تلك التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه
وخلافا على خلاف وفاقه فتنجز العمل به لتصادف عودك من وجهك فراغ
الصناع منه وزوال الشغل به قال فاستعملت جميع تلك الثياب بالطرز

المذكورة وحملتها في صحبتي الى بخارا مشفوعة بالنجاح في ساير
ما رسم لي تحصيله وتجهيزه وقد اكثر الشعراء من اهل العصر في وصف
محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي رحمه الله لا سيما الامير ابو طالب
المأموني فانه سير في مدحه قصايد منها قوله من قصيدة يمدحه بها

هذي عزايم عتبي تفرق ما بين الجماجم والاعناق ان عتبا
ذو همة مل صدر الدهر لو برزت من صدره لم يسعها الارض مضطربا
اذا انتضى للندى او للردى قلما اجرى به سحبا او جحفلا لجبا
يستحي الصعيد صعادا والندى ندى اذا انهل للمعروف او نطبا

وقوله فيه من اخرى

كتايب منصورية ملكية ابى السيف فيها ان يرى الغمد مضجعا
يوبدها عتبي عزم مويد بحزم يجلي خلفه البيض طلعا
اذا امر الشيخ الجليل سيوفها هوت سجدا في الدارعين وركعا
يعودها وجه الخلافة ابيضا بابيض من ابنا عتبة اروعا

ومن ذلك قول اللحام فيه

واعتب الدهر اذ عاتبته بفتى من ال عتبة نفاع وضرار
كانما جاره في كل نايبة جار الاراقم في ايام ذي قار
يجري المكارم في الاولى بنعم فالناس في جنة منه وفي نار

ومن ذلك قول ابي الحسين العلوي الوصي فيه

كانما الدهر تاج وهو درته والملك كف وهو خاتمه

والمجد والبر والاعلام اجمعها والخلق والفلك الدوار خادمه

وقلد ابو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي امور الباب وزعامة الحجاب
والسفارة بين اولياء السلطان وحشمه وفي تنجز حاجاتهم واستطلاق
اطماعهم وعشر بيناتهم واستزادة مراتبهم وولاياتهم حتى خفقت
النفوس بمحبته وتعلقت الاهواء بزعامته وفتح ابو الحسين عليه ابواب
المنالات ووجوه الاصابات حتى كثر وفره وظهر امره واشتد
بالاستظهار ظهره وكان ابو العباس تاش من جملة فتيان ابي جعفر
العتبي رحمه الله ملك يمينه اهداه الى الامير السديد ابي صالح ايثارا
له بخدمته على نفسه لكيسه وذكائه ورضى شمائله والخايل فاستتم
ابو الحسين العتبي الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه به والاشادة
بضبعه وباعه وتدرجه الى المحل الذي توسمه في قوته واضلاعه
وجرت امور ذلك الباب بتعاضدها على المناصح وترافدها على ارتهان
المصالح على احسن الوجوه هيبة وجمالا وهيبة وجلالا واستقامة
واعتدالا ونفاذا للامور يمينا وشمالا واستخص ابو الحسين فايق
لطول خدمته كان للامير السديد وحظوته عنده

١٧

واختصاصه بعنايته واشتراكه في وصايته وكان شريكهما في التدبير
وصيانة هيبة السرير وامر امراء الجيش بخراسان على ابي الحسن محمد بن ابرهيم
بن سيمجور فتفرد كل منهم بحماية الملك وسد الثغور وسياسة الجمهور
وحصد النواجم الشرور الى ان بدت كمامها شقوق وجيوبها خروق
وكان من ذلك امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد كان استنصر الامير السديد
على طاهر بن الحسين فرهبه وخليفته على اعمالها بعد انقفاله من حج بيت
الله الحرام وذلك في شهور سنة اربع وخمسين وثلثمايه لتمكنه كان في الولاية
واستظهاره بالمال والعدة واستمالة قلوب الاجناد والرعايا من
اهل تلك الخطة فاحسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته ومؤونته
وامده بمن استمده من كماة الجيوش لرده الى بيته وتقرير مملكته
في يده فانحاز طاهر حين احس بالمدد وكثرة العدد الى اسفزار
حتى فرخلف قراره ووضع عنه اصاره وصرف عن ظهر الاستقلال اعوانه
وانصاره ثم كر عليه كرة اجلته عن داره وطرحته الى باذغيس
فيمن نادى بشعاره فعاد الى حضرة الامير السديد مستنصرا ثانيا وضارعا
الى غوثه بانجادها فاحسن لقياه واكرم مثواه واعاد تعبية
اجناده وكثف بالخيول سواده ورده بهم الى سجستان فوافق
وصوله الهامة طاهر لسبيله واستقلال ابنه الحسين منصبه ودولته

في الخلاف مذهبه فخاصره خلف فيها مناصبا له الحرب مغاديا
ومراوحا ومماصعا ومكاوحا حتى كثر القتلى بين الفريقين
وطالت يد الاستظهار على اصحاب الحسين فعندها لجأ الى اختيار استمداد
عزيمة الخلاف وتلطفا للاستقالة والاستعطاف ومظهرا للطاعة
في وفادة الحضرة ومباشرة تراب الخدمة متى صادف ازمان ضيق
الخناق وفكاكا من شدة الارهاق فاحسن ذلك الامير اجابته وقابل
بالقبول انابته وسهل الى ورود الحضرة سبيله وحقق بالاحسان
والافضال تاميله واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد وطالت
عليها ايامه وطارت فيها اوامره واحكامه وانبسطت بالعز يده
وباعه وتموجت بذخائر الاموال رباعه وقلاعه واستطعت
عن اختيار امور خدمته وطاعته واعتنائه بالموافقة ومقابلة
حق الاصطناع بواجبه وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة
اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده
فجرد عند ذلك الحسين بن طاهر لمناهضته في جمهور خراسان ومشاهير
رجالها وسائر ابطالها فحصره في قلعة ارك وادار عليه الحرب
زمانا طويلا فلم يغن فتيلا ولم يجد الى الافتتاح سبيلا وجعل ابو الحسين
العتبي يمده عددا على عدد وصفدا الى صفد وكان من جملة القواد

بها كيناش وبكتاش واخوه الحسن بن ملك واضرابهم من انياب تلك
الدولة ووجوه انشابها ورجوم سمائها فطال هناك ثواؤهم
وقصر عن المراد عناؤهم لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة اغلاقه
وسدوده واعيا الخندق المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا
وعلى الراجل ان يقطعه خوضا ولا ارصاد خلف ايام يبنون من الحيل
بنقل اسبابها بالظن والحسبان ابهاما للبيان واطلاعا من ملون
الجهات وقذفا بحرب الافاعي عن افواه المجانيق والعرادات
حتى يضطروا بذلك الى الارتحال والتنقل في المضارب والمحال
وبقوا هناك قرابة سبع سنين على هذه الجملة حتى فنيت الرجال
ونزفت الاموال وذهبت الخزائن وعطبت المطايا والركاب وكانت
هذه من اوائل الوهن على تلك الدولة ومن هناك وهى العقد وانشق
السلك وتزايد الفتق واتسع الخرق ولكل امر امد ولكل امة اجل
ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وتذاكر
اركان تلك الدولة فيما بين هذه الحال لزوم صاحب الجيش ابي الحسن
مكانه من نيسابور كلا على صاحبه لا يناهض خصما ولا يفتح سدا
ولا يحسن ردا ولا يغني في مصالح الدولة يدا وتناصلوا بينهم ما كان
الامير السديد يضطغنه عليه لا لبزانه بالمكان وجموده عن نصرة السلطان

وبثوا اداهم على صرفه والاستبدال به ثم كوتب بالصرف وقلد
ابو العباس تاش ما كان يليه من الامر فلما ورد الرسول عليه وادى ما تحمله
على رؤس الاشهاد ابت عليه الحمية خطة الهوان ولقنته الانفة
كلمة العصيان وطارت نعرة الخلاف في راسه فادعى الامر
لنفسه اتكالا على فرط قوته وباسه واعتزازا باولاده واعضاده
واستظهارا بجيوشه واجناده ثم تبين التدبير وخمر الراي و
التفكير فلم يرض بان تتناقل الالسنة ذكر استعصائه على شيخوخته
في الدولة وتناهي مدته في الخدمة وتصور ما يتبع الخلاف من
ركوب المصاعب التي تسلب النفوس حمامها والعيون منامها و
الاحوال المذخورة نظامها الى ما فيه من التعرض لمكروه النوائب والتحكك
بمحذور العواقب فراى ان قبول الضيم على السلامة من لواحق هذه
الافات اقرب الى الصواب وابعد من المعاب ودعا الرسول فاستقاله
عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مشفوعا بشرط الخشوع
والضراعة وقال انما انا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها بماء رفده
فله المشيئة في استبقائها للاثمار واقتلاعها والقائها على النار
وصرفه على جملة الطاعة ولين المقادة والبدار الى حيث
تخلى له من ديار المملكة وتلطف لتسكين من كان

من كان يعتمل في ذروته من اتباعه واوليائه بتسويله واغوائه فعل
من استشف ببصيرته استار المعايب وانفق عمره في تجارات التجارب
ونهض الى قهستان منتظرا ما يستانف به امره ويتقرر عليه تدبيره
الى ان رمى به في نحر خلف بن احمد لاعضال دائه وتحيير العساكر
طول ايامها بعنائه فبادر الى سجستان وبينه وبين خلف مودة واسباب
على الايام موكدة فاستحث الراي عليه بالنزول للحسين بن طاهر
عن محصنه والاشتغال الى غيره من معاقله ليتسبب هو ومن كان من
قبل بحد قابه من اولياء تلك الدولة الى الانصراف عن جنابه بعلة الانثنا
وظاهر النجاح فاذا خلا وجهه له ثنى العنان اليه مستصفيا نفسه ومصيبا
حكمه فيه فقبل مشورته وفارق اركه الى حصار الطاق حتى دخلها
ابو الحسين بن سيمجور وصلى الجمعة بها مقيما رسم الخطبة للامير الرضي
رحمه الله وطالعه بذكر ما فتح الله على يده وسناه من نتاج ذلك
الامر بجده وجهده ورتب الحسين بها اميرا وقرر اعمالها عليه
تقريرا وانصرف هو وراه وسيورد ما اجرى في امره من بعد في موضع مثله

ذكر حسام الدولة ابي العباس تاش وانتقال السالارية اليه

ثم سير ابو العباس تاش من بخارا الى نيسابور على قيادة الجيوش
وزعامة العساكر وتدبير الاقاصي والاداني من امور الممالك وصل

جناحه بثبات الخاصة ونصر بن طرا الشرابي وبني ملك على فخامة
اخطارهم وجلالة اقدارهم وسيرت تحت رايته اعيان الاولياء والحشم
بعد ان ازيحت علته بها تسافا واقترح من الاموال والاسلحة والعتاد
والعدة فوردها سنة احدى وسبعين وثلثمائة في اليد راعت
الابصار وهيبة اعجبت النظار وجيوش شحنت الجوانب والاقطار
فدبر الامور بصرامته ونظم المسعود بفرط حزامته ونال الجمهور برفق
سياسته وزعامته ووافق تلك الايام انقطاع شمس المعالي قابوس
بن وشمكير وفخر الدولة علي بن ركن الدولة بويه الى نيسابور عن حرب
جرت بينهما وبين مويد الدولة بويه وسببها ان عضد الدولة ابا شجاع
كان قصد فخر الدولة وهو اخوه لاخلاله بعهود لاخيه التي كان ابوه ركن
الدولة اوصى بها اليه وعقد الوثيقة على كل منهما على الجملة التي
اشار اليها ابو اسحق الصابي في كتابه المعروف بالتاجي ودس الى
اهل عسكره من استمالهم عنه واغراهم به فلما ناهضه وهو اذ ذاك
بهمذان وبدا الخلل شيئا خف معظم جيوشه الى عضد الدولة
مستامنين ودلوه اعقاب العذر بهما رين فلما انس خذلانهم اياه وتنكرهم
نعماه وبالامس ما قد راى ان عمه بختيار كيف قطع رحمه واريق دمه خالفهم
الى طرق الديلم هاربا على وجهه وناجيا بحشاشة نفسه ومنقلبا

بركوب شعابها المضطربة واكامها الاشبة متحاذرة من مس
الطلب وركض الاكراد والعرب وتوغل تلك البلاد طاويا مسافتها
الى جرجان حتى الم بشمس المعالي قابوس بن وشمكير لاجيا اليه
ومستامنا اياه فامنه واواه ومهد له ذراه واعطاه فوق ما تمناه
واشركه فيما ملكت يداه حتى جعل الملك وهو العلق الذي طال
ما ضنت النفوس بابتذاله وقاية له دون من هم باغتياله وسعى في استفساد
حاله وبيان ذلك ان عضد الدولة ومويدها ارسلا اليه يستردانه
على شرط اموال تحمل اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في يديه
وعلى مواثيق يستانفان في التعاقد على الصفا والتعاون في حالتي السرا
والضرا فرجع اليهما ان الاستجارة رحم والوفا كرم وان الامان عنده
حرمة لا يرى اخفارها في دين المروة وشرط الحفاظ والفتوة
وعساه لو هم به او كاد ان ياتي عليه بيض المواضي وزرق الاسنة من
العوالي فاحفظهما هذا الجواب وحرضهما على مكافحته واستصفا
مملكته وكتب ابو شجاع الى اخيه مويد الدولة بمناهضته بعد ان امده
بما فوق الحاجة من بهم الرجال ونفايس الاموال فبرز من الري متوجها
نحو جرجان في جيوش الديلم والترك والعرب وسار الى استراباذ متغلبا
على ما بردة من طبرستان الى ان اناخ بها وكان شمس المعالي قابوس بادره

اليها وجمع عسكره بها فلما تلاقيا تناوشا الحرب من لدن طلوع
الشمس الى الزوال حتى احمر بساط الارض من دما الابطال ثم
انجلت على عسكر الجبل كشفة اعياهم ضبطها لزوال الاقدام
عن المقام فتفرقت جموعهم في خمر الغياض والاجام وعطف
شمس المعالي الى بعض قلاعه المشحونه بذخاير امواله واستظهر عنها
بالاهبة للغربة وسار نحو نيسابور فلما اوردها لحق به فخر الدوله
من طريق اسفراذ فالتقيا هنالك واجتمع الهمان فرقتهم الشقة
في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتب الى الامير ابي القسم نوح
بن منصور والي خراسان يخاطبه في الانقطاع الى دولته وتامل الاستظهار
بعونه ونصرته وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات بيمن دعوته
فورد عليهما من الجواب الضامن للايجاب ما شرح صدورهما وشد بالنجح
القريب ظهورهما وكتب الى ابي العباس تاش باجلال محلهما واكبار
قدرهما واكرام جوارهما وتقديم الاحتشاد لردهما الى ديارهما ففعل
ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم وعطفت اليه اعنة الخيول
من كل وجه حتى استظهر بنخب الرجال وعزم على الارتحال والنهوض
من نيسابور قاصدا قصد جرجان اذ كان مويد الدوله بويه بها لينتزع
ولاية الامير قابوس بن وشمكير اولا من يده ثم يتفرغ من التدبير فيه

الى غيره وعن له ان يسرح ما بقا على سمت قومس والري لينقطع
الامداد والمواد عنه ويلتبس اخبار تلك الديار عليه ويزيده شغل
قلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين واخذ افقهم به من جانبين فنهض
على السمت المذكور ثم بدا له فيما دبر وراى ان التحزب للاستظهار
على الوجه الواحد اصوب ومن الحزم والاحتياط اقرب واستزده
من وجهه الى ازاذوار واجتمعا على التظاهر والتضافر واتفقت
آراوهم على التشاير وصار حسام الدوله ابو العباس تاش بتلك العساكر
الى باب جرجان وفيها شمس المعالي وفخر الدوله حتى اناخوا بظاهرها
وتحصن مويد الدوله بويه بها واحتجز بخندق قعره ومخترق غوره
وفروج للبلد حصنها ودروب حفظة الرجال شحنها وامادهم
الحرب حتى غبر شهران كيوم واحد في مداومة الكفاح وملازمة
السلاح وضاق الطعام في ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم
الذي يحفظ على الثبات قوتهم فكانوا يرزقون من نخالة الشعير
المعجونة بالطين وعهدي بهم يدرجون كتبهم الى اهاليهم بالري
اشباه الفرازنج منها شكوى الحال والهزال وكانت في السواد
كافراص الجراد وزحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدوله الى
الميسره مقابلا لعلي بن كامه صاحب جيش مويد الدوله فظهر

الفناء واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحته عن مقامه كلما
وطرحته الى استراباذ هزيما ولو اعين بمدد في الحال لفسح اضيق
المجال وجعلها اخرة القتال لكن القوم نافسوه فخذلوه لا جرم
ان كوكبة من كتائب الديلم عطفت على من تشاغل بالنهب والاغارة
من اوباش الخراسانية وطبقوا عليهم حبالة الاسر ثم عرضوا اعناقهم
على السيف وورد بعد ذلك على ابي العباس تاش ابو سعيد الشبيبي
في رجال من اجلاد خوارزم ابناء الشهامة والسهام فاشتد الحرب بهم
فلم يضعوا نبالهم الا في منافس الاشداق ومواضع الثغر والاحداق
وانشوا القتل والعور في الديلم ثم تحاجزوا يومهم ذلك فلم تزل تقوم
الحرب بينهم على ساقها ظاهرة وغبا ينتصف البعض بينها من البعض
وكان ابو الفضل الهروي المنجم اشار على مويد الدوله بمصابرتهم الى ان
يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة عليهم نحسا وتحقيقا
فاسر ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان يوم الاربعاء من شهر رمضان
سنة احدى وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه وعسكره وعساكر اخيه على اختلاف
اجناسهم وكان اهل خراسان يظنون ان حربهم تلك عارض تقشع عن قريب
على الرسم فلما راوها غماما راكما وشاهدوها غراما ولزاما اقبلوا
عليها مضطرين فاذا الامر جد والخطب اد والحد حديد والباس

شديد وبرز الديلم من وراء الخنادق الى العراء مخرجين من جهد
البلاء وضنك البوس واللاواء فاستعرت وقدة الحرب ودارت رحا
الطعن والضرب وتحدث الناس بان مويد الدوله قد جنب فايقنا
واضرابه بما حمله اليهم سرا واطمعهم في امثاله حيلة ومكرا واوطا
على التشاهل في الحرب لليوم الموقوت والاجل المضروب فلما حمل عسكر
الديلم من بين ميمنتهم ولوا اولئك ادبارهم نفورا وثبت حسام الدوله
تاش وفخر الدوله في القلب يتضاربان بالسيوف والقرانكينيات
ويردان الحملات المتداركة بصدق الثبات في الثبات الى ان الغب
ذكا بينهما في كافر وقد انهزمت الجيوش وتفرقت تلك الجموع فحزره
فخر الدوله فضل المقام لتكاثر الاقبال من كل وجه عليه وتوجه
الاطماع من كل اوب اليه فانفلت اذ ذاك برد المعسكر فساخت
في سعلبه قوايم الفيل الذي كان حصن القلب في بعض تلك المخاضات
واعجله حز الامر عن التوقف لازعاجه واخراجه فتركه بحاله ونجا
براسه وترك المعسكر شاغرا بما فيه من الاموال المعكمة والاسلحة
المنضدة والغلمان الحصارية والفلات المجموعة ومضى على حاله
الى ان عاد نيسابور فدخلها ليلا وكتب الى بخارا بالخبر الواقعة
وما حدث من الرجعة فعاد الجواب بتقوية الامال وتمنية الرجال

وهيبة الامراد والاموال واشاع الصاحب ببغداذ وساير بلاد
تلك المملكة نبأ المنح على ما ينطق به رسايله وانشدني المجلي
الشاعر لنفسه في مؤيد الدولة من قصيدة
ما هال غيرك في هيجا الملحمة مذكورة آل ساسان وساسانا
فالمثل لمن بخارا امنة فلقد عادت به عند نوم الناس يقظانا
والمجلي هذا مطبوع الشعر مسبوك المعنى سديد البديهة شديد العارضة
فانقطع الى الامير شمس المعالي بجرجان في اخر ايامه فعرض
له في جملة حاشيته الى ان قضى نحبه فمن شعره فيه من قصيدة قوله
لله شمسان تذكير لخيرهما وللمؤنثة النقصان ملتزم
ازرى بتلك سنا من غير معرفة فيها وزين هذا العلم والكرم
يا ايها الملك الميمون طايره وخير من في الورى يمشي به قدم
لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا لما هدى الينا الشيب والهرم
ووصف ابو الحسين الجوهري ركضة الفيل المنعوض
عليه في الجما الادب بقصيدة اولها
قل للوزير وقد بدى يستعرض الكرم المعدا
انبت اسباب العلى حتى ابت ان تستجدا

لو سر راحتك السحاب لامطرت كرما ومجدا
لم ترض بالحبل الذي شدت الى العليا سندا
وصرايم الراي التي كانت على الاعدا جندا
حتى دعوت الى الهدى من لا يلام اذا تعدى
متقمصا بيد العلوج وفطنة اعيت معدا
متعسفا طرق العوالي حيث لا يبتاع قصدا
فيلا كرضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت اكنافها برقا ورعدا
راس كقلة شاهق كسيت من الحبلا جلدا
فتراه من فرط الدلال مصعرا للناس خدا
يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا
متمدد كالافعوان تمده الرمضا مدا
او كم راقصة تشير به الى الندمان وجدا
او كالصليب شد جنباه الى جذعين شدا
وكانه بوق تحركه لينفخ فيه جدا
يسطو بساريتي لجين يحطمان الصخر هدا
اذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا

عيناه غايرتان ضيقتا الجمع الضوء عمدا
مذ كفوهة الخليج يلوك طول الدهر جهدا
تلقاه عن بعد فتحسبه غماما قد تبدّا
متناكبان السوط يضرب حوله ساقا وزندا
يخطو الى امثال اعمدة الخبا اذا تصدّا
او مثل اميال نضدن من الصخور الصم نضدا
متوردا حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متملكا انكانه متطلب ما لا يؤدّى
متلفعا بالكبر يا كانه ملك مبدا
ادنى الى الشى البعيد يد من وهو اهدى
اذكى من الانسان حتى لو راى ظلا لسدّا
ولوانه ذو لهجة وفى كتاب الله سردا
عنته ارض الهند حتى حل من زهو هرندا
ثل اللوذ بر عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو سرّ اعطاف النجوم جرين فى التربيع سعدا
او سار فى افق السما لانبت زهرا وورد ا

يا ايها الملك الذى اجدى وعلم كيف يجدى
ما بال عبدك لا يرى لتاخر التشريف حدّا
برد الزمان وليته مما الاقى مات بردا
قد صد عنى نعمكم الا لحاشى ان تصدّا

وهرندهر جرجان التى جرت تلك الحروب على سواحله وهو يتلوى فى ارض جرجان تلوّى الحيات لكثرة الاوديات والعطفات ومنابع عيونه جبال دينار زاريه ينصب العين منها الى العين حتى يملا النهر ويبدد هذه الصخر ثم وواصل ابو الحسين العتبى كتبه الى ولاة الاطراف بخراسان فى استنهاضهم واستنفارهم ليحشدوا بهم الى مرو ويجتمع معهم بما لم يقبل بهم وبمن يستجيشهم من رجالات خراسان على رفود ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق ومحو سمة العجز واستعادة رونق الملك واقبل يستعد للامر بجهده ويواصل الكتب الى نيسابور بجميل وعده وخلع الامير الرضى عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الاقلام والمواضب واضاف له الى مرتبة الكتابة رتبة ارباب الكتايب فكانت خلعة خالعة لروحه قاطعة لعمره خاتمة لامره وذلك لان ابا الحسن بن سيمجور كان يشكو الى فايق ما دهاه من قصده اياه حين عزله عما كان يليه وكاده فى نفسه وذويه

ولم ينفك يرصده بالغوائل ويطلبه بوجوه الاوتار والطوائل
الى ان اشار فائق عليه بطائفة من الغلمان السديدية كانوا
رؤس اضرابهم في السفه والشغب والتحكم في المطالب بشرط
المؤنة والغلب ودس اليهم من اغرائهم به بسفائح نحرتها اليهم
حتى تؤامروا بينهم على قتله وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلوه
نهارا عمن يحميه او يحامي عليه واحس ابو الحسين بما دبر من
الامر واشفق على نفسه مما استطار من شرر الشر فشكا الى الامير
الرضى صورة الحال وما ارصد به من الاغتيال فبعث اليه بعدة من
القواد لمرافقته الى الدار اجارة له مما كان يخشاه وصيانة لروحه
عن غيلة من يتحاماه فتسامع طائفة من المشتركين في التدبير عليه
بخبره فطاروا باجنحة الركض على اثره ووضعوا فيه السيوف
والدبابيس حتى اثخنوه ضربا وحطما ورضا وقصما واشفق
من كان في مسايرته على انفسهم فخذلوه واهملوه فكان مثله كما قيل
كليه وجريه ضباع وابشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره ه
وترك على الشارع صريعا يمج دما نجيعا وعندهم انه قتيل وان ليس
للحيوة سبيل ونقل كما هو الى باغ قريب من مصرعه ليرى راي ما يحدث
من الداي في غده فلما غشيه موج الظلام وهب عليه رخاء السحر

ان انة سمعها الباغبان فبادر اليه فاذا به رمق قلق ونفس
محتش فسعى الى دار السلطان بخبر ابي الحسين واضطرابه
على نفسه حتى امر به فنقل الى المنفذ واوعز الى الاطباء
بالمثابرة طمعا في انعاشه فاستصعب داؤه على الدواء وقضى الله على
عمره بالانقضاء فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر
عديم المثل في سعة الرحل فقيد النظير في الفضل الغزير لم يرو في
كتب الاولين ان احدا من الوزراء اتسعت همته لمشاطرته على مروته
ومنازعته فضل افضاله وفوته سماحة كالغيث يقذف بالوبل او الريح
تعصف بالرمل وسياسة خفت لها جنادل الليل وغضت بها مسنا عب
السبل وانشدني ابو جعفر الجامي لنفسه فيه ه

لهفي عليك ابا الحسين عيني رمتك بكل عين
جرعتني غصص الهوى وارتني يوم الحسين

ولبعضهم فيه وقد زاره في جماعة من اصدقائه ه

مر على قبرك اخوانكا وكلهم قد هاله شانكا
فلم يزيدوك على قولهم عز على العلياء فقدانكا

وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة بنيسابور على انتظار
معونته واستفاضة ما اسفر لهم من عدته فحدثني ابو نصر العتبي

خالي رحمه الله وكان على البريد بنيسابور وقال دعاني ابو العباس
تاش يوما آخر النهار فلما وصلت اليه وجدت الثلثة يتناضلون
الآراء بينهم في معاودة الحرب واستيناف معالجة الخطب فخاطبوني
بانفسهم فيما تداولوه وسالوني ان انهي الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم
لمعونته واستعدادهم للبدار الى امره واقبل علي شمس المعالي ٦
من بينهم فقال اكتب الى ذلك الشيخ بان الحرب لم تزل بين الرجال
سجالا وانها تستصعب مرة وتصحب اخرى والحازم من يستفتح
بالجد باب الظفر والنجح ويتلف بين العجز والضجر واضرب له ابيات المتنبي مثلا

يرى الجبناء ان العجز حزم ... وتلك خديعة الطبع اللئيم
اذا ما كنت في امر مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير ... كطعم الموت في امر عظيم

قال فاستدللت يومئذ بقوله على فضله وورد عليهم لعقب ذلك نعي
ابي الحسين رحمه الله فاوسعهم وجوما ونثر عليهم من التدبير ما كان
منظوما وورد على ابي العباس تاش كتاب السلطان في استعادته
الى الباب لتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واغتنم البدار وسار حتى ورد
بخارا فرتب تلك الامور ونظم المنثور وسبغ الحباء على آل ابي الحسين فطيبهم
بالقبول والتدبير وعمهم بالبر والتيسير وقلد الوزارة ابو محمد المزني

٢٦

فيعلو بالتدبير وحل في التقدم والتأخير لتهافت الاعمال
واستبداد آخرين عليه بالايراد والاصدار وقد كان ابو الحسن بن
سيمجور انقلب الى خراسان عن سجستان من غير امر صدر اليه استنزالا
لنجوم الفتن وانتقاض الاعمال بها اثر تراجع العسكر عن باب جرجان وتشوفا
لتلافي سوقه فيما بينها وكتب اليه ابو الحسن منبّها اليه بفعله وناعيا
اليه عقله وسامه ان يعدل الى قهستان متدرعا عن ملابسة الا عمال
متورعا وان يسلم ابناء الدولة في جملته ويخبر رايه الى ابنه ابي
علي على ان يعاود سجستان برسمه على ان يزداد في توليته فيكفي امرها
ويلم شعثها ويرأب صدعها وجعل باذغيس وكنج رستاق برسمه
على ان يزداد في توليته وحبائه متى عرف في الطاعة صدق نيته وغنائه
ولما استقر ابو العباس تاش ببخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان عنه
وعن المناضلين دونه فراسل فايقا يزيد على مخالفته والجهار بمنابذته
وترك الرضا بن عامته فوجده سمح القياد الى المراد وموافقا على
الخلاف والعناد واجتمعا بنيسابور على توكيد العقود وامر المواثيق
والعهود وبدا ابو علي بمصادرة عمال حسام الدولة وبسطا السنتهم
بما كان تحت ايديهم من امواله وارتفاعات اعماله ثم تخطيا الى مرو وسدا
دون الولايات وحجابا دون الاموال والارتفاعات حتى اضطر حسام الدولة

ومطالبتهم بما كان تحت ايديهم من اموال له وارتفاعات الى مناهضتهما
ومداواة ما استفحل من شرهما وكفاية ما اهم من امرهما واستنتج الخزائن
عن ذخائر الاموال ونفائس الاسلحة والاثقال وبرز من بخارا
الى آمل الشط فخيم على طرف الرمل وتردد السفرا فيما بين الفريقين
على حفظ نظام الالفة واستبقا جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة
فوقع الاتفاق على ان يكون نيسابور لتاش وبلخ لفائق وهراة لابي علي
وتفرق كل منهم الى رياش عمله وللخوارزمي في ابي علي عند حصوله بهراه

تهنى بالامير هراة اذ قد علا عن ان يهنا عن هراها
وكيف يهنؤ الدنيا جميعا بناحية من الدنيا احتواها

وانحدر ابو العباس تاش الى مرو وقد كان قبل فصوله من بخارا توصل
الى عزل المزني عن الوزارة بابي محمد عبد الرحمن الفارسي المتولي
كان للامور لكراهيته لما تبينه من ميله الى ابي علي وفائق وادهانه
في امرهما فلما استقر هو بمرو وصرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزير وهو
المعروف بشنشنة العتبة ومناصحتهم ونصب العداوة لهم ولصنائعهم
وحرق الارم عليهم وتشديد المعضلات اليهم فبدا بصرف ابي العباس
تاش عن قيادة الجيوش ونقلها الى ابي الحسن بن سيمجور مضادة
لابي الحسين العتبي في تدبيره وتداركا برغمه لما وهي من حبل تقديره

وتقريره وامروا الكتاب عن السلطان اليه في نقل العمل عنه وتعويضه
كورتي نسا وابيورد منه والايعاز اليه بالامتداد اليهما والاقتناع
بهما وحذف عنه خطاب الزعامة واقتصر به على ما كان موسوما
به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه احس بامارة الشر ودلالة
الختل والختر وعلم ان ذلك فاتحة الخطب عليه والسعي منه
والوضع من قدره والثلم في جاهه ومحله واستحضر وجوه القواد
واعيان الحشم وعرض عليهم الكتاب وعرفهم دابه وديدنه في طا عة
سلطانه ومناصحته والاخلاص لدولته والذب عن حوزته والشكر
لما وسعه قديما وحديثا من نعمته واقباله مدة مصاحبتهم اياه عليهم
بحسن رعايته ورفق زعامته وابالته بنيابته عنهم في نحر اوطادهم
وتزيين مساعيهم وآثارهم ومواساته لهم بما اتسعت له يده من خاص
ماله وخاص ملكه وانه يومه ذلك في نفسه ومهجته مقصود وعن باب
ما الكه ولي نعمته مذود ولا منع من جهته لاحد منهم عن رايه واختياره
في معاودة بخارا او اللحاق باي جانب شا فليخبر كل منهم ما احب
غير منازع في قصده ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون
من وراهم من اهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم من الراي
في المقام او الارتحال وتجمعوا بعد ذلك دفعات متساعدين في الاختيار

مرة ومنقاد بين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على مراغمته وترك
مفارقته والاذعان لرياسته وموافقته على ما تلقاهم الزمان به من سلم
او حرب وذلول وصعب وسهل وحزن وسرور وحزن وكتبوا الى
تخار اسايلين رد الرعاية عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم
في تحقيق مسئلتهم واستبقاء لوجوههم بما طاعتهم فابى ابن عزير ان يتبع
لهم نجاحا او يسمن بين اوليا الدولة وصلاحا وكتب اليهم يمنيهم الزور
ويريهم الغرور سرابا بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطميعا لهم وتشنيعا للنفاق عليهم فلما
عرفوا صورة الجواب ازدادوا بصيرة في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا
في خدمته وتصرفا بتصاريفه وخنوعا له في وجوه تكاليفه ٥

ذكر انقلاب فخر الدولة الى ولاية سلفه بعد ذلك وخروج ابي العباس حسام الدولة عن المكاشفة والتعاون الى جرجان

اتفق بعد معاودة ابي العباس تاش بخارا ان قضى مؤيد الدولة نحبه
ولقي ربه وقبل انقضاء الحرب كانت بينهما ما دهاه الخبر بوفاة عضد الدولة
اخيه بما شغله عن اظهار المصاب تاه بالخطب امامه حتى تكيبه
تخبطته المرة وتعجبه بعزيمته المستمرة وتشاور
اوليا الملك الدولة فيمن ينتصب منصبه و

ويسد في الرياسة مسده فاشار الصاحب اسمعيل بن عباد الى
فخر الدولة اذ لم يكن في ذلك البيت احق بالامارة واتم استقلالا باعباء
الرياسة والسياسة سنا وكفاية منه فطيروا البريد اليه في البدار
الى ما اورثه الله من عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا لا منة لاحد
عليه به ولا حق تختتم لسانه بشكره واستخلف اخاه ابا العباس
خسروفيروز بن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم المتاود الى ان يلحق
بهم فيتولى تدبير ما يليه ويتولى عنه تدبير ما ينتشئه برايه ويمليه فخر الدولة وله
من نيسابور الى جرجان نظاير البرق بين جناحي الافق فاستقبله العسكر بادر
خاضعين طايعين وعلى صدق الموالاة والموالاة متتابعين فتبوا مقعده
من سرير الملك وارثا ما اوصى له به ابوه وسابرا ما كان يدبره اخوه كذلك
يوتي الله الملك من يشا وينزع ممن يشا وهو الفعال لما يريد وانشد
لابي الفتح بن منيرة ابياتا من قصيدة يرثي بها مؤيد الدولة وهي ٥

ولو قبل الفدا لكان يفدى   وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون   تكد لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس   بر عمرك دو ثوب الحداد
اذا قدمت خاتمة الرزايا   فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب فخر الدولة الى ابي العباس تاش بذكر ما اصاره الله اليه واعلقه

بيديه وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف الى اقسام
ارادته وانه لم يرخ لاستجابة ايامه النافرة واعتاب دولته العاتبة
ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على مصالح احواله وتمام اقتداره في مناجح
آماله شكرا لما كان يعهده من مقامه قبله وقدمه من جهده في ارادة
الخير به وارتياح النجح له فاجابه عنه مهنئا بما اتاحه الله
له من كريم صنعه وزفه اليه من هدي ملكه وشاكرا له ما اوجبه وراه
وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه فكتب اليه بانه سهيمه فيما يليه وقسيمه
على ما يجوبه وان امره ممتثل في كل ما يرسمه وينتحيه فليبن امره على
ما يبلغه اليه اقتراحه منتظرا لما يقتضيه شركة المفاوضة من
التسمح بالملك والمال وتقريب الرحال على اعقاب الرجال وكان قد
انهض ابا سعيد الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل اخر الدوله
رسولا فصرفه في العاجل بقدر من المال ونحو الف فارس من شجعان
العرب والاتراك فورد نيسابور وانضم اليه ابو محمد عبد الله بن
عبد الرزاق موالیا لابي العباس تاش على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمعا
على التعاضد وتواطئا على التكاتف والترافد واخذ تاش الى
نيسابور فسبقه اليها ابو الحسن والغزاة المقيمون بها انتظارا لوصوله
في سواد خيوله ولحق بهم فصارت الايدي واحدة والقلوب

على الاخلاص متعاضدة وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي فخيم
بظاهره وناوش ابا الحسين الحرب اياما عدة وهو متحصن بالبلد
دروبه ومتحجز بضيق مداخله وسدوده ولجأ ابو العباس تاش
زهاء الفي رجل من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم ابو العباس
فيروزان بن الحسن في كبار القواد ممن يقدمون يغزمون على الدبر
ويدخلون ولو خرت الابرة فلما احس ابو الحسن بن سيمجور بانا ختهم
علم قوتهم على حرب المضيق واحجارهم باطراف الرانات والمزاريق
فاتخذ الليل جملا وترك البلد هملا وسار بريد قهستان ساترا عورة
الانهزام بلباس الظلام وسمع عسكر ابي العباس تاش باجفالهم فشدوا
على اثارهم وانتهبوا اثقالهم واصابوا منهم غنائم موفورة واموالا غير محصورة
ودخل ابو العباس تاش نيسابور وجاوزها الى المعسكر بظاهرها
مما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر رضي الاثر وانشدني ابو منصور
عبد الملك بن محمد لنفسه في تلك الوقعة

قل للذي اتاني هواه خاشي ... صادي الفؤاد بصدغه الجماش
صدغ يرى يوم الدياج كانه ... قلب ابن سيمجور احس بتاش

وله ايضا

ان الشتاء مضى بقبح فاشي ... وأتى الربيع لنا بحسن رياش

ومضى ابن سيمجور يتبجح بمقاله وانتاش ابنا الكرام بتاش
ولزم تاش مناصحته ذلك بتواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة و
الاستنزال وضمان الرفق للطاعة وعرض النشر والملك بلسان الضراعة
فلجّ ابن عزير صلابته وعداوة آل عتبة دون مغايظته ومعاداته
ومعاندته وطفق يشق على الامير الرضى والدته التي كانت كافلة
بالملك ان تاشا معتصم بالديلم وقاصد قصد الاجحاف بالدولة
وانه متى ارخي من عنانه فيما يستدعيه وجب التعري عنها والتسليم
عليها حتى ظننا ان الامر كما زعم فوكلا التدبير اليه وجعلا رباط
الخير والشر بيديه وقد كنت ارى لصديق لي في تلك الايام بيتين
لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما

شيبان لو بكتا الدما عليهما عيناي حتى توذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب

فقال ان الاليق بحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وصبا عنهما
للحسين بن علي المروروذي وهما

شيبان يعجزوا الرياضة عنهما راي النساء وامرة الصبيان
اما النساء فميلهن الى الهوى واخو الصبى يجري بغير عنان

فانصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان ويسجل بصحته

الامتحان وابى الله ان تكون ظهير في شفقة الام وحال بمنزلة
العم وعسيف بنيابة الصاحب ونكرة النائب وورد بمحل الملك
الغالب المستبد برايه الصايب واهمل ابو العباس تاش ما اهمه من امر
ابي الحسن بن سيمجور وقصده مداراة لولاة التدبير ببخارا واستمالة
لهم واستنابتهم وامساكا للوحشة من الازدياد وصيانة للفتح
من الامداد وهم بما بينهما يهتبلون فرصة الرخاء ويغتنمون نهزة الامهال
والامهاء ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والاستعداد ومداومة
الاستمداد والاستنجاد وكتب ابو الحسن بن سيمجور الى ابي الفوارس بن
عضد الدولة بفارس فامده بالفي فارس من نخب الاعراب وانضم اليه
فايق في خواص غلمانه وساير من استجاشهم من اطراف خراسان وكردوا
باجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غص بها عرض الجيوب وضاق
عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور حال القوم بمعسكره
الى البلد لامتلاكه عليه ومساورته الحرب عن ظهر منعة واقتدار
وحال نجدة واستظهار فعارضهم ابو العباس تاش في ميسرتهم
لعبد الله بن عبد الرزاق وابن سعيد الشيبي وخواص غلمانه وناوشهم
الحرب من حيث منع النهار الى ان صارت لعين الاحول وطلعت
حملاته تخطفهم خطفا وتوسع اركانهم هدا وهدما وكانت

الجماعة فيما بين سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج
صدورهم وامتنع بالاجفال جمهورهم ايثارا لفسحة المضطرب والخلاص
عن ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر النهار حملة قدرها
خاتمة القتال واخرة النزال فتلقاها ابو الحسن بن سيمجور
وابنه ابو علي بشكائم قوية وعزائم في الثبات صريحة وردوا
مطلقات الاعنة بمشرعات الاسنة ومسرعات الزحوف بمرهفات
السيوف فلما انقلب الى مقامه وقد تفرق في تلك الحملة عنه سواد
حماته وحفظة راياته شدوا الحملة عليه دفعة واحدة فاضطروه
الى الانهزام واستلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم
من جانب فابن حتى تزعزعت صفوفهم واضطربت جموعهم فتداعوا
الامان من وقع السيوف خلا من اخذته صهوات الخيول فجمعوا
في بيت الاسار على حال الذل والصغار ثم حملوا الى بخارا على
الجمال في الجوالق ابهة ونكالا وتشفيا ممن ساقهم الى خراسان
ارسالا فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمعازف بدلا من السيوف
والعوامل واقيمهم الى محابس القهندز الى ان اقتسمتهم الايام بين
ممات ونجاة

ذكر انصراف ابى العباس تاش الى جرجان ومقام
ابى الحسن بن سيمجور بنيسابور وعلى بهادر الحبوش

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان ينفصل عنها فخر الدولة متوجها
نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة محفوفة
بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والاهب الوافرة حتى المطابخ
بما فيها من الالات الصفرية والاواني الذهبية والفضية وتقدم
بان يسلم اليه خزانته كان اعدها للحمل اليه قبل الكشفة مشتملة على
خمسين الف دينار والفي الف درهم وخمسمائة تخت من الوان الثياب الى
غيرها من عتاق الافراس وجياد المراكب والدواب واعداد الاسلحة
والوقايات من خافيتي ومغافر ودروع وجواشن وترسة وزانات
اكثرها مغشي الظهور والنصب محلى بالفضة والذهب وسوغ
له دخل جرجان ودهستان وابسكون واستراباذ الا قدرا كان مصروفا
الى عمارة القلاع وارزاق مستحفظيها من الخواص وامر ابو العباس
تاش بتفرقة تلك المبالغ والاموال فيمن صحبه من القواد وطبقات
الاجناد حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم وواصل لهم الاقامات
والاطماع حتى ازاحت احوالهم وحسنت رحالهم فصادف بجرجان
احسن منهم بخراسان حالا وارغد عيشة وانعم بالا وجعل فخر الدولة
يتابع الحمول اليه من طبرستان زيادة في تاثيل حاله واستيفاء النظر
جنوده ورجاله فعل من لا ينفس على اخيه بنفائس ما يحويه ولا يضن

على صدقته بحليل ملكه ودسته وقد كان الصاحب يستشرف
ما يوجبه له من الاحسان والمواساة ومواصلة الصلات والكرامات
من قبل ما نصح له في استعراض خراسان برجاله مخالفة لسلفه
فيما اختاروه من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم
ان حقوق ابي العباس علي حقوق لو نزلت معها عن جميع ما آتاني الله
عليه من ثمرات هذا الملك حتى احل له عروة هذا القميص لوجدتني
في ادنى درجات المكافاة واشار الى واحدة منها تكفيه امارة على
ما اوجبه له ايام مقامه قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته
رددتا عنه في حال غربته وهي ان اخويه عضد الدولة ومويدها
ارسلا اليه يستردانه على اموال عظيمة يحمل الى خراسان في كل سنة
للسلطان اولا وله ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب
وفره العتاق واعلياي الاسيام والمصيح حتى لم يبق للرد مجال
ولا للسان العذر مقال واتاني خبر الرسالة فاستظلمت ضوء
النهار واستخشنت جانب القرار وقنطت من الحيوة على شفا جرف
هار اذ لم يبق في الهرب مطمع ولا في قوس الرجا منزع وبت بليلة القذ
ارعى المركان قد الى ان اصبحت وقوائمي متخاذلة واركاني
متهافتة خوف الاذن بالندا الهيا والداهية الدهيا فاتاني حاجبه

بعد فراغه من الاذن ذاهبا وايبا فلم ادر اداعي هوام تابع واذب
هوام نادب وطالع صبابة او طارق افة وحمت في المرى كناية
عن المحذور وتورية دون القدر المقدور فركبت اليه وسير
عناني احصف مرة من بناني عليه الى ان حصلت في مجلسه فصادفت
من حسن القيام والالتزام وفرط الاكرام والاعظام وفضل البر
والايناس ونصرة الرجا على الياس ما لم اكن عهدته فيما مضى من
مجالسه وما انسه وما زال يرقيني ببشره ويستحرني بلطفه وبره
الى ان ثابت نفسي الي وانحلت عقدة الخوف علي وتطاير الهم
عني شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني الرقاع الواردة
عليه فنشرتها عن انياب الاراقم وحماة العقارب على الرسم المعتاد
من كيد الاقارب ثم اقبل علي فقال كنت على ان اكتم الامير
صورة ما ورد صيانة لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام لكني
فكرت في حكم الحال التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه طلع
ما كتب والافضا اليه بحقيقة ما طلب املك لسكونه واربع
لطايره وانفى لحلاج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما يغلظ
به ايمان البيعة انه لا يقبل خراج العراق باسره على تعاظمه قذرة
بشعرة من بدنه ولا بزنة من برته وان جميع ما املكه من صامت

وناطق وقائم وقاعد حتى نقض هذا الخاتم وزرهذا القرطق
ونابه المحنة ووقف على مصلحته وبعد لذا الحوادث عن ساحته
وتشدد في الانتقام له ممن نافسه في ملكه ونازعه حوزته حتى
ياذن الله في رده الى بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم
ماضي الحكم على الخصم ابسحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعا
وطبعا الا عن رغبة في رغيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع الى وجه
طمع ان يتغافل عن معونته وارفاده ويتجاهل دون ما يجذب اليه
زمام مراده لا ورب الكعبة وحق كل الدولة لا عرف الناس نسياني
هذا الحق العظيم ولا استسهلت طريق المكافاة واستعين
الله تعالى على حسن المجازاة على ان الفضل له يسبقني الى البر وان
جهدت في المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون
من هذا الكلام والكرم الذي عز سماع مثله في سالف الايام
واحتشد الصاحب من بعد لمصالح ابي العباس تاش مناصحة لصاحبه
وكفالة عنه بما يقتضي الحق عليه وتقييد شرف الوفا له وبقي ابو العباس
تاش بجرجان ثلث سنين نابي الجنب عن القرار جافي الجفن دون
الغرار شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا على عز ثان من اصطناعه
واحسانه واشفاقا من تادي احتشاده في ابتعاده عن خراسان انكاره

حتى انه لولا ورعه عن رفضه طوق الطاعة والوفا وجل همه
معاودة تخار الاستيناف والحرمة والسلامة من المذمة وارسل
ابا سعيد الشبيبي الى فخر الدولة في الاستعانة على معاودة خراسان
فجهز اليه اسفار بن كردويه وعدة من اعيان القواد في زهاء
الفي رجل من خلص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو
بنوس بصلة جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم واصدارهم
والصدر في ذلك كله عن راي حسام الدولة ومشاورته في التصرف
بتصاريفه في حالتي حله وترحاله وتارتي سلمه وقتاله وحمل
في صحبته من المال لاقامات اهل عسكره ضعف ما كان حمله عليه عند
فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى توس وانتدب نصر لقراه ونزل
القواد في صحبته كما نزلت بهم ضيفها وجارها ابن المحترمي
حذو النعل بالنعل وذلك انه امر به في صحن داره حتى اخذته
السيوف يمنة ويسرة حتى بدد وعمد الى اخرين فحبسهم في سرب
واوقد الفحم عليهم وسد منافس السرب دونهم حتى اختنقوا بين
حر الحبس وعدم المتنفس وافتات بتلك الاموال المحمولة والدواب
المقودة ناصبا بسمة الغدر وقاضيا على نفسه بالخزي ابد الدهر
وانقلب الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على اخر الى ان وردوها

فتقرر والصورة وقرأ الصحيفة المنشورة فورد من ذلك على
فخر الدولة ما أطار وأقلقه وهاج وادعه وعلى حسام الدولة
أبي العباس تاش ما أقلقه وأكمده وأضعف عن كل شيء قلبه
ويده وكتب إليه فخر الدولة يذكر ما رآه من تجهيز الجيوش إليه
ويستحدره إلى استراباذ ليصير المقصود محصوداً بين العسكرين
ومضغوطاً بين كلا الجانبين إلى أن يأذن الله فيه بالبوار والابتياد
إلى غيرها من الديار وانحدر أبو العباس تاش إلى استراباذ وخيم
بجرجان فأخذ نصراً ما قدم وما حدث وما مر وخبث ورأى
الحين قد فغر فاه والسيوف تطلب وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام
وفزع إلى الضراعة والاسترحام وطفق يكتب في الاعتذار إلى
الجانبين بأنه كالمدارك حباً مما ارتكبه وخجلاً من عوار ما اكتسبه فائدة
وتحمل بشفاعة حسام الدولة في الاستنجاح واستقالة ما تخبط
فيه بسوء الاختيار حتى كتب في بابه بما نفس من خناقه وتكرم
فخر الدولة ببذل أمانه رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد أبو العباس
تاش إلى جرجان على أن يستأنف تدبير خراسان وكان فخر الدولة
قد استوحش من ابن أخيه بهاء الدولة لأحوال أخل فيها بحقه ونقص
معها في المفروض من إجلال قدره ومحله فناهضه في معظم جيوشه

مزاحماً له في أعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الأكراد
أولي البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها مدلاً بالقوة السابقة
والنجدة الوافرة وأنهض أبا العباس فيروزان بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها
واستضافتها إلى أخواتها فلما عبرته موسى استجاش المقيمون بها
من عسكر بهاء الدولة أهل البصرة عليه فعهد عنهم خلق عظيم إلى المسالك
بينه وبينهم فبثقوا بسكور الأهواز عليها حتى أعيت الطرق وأعوز
المجال والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات ووحول سدت
عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم الإقبال والإدبار
ووافقهم ابن الحسبول من الموصل على عوادل الطرق لمظاهرة
المقيمين بالبصرة فلما أخذتهم أبصار أصحاب أبي العباس بن فيروزان
زادهم شوكة ووفوراً ولووا على أعقابهم نفوراً وكان بدران
قريباً منهم فلما رأى الكشفة جاءهم بنفسه مدافعاً
فأعياه سد ما اختل ورد من أخل فاستمرت الهزيمة بهم إلى فخر الدولة
وهو بسوق الأهواز وشكوا إليه ضيق الحال وتجمعوا على رسمهم
للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر في الأول من عجزهم وخورهم وما انتشر
في الثاني من سوء فعلهم وأثرهم فانكفأ بهم راجعاً إلى همذان
على ظاهر هدنة ووقع التنامي عليه ومنها إلى الري وذلك في شهور

سبع وسبعين وثلثمائة وحدث وباء بأرض جرجان خارج عن الحدّ
في هذه السنة فهلك من أصحاب أبي العباس تاش ووجوه قوّاده وأعيان
رجاله المذكورين من كتّابه وعمّاله وسائر حاشيته وغلمانه خلق
عظيم وعرضت له بآخره علة صعبة ختمتهم به فمضى لسبيله رحمه الله
وقد كان أصحابه أوعزوا الى أهل جرجان برسوم ذميمة ابتدعوها
ومعاملات قبيحة اخترعوها وأحمال عنيفة أوقعوها فلما فشا
خبر وفاته صاروا يداً واحدة على أصحابه فكبسوهم في الدور والحجر
وطلبوهم تحت كل حجر ومدر وجعلوا القتل جفلى واستنظم الكل
الصغير والكبير والشريف والمشروف في ذلك القتل والتنكيل
والإبادة والتمثيل وشغل وجوه أهل عسكره دهاء المصيبة عن
الفراغ لمنعهم ودفعهم وإخماد جمرتهم واستكفاف معرّتهم واشتبهت
صورة الحال البروز الى ضاحي البلد لضبط الأمر وضم النشر وتعاون
التدبير في اختيار من يصلح للتأمير فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم
على ابن اخت له فقدّموه وطالبوه بمال البيعة فأطلق لهم ما وجد
في خزانة الملك مضافاً الى ما أمكن تحصيله واحتبا له عشر سنة واحدة
حتى هدأت فورتهم وسكنت سورتهم وتوالى النفير من البلد
بمدّ أهله أيديهم الى عورات نساء الخراسانية بغياً وكياداً

فحرّكتهم الحمية للانتقام من أولئك الرعاع والأغنام فركبوا
على سمت بكراباذ لمجاهدتهم وثار أولئك الأشقياء اليهم متهافتين
في الدمار تهافت الفراش في النار فلم يشعروا ان حمل أهل العسكر
عليهم حملة كشفتهم عن رؤوس الأعلام وأيدي الاعتصام وفرشوا
أرض ذلك الفضاء بجثث القتلى متشحّطين في الدماء وضربت الدور
والحوانيت بالنفاطات وبسطت عليهم الأيدي بالغارات فجرى
عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلّب مثله نكاية رادعة وعقوبة
وازعة قامعة وعندها أرسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون
الأمان ويناشدون الله والإيمان فكفّوا عن القتال وانكفأوا الى
الرحال فسكن نابض تلك الفتنة ودفع طائر الهيج واللوثة واختلف
العسكر في الاختيار فمال القوّاد وكبار الغلمان الخاصّة الى خرا سان
واستحبّ الدارية الانقطاع الى فخر الدولة والاختصاص بخدمته
وكتب الصاحب اليهم بالتوقف ريثما يلحق بهم الأستاذ أبو علي
فيطلق أموالهم ويحقق في الولايات وزيادة الإقطاعات آمالهم
فحفزهم حبّ خراسان عن التوقف وأعجلهم طول العهد بالأوطان
دون التثبت فساروا على سمت الروغد معاودين نيسابور للاتصال
بأبي علي بن سيمجور وهو اذ ذاك صاحب الجيش مكان أبيه فأقام

الباقون من الدارية التي أن وردها الأستاذ أبو علي فاستعرضهم و[illegible]
أساميهم وأطلق أنزالهم وسيّرهم الى الري فأمر فخر الدولة بنقلهم الى الدار
ونوّختهم على أمثالهم بمزيد الاكرام والايثار رعايةً منه لحق ابي العباس تاش
من جانب واستظهاراً بهم من آخر وقد كانت جرجان تموج بالغاغة و
ذوي العيث والخرابة ممن فلّوا أهل خراسان ومثّلوا بهم فوضع الأستاذ
أبو علي الارصاد لهم وبثّ العيون عليهم وقتل ممن حصل منهم يوماً واحداً
حديده زيادة على ثلثة آلاف رجل صلباً وصبراً وغيلةً ومكراً فتمت بذلك
سياسته واستفاضت هيبته واستقامت أموره وصفت جرجان في أيامه
ممن يبعث فساداً أو يختلم بغير استقامة وسداد

ذكر ابي الحسين بن سيمجور في قيادة الجيوش الى أن قضى نحبه وانتقال الامر الى ابنه ابي علي فاستقامت ولايته وقراره بنيسابور

وانحدار ابي العباس تاش الى جرجان أمور خراسان وانصرف عسكر
ابن الفوارس الى كرمان وعاد فايق الى بلخ واستقر ابو علي بهراة
وكان ابن عزير يستحث أبا الحسن على قصد جرجان ويؤنبه على
التقاعد عنها وهو يستمر على المعلوم من عادته في استشعار
الحلم واستحباب السلامة والسلم اشفاقاً من عثرة تعقبها تشفي
الى ندم كالتي عرضت لابي العباس تاش بجرجان

من الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة بما سار في البلاد
خبره الى أن أقيم أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني للوزارة وذلك
في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى خوارزم
فجهد أبو علي في تشديد الاعمال وحفظها على الاعتدال فاعياه
ما أراد لانسداد الولايات وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم
وضراوة الاتراك وتسحّبهم على الوزراء واحتكامهم في المطالب
خلفا للجام المراقبة وأمراً من مرّ السياسة وصدق المؤاخذة
فصرف بأبي نصر بن ابي زيد وهو الشهم الذي يصيب الحزّ في أقواله
ويطبّق المفصل في أفعاله ويبذّ الكفاة بغنائه ومضائه وصواب
تدبيره وآرائه ثم بدا لهم في أمر ابي علي فردّ ثانياً الى مكانه
من صدر ديوانه واتفقت لابي الحسن بن سيمجور بين هذه الاحوال
نهضة الى خرمك بعض متنزّهاته بواحدة من حظاياه فخانته
نفسه خلال الرفث بها وخرّ الى الارض عن صدرها يتشاقّ واخفي
خبر وفاته الى أن ردّ الى داره واستعدّ لاظهاره وورث أبو علي
رياسة بيته واخوته وحشمه فسدّ الثلمة الحادثة بأبيه برفق
سياسته وحسن رعايته وحفظ ايالته وولايته وحسن طاعة
ابي القسم اخيه وساير اخوته له وعمّ رضاهم به وبلغ ابا علي

سميت بفايق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على ما استجازه
من الخطبة على خطبته ثم اتفقا على ان تكون هراة لفايق ونيسابور
مع قيادة الجيوش لابي علي ورتب كل منهما اصحابه بناحية
عمله وحملت الخلع من بخارا على الرسم لولاة الجيوش وابو علي
يظن انه هو المقصود بها والمخصوص بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول
منتصف الطريق عدل الى فايق بما صحبه فعلم انه مكر مكروه وغدر
اسروه وانه المقصود بالسوء والمراد بالمحذور فلما علم ان فايقا
شخص عن هراة نهض ابو علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب
المرصد حتى اذا انقض عليه فيما بين هراه وبوشنج فعل من اتخذ
الجد جُنّة وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب جانبا وعلم انه متى استمرت
به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة وعرف جبنه وخوره لم يرتفع
له ولا لاهل بيته راية ولم تقرن لاشياعه الامور عليهم واستتباب المحذور
اليهم من كل وجه غاية فصدق فايق قتاله اخذا بشرط الجد والتشمير
وولى عسكره دون المضيق اشباه المسامير فولوا به منهزمين الى مرو الروذ
واردفهم ابو علي بعدة من قواده للتشريد به في مهربه فوافوه بقنطرة
مرو الروذ ثم مستعدا للمدافعة فقارعهم حتى اسر عدة منهم وحملهم
الى بخارا وسار ابو علي الى مرو خاطبا عمل ابيه ومدلا بسابق حرماته

ومساعيه ومشكرا اياه خدمته وذبه فحقق الرضي سؤله وجدد
اليه فيما استدعاه رسوله وقرر قيادة الجيوش عليه وناط مصالحهم
بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة وقهستان ولقبه بعماد الدولة
فانكفا الى نيسابور وقد نال ما اراده فهذب الاعمال ورتب الرجال
والاحوال واخذ امره يزداد نورا وبهاء ويتضاعف قوة واستعلاء الى
ان تلقب بامير الامرا المؤيد من السما وامتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة اولها

ان الالى خلف الخدور هم في الضماير والصدور
وقع الغبار عليهم فغدا ابينه على العبير
لما سبين على الترك تاه المعار على المعير
فغدوت في حال الاسير ورحت في حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ودام صيدا للبدور
يا سايلي مثاني البرائع والهوادج والستور
فيها الرضاع من المنية والفطام من السرور
وسالت من زوج المنابر حين يخطب والسرير
فهو الامير بن الامير ابن الامير ابن الامير
المجتزي بالمدح القليل بماله الجم الكثير
من سيفه كسر الجبير وسيبه جبر الكسير

والناظم المعنى الطويل بلفظه النزر القصير
يرمي اعاديه بسهم من سعادته طرير
حتى لو اتزروا لشاكهم سنّ الحرير الحرير
وبوتر النعم الذكور سلكم البيض الذكور
وسهامه نوب الخطوب وقوسه عقب الدهور
ورماحه حشو العدى وعداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل حشو الجوانح والنسور
ويصوم صارمه فيفطر بالجماجم والنحور
واذا اتاه سائل لا رب الشويهة والبعير
ابصرته بفنائه رب الخورنق والسدير
امحمد بن محمد هذا التمادي من المحور
لو كانت الدنيا تدور على الحقائق في الامور
ما صيغ تاج محمد الا من القمر المنير
واتاه البديع ابو الفضل الهمذاني وهو بمرو فمدحه بالقصيدة التي اولها
علي ان لا اريح العيس والقتبا والبس البيد والظلماء واليلبا
وان اترك الخود معسولا مقبلها واهجر الكاس يغدو شربها طربا
حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة والسهب يسكرني مسته لغبا

وطفلة كقضيب البان منعطفا اذا مشت فهلال الشهر منتقبا
بطل ينثر من اجفانها حببا دوني وينظم من اسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا درّ درّ المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هونا ولا كثبا
يا مشرعا للمنى عذبا موارده بيناه مبتسم الارجاء اذ نضبا
طلعت لي قمرا سعدا منازله حتى اذا قلت تجلو الظلمى غربا
كنت الشبيبة ابهى ما درجت وولت كالورد اذكى ما اتى ذهبا
استودع الله عيشا ما تنهى ذنبا حتى تروب وقلبا يرتمي لهبا
وطاعنا اخذت منه النوى وطرا من قبل تقضي الهوى من حكمه اربا
غضي عليك بتاع الصبر ان لنا اليك اوبة مشتاق ومنقلبا
ابى المقام بدار الذل لي كرم وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا يزال الدهر ضاربة دون الامير وفوق المشتري طنبا
يا سيد الامراء الفخر ما ملك الا تمناك مولى واشتهاك ابا
اذا دعتك المعالي عرقها منهم لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
يا ابن الذين اعدوا المال من ملك يرى الذخيرة ما اعطى وما وهبا
ما الليث مختطما والسيل منتظما والبحر ملتطما والليل مقتربا
امضى شبا منك ادهى منك صاعقة اجزى مهيبا وادنى منك مطلبا

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من تراه ملوك الارض فوقهم كما يرون على ابراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول اصدقه ولا تهابن في امثالها العربا
فما السموال عهدا والخليل قرى ولا ابن سعدى ندى والشنفرى طلبا
من الامير بمعشار اذا امتحنوا اما ترى المجد فيما اسلفوا هبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يعشرني والمازني ولا القيسي منتدبا
هذا لركبته وذا لرهبته وذا لرغبته وذا اذا طربا

ثم واستولى على بلاد خراسان وارتفاع عمالها فجبيت له عن آخرها وكتب الرضي اليه يستنزله عن بعضها لاطماع حشمه وعوارض نوبه فاعتل عليه باستغراق اعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة يحملها لتتمة اطماعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعته بجفا ويشرب حسوا في ارتغا ونصب ابا علي السنجي لصحابة الديوان وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان فلم يترك ذا ذر الا اذى خلقه والصق بظهره ثم طالبه بما رفع عليه وامر بدق يديه على رجليه الى ان اغنى بعض المال وكان يلحوه على شر حال وصار يكاتب الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة هرون بن ايلك

بغراخان وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا خراسان وما ورا النهر متى ملك على الرضي بخارا ان كان مثله كما قيل

بمحمد سلوا سيوف محمد رضخوا بها هامات آل محمد

وهو في ذلك يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا بزعمه للتقية او نحو الى الرعية وقد كان طايفة من دهاقين ما ورا النهر قوم املتهم ايام تلك الدولة تعوست نفوسهم الى الاستبداد والاحماض عن خلة الالف والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك الحرم وشاحذين عزمته في المضا والتصميم فصار يتطرق تلك الحدود شيئا فشيئا كالبازي تحلل بمصاح اجفانه على التدريج تانيسا له من الوحشة وتسكينا من الروعة وتضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا انج الحاجب في طلبه ورده على عقبه فالتقيا على حرب اشابت الذوايب وانارت الكواكب ثم انجلت عن اسره انج الحاجب في الكبار من القواد والكثير من الافراد واستحكم لذلك طمعه في تورد سائر البلاد

ذكر فايق وابي السيمجوري بعد الواقعة المذكورة

اقام فايق بناحية مرو الروذ على رم الرث وجبر الكسر واسو ما فشا في عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم نشره سار يريد

بخارا عن غير استيمار واستطلاع راى فارتاب الموصى به فلما قاربها
برز الى فضا المسهلة بنابه ونماه باتح وبكتوزون الحاجبين وسائر
مواليه وموالى ابيه فلما رهقه الكفاح وعضه السلاح اجفل
اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل
والاسر المذليل وانى المنتصر منهزما فوجد السفن معبية
فركب الخطر واحتال حتى عبر وسار الى بلخ على ان يناشزها
ويرياش وانام بها اياما ثم عبر الى الترمذ وواصل بغراخان
بكتبه يبعثه على الانحدار وحثه على البدار وخوطب من بخارا
والى الجوزجان ابو الحرث احمد بن محمد الفريغونى لقصده وحصده فجمع
جيشا عظيما وساق من ارض الجوزجان بريما فانتدب لهم احد غلمانه
وكان يعرف رسلان اخر سلار فى زها خمسماية من الترك والعرب
فانقضوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطيور ومزقوهم
بددا وجعلوهم طرايق قددا وفرشوا الفضا بجثث القتلى وغنموا
مالا لا يعد ولا يحصى وعادوا الى بلخ ظاهرين وقد كان طاهر بن
الفضل ملك الصغانيان على ابى المظفر محمد بن احمد وهو واحد
خراسان جلالة قدر ونباهة ذكر ومتانة راى وحجر ورصانة
نظر وتدبير فانقطع ابو المظفر الى جانب فايق صارخا فزعا فاحسن احد

وامده بمن يوده وراءه فاغتنم طاهر بن الفضل خفة اصحاب فايق
ببلخ لغيبته عنها طامعا فى الاستيلا عليها فزحف الميمون
بها المدافعة ولهذوا المناجزة وتناوشوا النزال وصدقوا
المصاع والصيال وثقف بعض العرب مكان طاهر بن الفضل فقصد
قصده بطعنة اذرته عن مركبه وبادر اليه فاحتز راسه
عن مركبه وثار الصياح بقتله فولى اصحابه على الادبار هاربين
بين سمع الارض وبصرها وهام بين اشاجرها ومدرها وللماجرى
فى امر الحاجب ما جرى ونقل الى بلاد الترك فى زمرة الاسرا
انتقضت امر الاعمال بما ورا النهر ووهت قواها وتداعت قواعدها
وبناها واشفق الامير الرضى واركان دولته من ان يتفاقم الامر
ويتراكم الشر ويعضل حادث الدا ويتصل بانى الما فخوطب فايق
فى الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة وازاحة العلة بالاموال
الى سمرقند فلم يرعه الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة
وظهير الدعوة وقد استثار الحلبة فوادم الطير ركضا لم يبل فيه
جماما ولا غمضا فولى فايق من بين يديه هزيما ولم يلو على تعرف
الحال يمينا وجعل من كان معه من اصحاب السلطان عرضة للثبور
وفريسة لانياب الحتوف وتوافقت الشهادات على ان انهزامه كانت

واستوصل الى ان يستنطقها على لسان الطلل البالى [illegible]
الاطلال وابدل عنها حسن [illegible]

عن مواطاة منه لبغراخان على آل سامان فعل من لا وفا يردعه
ولا حيا يزعه ولا نعمة تخفه ولا حرمة تكفه وسار كما هو حتى
أتى بعقوة بخارا فراع السلطان بالداهية الدهيا والخطة النكرا
والقضا المبرم من السما حتى اضطر الى مفارقة الدار واللياذ
بذمة الاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضي عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد قفول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فائق مختصا به ومنخرطا في سلكه
ومكثرا لسواده ومطيعا اليه لين قياده كأنهما كانا على ميعاد
وتلاقيا على سابق صحبة واتحاد ولما استقرت الدار به قرارها
استأذنه فائق في النهوض الى بلخ لاستضافتها الى ولايته واثارة
أموالها لخزانته فأذن له فيه وسار الى الترمذ وبعث بعثا الى بلخ
فاحتاط عليها ونصب بها من يجبي الاموال ويدبر الاعمال
واهتبل الامير الرضي فرصة البروز من مستتره في بزة المتنكرة
حتى عبر النهر الى آمل وقد كان هاجر اليها امامه عدة من
خواصه وحجابه وغلمان داره عابرين جابرين فاعتدوا المقدمة عبيد
وظنوا انهم استثنوا خلقا جديدا وتلاحق بهم ابنا الهجرة فنموا عدة وعديدا
واعتمد الامير الرضي ابا علي البلعمي للوزارة وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة

فعجز عن التدبير لضيق الحال والمجال وانسداد وجوه الاموال
وتزايد عدد المهاجرين من الرجال وقد كان نفى عبد الله بن عزير
الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة وامر الرضي بالكتاب اليه
في استحضاره لاستيناف الاعتماد عليه فيما كان يليه واستكفائه
المهم منه وفيه فبادر اليه مغتنما خدمته في تلك الحال ومتوصلا
الى مرضيه بوجوه الاحتيال وقد كان الرضي من لدن نجوم الشر
واستطارة شرره باعثا الى ما ورا النهر من جهة الترك كاتب ابا علي
محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد لحياطة الحوزة
وحراسة البيضة في الاستنفار والاستمداد ويتلطف له في التجشيم
للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوي البغي والعناد بعد ان سامحه
باموال خراسان واغضى له عن ارتفاعاتها ترضيا له واحتمالا لامنه
واستبقا للصنيعة عنده وطمعا في الانتفاع بشانه والاستظهار
بمكانه فبعد الاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز حتى
استغرقت مواعيده شهورا عدة ثم نهض من نيسابور الى سرخس ومنها
الى مرو وفي مثلها من المدة يتربص اثنا ذلك زحفة القوم وتغلبهم
فيشاطرهم الملك على حاجز النهر فيكون ما دونه له وما وراه لهم
وكان قد اتصل به وبخدمته طايفة يزينون له هذا الراي ويحلونه

فى غيبته وخلوته فى معرض المغضوب عليه تعرّضا اليه وتوسّلوا
له انها دولة قد تمت ايامها وحان ان تنوح عليها اضدادها وهامها
لاستمرار العثرات عن الاطراف بها وانثيال العقوق من كل الوجوه عليها
وان المعنى بنصرتها مخذول لخذلانها محكوم عليه بالادبار
لادبار زمانها ووهى قواعدها واركانها فلما استقر ذلك السلطان
بامل التسلط كتب اليه بان الخفا قد برح والبلا قد برّح وانّه
آن له ان يستاثر بعز الاحدوثة فى تظاهرته والاقتدا بسلفه
الذين هم صنايع دولته ودولة ابائه فى طاعته ونصرة دعوته وكفّ
الاذى عن وجهه وردّه الى دار قراره ومعشّش اوليائه وانصاره فقد
قطع طمعه الا من جهته وبيّن الامر معونته ومعوّنته وقبل هجوم بغراخان
على بخارا ما واصله بكتبه فى الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة
التلطف الى التضرّع فى الاستنفار والاستجاشة فمن تلك الكتب
فصل حفظته من انشا ابى على الدامغانى وهو وانما تحتاج الدولة
الى عمادها اذا قصدها من يزعزع اسبابها اوتادها فالله فى هذه
الدولة فقد جاءتك مستغيثة بابائك لائذة بك فكان تاثيره فيه تاثير
الرخا فى الصخرة الصما لا خرش ولا حك ولا شق ولا شك وفرش
خلال ذلك بساط الدالة والاقتراح بستزيد مرتبته فى المخاطبة

على ما كان يخاطب ابوه وغيره من اصحاب الجيوش به ثم لم يرض
بذلك حتى اقترح الجمع له بين التلقيب والتكنية على العنوان مستوفى
الولا الى امير المومنين وانّما ولاوه لال سامان وقابل الرضى جميع ذلك
بالاجابة ووفاه ما اشتهاه من المخاطبة وقد كان يقترح ذات
يوم على لسان خادم للرضى ورد عليه رسولا ويعرف بارسطاطاليس
ايام مقامه بامل زيادة على المبذول له تجرى مجرى الحال والتسلط
فقال ايها الامير ان ذلك السلطان وقته هذا اليوم يجب لو اقترحت
عليه مخاطبتك بالتامير لاوجب اجابتك اليه ولكن ورا اليوم
غد فاختر لنفسك ما هو اجمل بك واذكى فى الاحدوثة عنك
وكادت عند ذلك العيون ان تصوب والقلوب ان تذوب
واستمرت العشوة به فلم يرد على وعد مطال وتسويف ومطال لاجرم
ان الله كفى الرضى شغل ما دهاه ونصره وآواه واعاده الى خطته
ومثواه وختم بالخير عقباه واسلم الغادر بما كسبت يداه وما الله
بظلام للعبيد ذكر انصراف الرضى الى بخارا بعد خلا بغراخان عنها
واتفقت ان مست بغراخان علة استوبل لها المقام
ببخارا فانزعج عنها عايدا ادراجه ومعاودا اهواه وعمد اهل بخارا
الى تناوش عسكره فتخطفوهم طرا ودحروهم دون نحو البهاد حرا

وبادر الاتراك الغزية على اثره شلاً وطرداً واسراً وطعناً
ولم يبق يمنى على الاحجام والانهزام على ما به من الم السقام الى
ان ذاق كاس الحمام وحين احس الرضي باجفاله على حاله اشد العبور
الى بخارا بمن شام اليمن من حاشيته ورجاله فتباشر الناس بما اتاح
الله من عوده الى دار ملكه ومقر عزه تباشر الصيام بهلال الفطر
وذوي المحول والاعدام باستهلال القطر وصفت له بخارا وسمرقند
وما يصاقبهما من ولايته وسائر مملكته ولما راى ابو علي ما استقام
لامر الامير واتضح من المنشر وسقط من ناجم الشر وخمد من نائرة الفتنة
التي قد دها صمّاً لا تسمع ودهيا لا تنقطع واضاف الى ذلك
ان نواحي المال التي عصا القرار بخارا كانت على الرسم الذي كان
يكاتب ولاة خراسان اصحاب جيوشهم بها عنه واف له بالشريطة
التي كانا هادنا عليه وتراضيا بها من النزول على رتبة التماثل
وانتسام جانبي الملك على حكم التناصف والتعادل سقط في يده
وفت في عضده وذهب عليه امره واظلم عليه رايه لاسفار الايام
عن خلاف تدبيره وانكشاف العواقب عن ضد ما احاله
من نتاج تدبيره فاستشار نصحاءه فيما دهاه واستقدح
ابا الهم بما عراه

فاشاروا عليه بمعاودة المقرب واستيناف التلطف واحتيال
ما بين عارض الوحشة وبحاسمة المعصية وبسد خلل التقصير
الواقع في الطاعة فاعد من صنوف الاموال والهدايا ما دام ترضيه
به واستمالة قلبه واستلانة جانبه عليه وسنح لفايق بعد احسانه [margin: به]
بعود الرضي الى قرارة ملكه ان يتهد الى بابه متغلباً عليه
ومتحكماً على رسمه فيه وقد كان ذهب الرضي من جهته مثل ما دهاه
من جانب ابي علي من تصامم التدابيه وتقاعدا عن نيابه وتقاعسا
في فرض طاعته وولايه فضرب الرضي وجهه بوجوه خاصته ورجال
بابه ونادى شهم الحرب بغلمانه وكافة اعوانه حتى استلحمت العدد
الجم من الفريقين وفرشت المضا بالقتلى من الجانبين ثم انكل عنهم هزيما
وحث مركب الجماح حرصاً على النجاة والى الشطاهسيما فعبر
الى بعض الاطراف وتلاحق به من اخطاه ظبات السيوف وحلق الا [margin: سار]
من اصحابه فانحدر بهم الى ابي علي منقطعا اليه ومنخرطا في سلكه
ولا يذا بذمته ومستنداً باطل طاعته ووافق ابو علي منه منيته
التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه ويعدها على الحادثات
احد سلاحه واستقبله باهل عسكره على اتم اجلال واعظام
واعم اكبار واكرام واحسن ترتيب وترحيب وبسيط تنويه وترحيب

ونسّم بمكانه روح الغنى عن الرضى فصرف اليه ما كان اعدّه له
من الهدايا مصرّحاً بالجفا والخلاف ومجاهراً بالتمرّد والانحراف
وتجانفا على الوفا والصفا والتضافر والتظاهر على الاعدا
ونهضا الى نيسابور للاستعداد وتخمير الراى في تاريث نار العناد
ولما يئس الرضى من صلاحهما له دبّر في الاستعدا عليهما والانتصاف
منهما بمن يشتدّ باسه ويحدّ في اللقا مراسه فوقف به التدبير
على الامير ابي منصور سبكتكين لما توسّمه فيه من امارة الخير باعتكافه
على غزو الهند احتساباً لثواب الله وادّخاراً لكرم القربة الى الله
فارسل اليه ابا نصر احمد بن محمد الفارسي النايب عنه ببابه وكتب على
يده بذكر ما اعياه من الدّا بمكان مولييه ابي علي وفايق وخطبهما
على دولته وقصدهما اياه في نفسه ومملكته واستيثارهما عليه بارتفاعات
حوزته غير راجعين الى حشمة ولا راعيين لحق نعمة ولا متمسكين
من الحيا بعصمة وان الذي دهمه من امرهما قد سدّ عليه وجه الخلاص
وطريق الانتصاف الا من جهته وما يرجوه من فضل معونته ولطف التوصل
في استدعايه وتطميعه في جمال ما يتكلّفه من نصرة اوليايه بفرط
قوته وغنايه فصادف وصول الكتاب والرسول بغيتها منه من ناحية
اجابة منشرحة للطاعة توّاقة الى مقام الجمال بارتهان رضاه

ومرافقته وبادر بالعبور الى ما ورا النهر للقا الرضى ومشاهدته
واستماع المقصود من رايه واشارته ونهض الرضى الى ناحية
كش فخيّم بها على موعده ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا
هناك على احسن ما سمع به في مثله من تسوية المواكب وتعبية الخيول
والكتايب وقد كان الامير ابو منصور سبكتكين يستعفي لشيبته
عن مستنزل الخدمة وملتزم الارض على رسم الطاعة فاعفي عنه
اكتفاً بصدق العناية والرعاية منه حتى اذا اختلطت الخيول
وامتدّت الصفوف واصابت عيناه صفيحة وجه الرضى ازعجته
روعة الملك وابهة العزّ للنزول والتبرّع لما كان يستعفي
منه قبل الوصول فتلقاه الرضى باتمّ الاكرام والاعظام ورعاية
الحقّ والذمام وجرى مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة وباشر
الخاصّة والعامة وامر الرضى باقامة ما وجب له اقامته من
صنوف الانزال واتباع ذلك بما يصلح اتباعه من طبقات الرجال
وساله بعد ذلك ان يفرّغ له نفسه ويصرف الى قصد ابي علي
وفايق وكفاية شرّهما عزمه فضمن له حسن الطاعة وبذل الوسع
والاستطاعة واستاذنه في الانكفا الى وطنه ريثما يجمع متفرّق
الاهبة وينظم منتشر العدّة ثم يواجه الخطب بجدّ جديد

خدّ
وحديد وبأس شديد ورجال يموجون في بحار من الحديد نازله
وصرفه وامر له من الخلع الفاخرة والمبارّ الراوية والاحبية الباهرة
بما ضاهى جلالة قدره واكّد الثقة بصادق وعده ورجع كلّ
منهما الى مكانه واقبل على استصلاح شانه ومحادثة سيفه وسنانه
وورد على ابي علي من ذلك ما ابهم عليه وجه التدبير وسدّ عليه
باب التقديم والتاخير وجعل الراي شورى بين اصحابه فيما اشتر
له الامر عن نابه فكانت زبدة مخضهم مكاتبة فخر الدولة ومعاودته
وموادّته ومعاهدته وتاثيل حال بجانبه جنّة ليوم العثار
ونائبات الليل والنهار فارسل اليه ابا جعفر بن ذي القرنين
بما عرض من خطب خراسان واورد الصاحب بمثل ذلك طمعا في حصول
الغرض المقصود من الاتحاد على الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه
ثم قال مخاطبا عن صاحبه مثلنا في مثل هذا التافه الطفيف الى
الصاحب مثل من يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب قد يحمل
التمر من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الى هجر لا للحاجة
اليه ولكن للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد
اسباب الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة ودرّت
المكاتبة واستحكمت الصداقة وقد كان مامون بن محمد صاحب الجرجانية

وابو عبد الله خوارزم شاه قد احسنا التقرب الى الرضي ايام
اجتيازه الى آمل بما ساعدهما الوقت عليه من مال ورجال فعرف
ذلك لهما واحبّ ان يجزيهما عما اخدماه به وقدّماه من قديم
الطاعة فجعل نسا برسم مامون بن محمد وابيورد برسم خوارزمشاه
وعقد لكلّ منهما على عمله وبعث اليه بالمنشور على الرسم
في مثله فانهض كلّ واحد منهما من جهته من يقوم بضبط عمله
وتدبير ما فوّض اليه واضيف به فافرج ابو علي لمامون بن محمد عن نسا
لحالة في المودّة بينهما قديمة واسباب في الاتحاد وكيدة ودفع
ابا عبد الله خوارزم شاه عن ابيورد اعتلالا بانّها ولاية اخيه
ابي ابرهيم وانّه لا يمكنه النزول عنها الّا بعوض له منها وامر
بطرد اصحابه عنها وشلّهم دونها فاسرّ ذلك خوارزم شاه
في نفسه الى ان تمكّن من الفرصة في امره فاستشفى منه على ما ستنشر حه
عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال ذلك رايات الامير ابي منصور
سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من وعده وقد جمع واحتشد
واستمدّ واستنجد وتام في الاحتياط والاستظهار وقعد وساق
امامه الفيول التي ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته
وعبر المضيق الى الجوزجان والتقى مع الامير ابي الحرث الفريغوني في

والبها واقام الى ان وصل اليه الامير سبكتكين ولحق به الشار ومن
جرى مجراه من زعماء البلاد في طبقات الاجناد واجتمع سواد شرقت
بهم المسالك والمذاهب واجدبت عليهم المراتع والمشارب ونهض
ابو علي وفائق من نيسابور الى هراة وبها ايلمنكو غلامه وصاحب
جيشه فخيّم بها مدافعا عنها ومراميا دونها وضوى اليه من كان
مقيما من جهته بمرو الروذ وباذغيس وغيرهما اخذا بالحيطة و
احترازا من الغرة وسار الرضي في الامير سبكتكين حتى اناخ بناحية
بغ وارسل عند ذلك ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي
كانت بينه وبين ابيه في المواثق المعهودة والحرمات الوكيدة وما
استمر عليه بعده من سيرته في الاتحاد والوداد والاشتراك
والاشتباك وساله ان يتوسط الامر بينه وبين الرضي على ما يجلو
حزازة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويسترد شاردا اناته ويمسح
جانب مرضاته محتكما عليه بما يستصوبه في حسم الداء وحقن الدماء
وتسكين الدهماء وتالف الاهواء فاحسن الامير سبكتكين الاصغاء
الى ما سال وشد النطاق لما التمس وما اجتهد الى الاستصلاح
ووضع السلاح على عادته في كراهة الشر واماتة الاحقاد
والاحن وسال الرضي في مجالس عدة تشفيها ورسالة ان ياخذ

بادب الله تعالى في العفو والغفران واقالة العثرة بفضل
البر والاحسان اشارة الذي هو ارب للتقوى واحمد في البدو والعقبى
ولم يزل به على اتصال تغربه واشتغال جمرته حتى سمح بالاجابة
واسمح بالعفو والاقالة على ان يفتدى من اوزار عصيانه بخمسة عشر
الف الف درهم يؤديها في ثلثة انجم على رسم الموافقات فكتب
الامير سبكتكين بذكر ما استتم من الصلح على يده واستظم من عقد
الصلاح بسعيه وجهده وتشاور اصحاب ابي علي ووجوه قوا ده
في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامة
واغتناما لما يرجون عليه من السلامة فصادف ذلك حدة
من شبابهم ونزقا من احداثهم وذهابا منهم بانفسهم عن الاذعان
للمكافاة والرضا بالصلح الجامع لمصلحة الكافة وثار من
ذوبان الاكراد وسرعان الصعاليك طايفة الى معسكر الامير
سبكتكين فاختلسوا منه غلاما له كان يلي امر الفيلة وقتلوه في
عدة ممن اصابوا غرتهم ووافق ذلك ان رسول الامير سبكتكين
لما كر وراه بجواب ما حمله وافق ابا الفضل الزيادي احد
الاعيان من قواد ابي علي موكلا ببعض تلك الثنايا والمخارم
فقال انهيهات ان سعيك لفي ضلال وان صاحبك ما ينطق الا بغي

ما لحق باخلاص النصح وابنائه ما دامت هذه العين حافظة
سوادها والعواتق حاملة نجادها عنى به قول القائل

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم

فلما نمت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط غضبا وقضى
من ادبار القوم وخذلانهم عجبا وعزم على المناجزة واستخار
الله في صدق المناوشة وارسل الى ابي علي ان جردت ارهاف
سيفك وسنانك فقد جئتك بما لا يغنيك منه غير حدة الحسام
وثبات المقام وزحف الى الفضاء الرحب بعرونه على ثلثة فراسخ
من هراة فرتب الخيول مقانب ومناسر وعبا الجيوش ميامن
ومياسر وشحن الصفوف بفيلته المخففة كانها شواهق اعلام
او طوارق غمام ووقف الرضي به وبالامير محمود ولده وسيف الدولة
في القلب مشحونا بحماة الرجال ومحفوفا بكفاة الابطال لابي تمام

من كل ازوع ترتاع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد
يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل السنان على حوبائه يرد

وسار بخيله الارض سائرة والجبال مائرة والنجوم منكدرة
والسماء منفطرة وثلاثمن وقع السنابك نقع اوهم كسوف النهار الشامس
او عود ظلام الليل الدامس وقد كان ابو علي رتب جيوشه اسوة

الامير سبكتكين فجعل قابوسا في الميمنة واخاه ابا القسم بن سيمجور
وايلمنكو في الميسرة وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفا
والحفيظة من ثقاته فكانوا على الحقيقة جيش الطواويس من
بيض الحديد ومعان الحمر والبيض واشرقت عليهم الشمس فبرقت
لها الاحداق وتلالات الآفاق حتى اذا دنت الخطى
بين الفريقين بدأت القابوسية بالحملة على ميسرة الرضي فبددوا
نظامهم وزعزعوا عن المقام اقدامهم وثنى ابو القسم بن سيمجور
بمثلها على من قابله فصنع صنيع الآخرين وحمل دارا بن شمس المعالي
قابوس بن وشمكير من قلب ابي علي فظنوه يسعى لشرف المقام
او رعاية حق الانعام حتى اذا بلغ بين الصفين ولى ظهره بترسه
واقبل على موقف الامير الرضي بوجهه فاستأمن اليه ووقف للقتال
بين يديه فانخزل اصحاب ابي علي لما اخذه من الذمة وقطعه
من العصمة اشفاقا من مراطنة اضرابه اياه على مثل صنيعه
وعندها حمل الامير سيف الدولة على قلب ابي علي في سواد دلح
بثقله كاهل الارض وسد بتسطله مناكب الافق فلم يثبت احد
من اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة بسلاح بل انفضوا عن مواقفهم
انفضاض العقد خانه النظام واسلمه النذ والتوام وجعلوها

هزيمة اشتكت بها الاعلام وعضت بجموعهم الاباطح والاعلام
وركب الامير سيف الدولة محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام
انصافا وتسقي النفوس سماما ذعافا فلم يبق الاسر عان ثلث
الجموع ومن خفف على ظهره ثقل الجواشن والدروع وغنم العسكر
اموالا لو انتثر بعضها على الصلح المعقود لبيضت الوجوه بما بها
ووضعت الحرب تلك الاوزار عن انيابها وسار ابو علي بالفل
من اشياعه الى نيسابور فاقبل بها على جبر الكسير وريش
المحسير استعدادا للاخبار عنها قبل رهق اللحاق وترشف
التلاق وخيم الامير الرضي والاميران سبكتكين ومحمود بظاهر
هراة ريثما استجمت ركابهم وتوفرت على الاولياء رغائبهم
وهناك لقب الامير الرضي الامير سبكتكين بناصر الدولة والدين ووارث
ملكه الامير محمودا بسيف الدولة وفوض اليه قيادة الجيوش سادا
مكان ابي علي به وسار الى نيسابور في هيبة اشعرت النفوس مهابة
وملأت قلوب العداة كآبة ورجال كالقروم المصاعب وابطال
كالاسود مخطومة بالاساود وفي ذلك يقول ابو الفتح البستي

بسيف الدولة اتسقت امور رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بني سام وحام فليس كمثله سام وحام

الى ان آتاه الله الملك منه الى مظنة الاستحقاق وشهره بلقب اليمين
في كور الآفاق وفي هذه الوقعة يقول ابو عامر النجدي

قل للحوادث غضي الطرف خائبة فقد اضا بسيف الدولة الامل
بصاحب الجيش محمود العلى رسخت اركان ملك عليها عبرها طلل
تاج الزمان وسيف الملك عاصمه وخاتم الملك في يسراه يشتغل
في تاجه قمر في درعه اسد في جوده امل في باسه اجل
تاهت به الخيل واختال السرير به واقبلت طاعة تسعى له الدول
لو صافح الشمس من عز دنت مثلا او خاطب النجم لبى صوته زحل
رأى خراسان منه هيبة قهرت حتى تزعزع منها السهل والجبل
اضحت رعيته والله يكلؤه حمام مكة مضروبا بها المثل
لما طغا آل سيمجور رميتهم بالجيش شعثا عليها الصيد والاسل
حتى اذا ما التقى الجمعان لم يقفوا الا واضحوا الهاد حالهم ظلل
فالهند والغور قد شابت شعورهم لما راوا منك من باس وقد قتلوا
لله درك يا محمود من ملك اذا النفوس استمالت والوغا زجل

ثم ارتحلوا على وجه نيسابور ولما تسامع ابو علي بنباهم
فارقها متحدرا الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها على فخر الدولة
في بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى الم بها وكتب اليه بالحالة

التي الجأته الى قصد ولايته والانقطاع الى جانبه مملكته وارسل
ابا نصر الحاجب اليه في تقرير حاله واستدعاء معونته برأيه وماله
واستنابة الصاحب في تنجز ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة
وصاله ويعده لها من ثمرة وداده وامر بمال يقام مياومة لوكيله
وبالفي الف درهم من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره واقام هو
وفابوس حتى انحسر عن غرة الربيع قناع الشتاء وقد كان الرضى
انحرف عند انحدار الاميرين سبكتكين وسيف الدولة الى نيسابور
لعبد الله بن عزير وزيره الى طوس التجاء اليه مما صوره له
من ارصادهما اياه بالمكروه على ما دعته النصيحة اليه من مناقشتهما
في بعض الاعمال والاموال فنهض الامير سيف الدولة على اثره اظهارا
للبراءة واستشعارا للطاعة واستتماما للحزمة وازاحة لعارض
الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب تحت خوافي الليل الى مرو
على عوادل الطرق اشفاقا على نفسه من عادية المضرب فعل
المتهم المريب وتلقى الرضى مورد سيف الدولة بتمام استبشار
واقبال وصرفه وراءه على احسن حال وانعم بال وادخل بعقبه
الى مرو لاحقا بوزيره وتم منها الى بخارا حتى استقر بها على سريره
وقد كان الاميران ابو منصور سبكتكين وسيف الدولة حين وصلا الى نيسابور

فرشا بمهاد العدل ورفعا عماد الامن ونشرا رسوما كانت
جائفة من قبل فنسخاها ببث الرأفة وحسم المخافة وارتياد مصلحة
الكافة فانشرحت الصدور واستقامت الامور وامنت الطرق
واتصلت القوافل والرفق ثم سنح للامير سبكتكين ان كر الى هراة
لمطالعة ما كان برسمه فسار واقام سيف الدولة بنيسابور على
قيادة الجيوش وزعامة الجمهور وقد كان ابو علي طمح الى زيادة
من المال تحمل اليه معونة له لاقامات اهل عسكره من الري فكتب
ابو نصر الحاجب اليه باني عرضت الكتاب وقررت المراد فكان
من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الانهار العظام تصطفق
مياهها وتزخر شعابها فيرى الناس مستغنى عبابها ومندفق
امواجها ويغفلون عن عدد الجداول التي تغترف منها والسواقي
التي تتشعب عنها ولو انا قدرنا على مؤن اهل خراسان لاستصفينا ها
الى ما يليه من سرة الارض وواسطة الافاق لم لكنا قد سمحنا بما تيسر
والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش ابو علي من جوابه واستشار
ثقاته ووجوه قواده في تدبير الامر بصوابه واتيانه من بابه فاختلفت
آراؤهم بحسب اجتهادهم في المشورة ورؤيتهم في استشفاف العواقب
المستورة فاشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة

للرضى بهاد الكتاب بالطاعة اليه وضمان الانابة اذ كانت
تملك دولة قد اعيت صيد الملوك وصناديد القروم لهاببهم العساكر
وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض البواتر واذا التهم عليها صوبات
الرغائب وتغريرهم فيها بكريمات النفوس والحرائب وقد حصلت
له عفوا صفوا وانثالت عليه سهوا رهوا وبيع العين بالضمار محال
واقالة النقد بالنسيئة السيئة ضلال واشار فابق بمناهدة سيف الدولة
ومناهضته لاعتزام الفرصة عليه بتفرق الجموع عنه والخلال ابيه
بمخالفته هو اجرجان طباع عسكرهم ونكايته فيهم بمقدار
ما ينكر لهم الفضل ويحتدم عليهم الجو ووافق ذلك جمهور العسكر
لحرصهم على الوطن ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا على هذا
الراى وتطابقوا على الانكفا واضطروا ابا علي الى مساعدتهم
واتباع ارادتهم وعند ذلك ورد الخبر بمضي الصاحب ابي القسم
اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معنيا بمصالح ابي علي وتحسين اثاره
والاشارة على فخر الدولة باغتنام جواره ومعاودته على ثاره وفكره
الى ابي علي لغيبة فضل المقام واغراه بتعجيل الاستئصال ولما استاثر
الله بالصاحب رحمه الله اكثر شعرا العصر في مراثيه فمنها قول ابي محمد الخازن
ياكافي الملك ما وفيت حقك من مديح وان طال تمجيد وتابين

ثنا الصفات فما يبكيك من احد الا ومن بينه اياك يبكين
هذي نواعي العلى قد قمن نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعادة وكان الخوف اقعدهم واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم اذهم انتشروا مضى سليمن وانحل الشياطين

ومنها قول ابي سعيد الرستمي الاصبهاني

ابعد ابن عباد يهش الى العلى اخو امل او يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول ابي عيسى بن المنجم

والله والله لا افلحتم ابدا بعد الوزير بن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا اذني او جا منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومنها قول ابي العباس الضبي وقد اجتاز ببابه بعد موته

ايها الباب لم علاك اكتئاب اين ذاك الحجاب والحجاب
قال بلا رقبة وغير احتشام مات مولاي فاعتراني اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه فهو الان في التراب تراب

ومنها قول ابي الفتح البستي

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروي الارض فيض غمامه

فقد نلته لما تم تواضعهم بالعلى كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابي منصور الثعالبي

الا يا صاحب الدنيا وعين السؤدد اليمنى

اما استحيى ابو يحيى لنقض العالم الكبرى

لئن خسمت بك الدنيا لقد فتحت لك الاخرى

ورحل ابو علي من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول
سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمه فائق على طريق اسفراين حتى
اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه واختلط به وسارا مسير
المستعدين للحرب المجدين في الطعن والضرب وبلغ سيف الدولة
خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين بانبائهما وبرز الى ظاهر البلد في خف من العدد
وخيم به على انتظار المدد فاعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول
الامداد فاضرم عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصته اوارها من حيث
ترجل زاد الضحى الى ان لبث ذكا بينهما في كافر فتعصفرت
ارض الوغا بدما القتلى واصبحت مناسم الفيول رجالا كانوا
اركانا للسيوف عند اشتجار الزحوف واختلاط الاسنة والسيوف
وهم اصحاب ابي علي بالاحرار الجنا عن البراثم تداعوا من طلبا
نكاشعلة وانفتها الغدر فعز لسيف الدولة ان يحاز بمعظم حسنة المناخ اليه

الامير سبكتكين في امان من لباس الظلام ارصادا للخصوم يوم
الكرور على الثار واستلاما لفرار الامداد طمعا لهم بعقاب يوم
مرصد وتخلف عنهم ما اعياه استصحابه من اثقال وفيلة ثقال
وعجز عن جديه ركابه طايفة من رجال الهنود وسائر افناء
الجنود فذلك عند ذلك لابي علي شغله اطمعت في استقلاله
وعوده الى المعهود في ماله لكن الله قضاها سببا لاحتناكه
واستيصاله واشير عليه عند المامه بنيسابور ان يتنصر الى الامير
سبكتكين وسيف الدولة فيتحللها عن عدة الانتعاش والارتياش
وقوة الاستنجاد والاستمداد فاز بها افعل من كلت بصيرته
وانحلت مريرته وعمي عليه قصده ونفى اليه جده واخذ يعلل
بصعوده يده وخلو خزانته واشفاقه من خذلان عسكره اياه
ان دعاهم الى البراح وسامهم خطة الكفاح واخذ يلبث الى
بخارا معتذرا عن جنايته متنصلا عن بادرته ومستقبلا عاثر
عثرته ومستميحا قبول عذرته وارسل الى الامير سبكتكين رسالة
الواهي جلده المتناهي كمده المتخاذل لسانه ويده يخيل
بالكشفة التي استمرت بالامير سيف الدولة على فائق وسائر
اهل عسكره لا اكراههم اياه على مفارقة جرجان ومعاودة

خراسان وانه لو وجد الى مراده سبيلا او ذرى اختياره وهواه
متبلا لما اللبث لبث خراسان ما عاش نفاديا عن وحشته وحرزا
عن كراهته ويسأله ان يهب له ثاره ويستوهب لرضى خطاه
وعثاره فلم تزده رسالته على التطميع في اغتياله والتنبيه على اختزاله
والتضرية على اقتناصه والايمان من فوته وخلاصه وبث الامير سبكتكين
كتبه الى من تعرى عنه في ديار مملكته واطراف ولايته من قواده
واجناده في استنهاضهم الى مخيمه واستعمالهم الى مضربه فانهض
ابا نصر ابن زيد الى الامير خلف بن احمد والى سجستان بحثه الى اللحاق
به وكتب الى والي جوزجان ابي الحرث الفريغوني بمثله فطالع
حضرة الرضى بالاستعداد وانتظار ما يرد عليه من مثاله مكتب
الى القواد بخراسان بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب
عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو راموا الجو لاستنزلوا
طيارته او وردوا البحر لابدوا قراره وسار لاستقبال مسير
الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت به مذاهبه وقد كان فايق
عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهنا ويطمعه في
الاخبات اليه مهاديا يبتغي وجه مثاله ويكيل عليه من مكياله
ونكفا ايبرك الطوسي احد الامرا الباروذية لابي علي بن الطاعة

٥٢

والمناغرة والموافقة والمنافقة بتقدم رحلة للورود
وبوخرا ازي للتعود فارسل ابو علي ابا القسم الفقيه اليهما
لاستمالة وتحذيرهما قدم الضلالة فنهض اليهما واخذ له
الميثاق عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما فسار ابو علي
وتلقاه فايق وايبرك بناحية الطايران فاتفقت كلمتهم على التظا
ور والتضافر وخلصت نياتهم في التساعد والترافد واخذوا
معسكر ابيورد اندرخ فخيموا به وقد كان ابو القسم اخو ابي علي
قد عتب عليه لعدوله بولاية هراة وثمرات اعمالها عنه الى الملكو
غلامه وتقصيره به فيما كان يخطبه ويقترحه عليه من امثالها
على وفاية له وولاية اباه والتزامه حكم المشاركة له في كل
ما نابه وعراه فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور اعتلالا عليه
ببقية من اشغاله حتى اذا استشف مدة ارتحاله ابيه من وصوله
ووصاله احوج ما كان الى عونه ونصاله فزاد ذلك في انخزاله
وكسوف باله وحث الامير سبكتكين تلك الخيول في طلب ابي علي
حتى اناخ بطوس متبلا بعسكره فثار قتال الخيول وشبان الجنود
الى التطارد والتجالد فبقوا على ذلك سحابة يومهم الى ان قبض
الليل بسابق ابصارهم فعادوا الى مضاربهم وشاور ابو علي وجوه قواده

في معاداة الحرب فاشار اليه ابيرك الطوسي وذوو الحصافة
منهم بتلجي شعب الجبال لاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة ارجائه
وغزارة مايه وسعة العلوفة من ورايه ومماددة الحرب على اغرا
الرجالة الطوسية باطراف عسكره مبيتين وخاربين ومغيرين وعابثين
الى ان يدركه الملل ويلحقه الفشل ويتفرق عنه الحشر فعندها
يناجزونه على بصيرة وقوة مريرة واستماحة جبيرة متشعب
من سمع بهذا الراي من احداث العسكر وقالوا اما لنا تطاول اليوم
وتدافع الوقت لا يعرف الناس انا نميل عن المصاولة الى المطاولة
وعن المساورة الى المصابرة فهاجت نسانيهم المنية ونصحهم
منها كاشار وتنبه فاستقر عليهم التدبير وصار المامور هو الامير
وبث كل العسكرين عند انبلاج الصبح الى الاستعداد للقاء والاشتجار
لحرة الهيجا وانثالوا على تعبئة الصفوف متحرفة بالالوف
كاجام الليوث من ذبل القنا والسيوف وحض الامير سبكتكين
مواقف عسكره بنجب فيلة تحملت تحت التجافيف اطوادا مائرة
واتوا جاشا ندافعه ودنا الفريقان بعضهم من بعض فلم يرع مبيرة
ابن علي الا رهج ثار عليهم من ورا قربه فرضتهم ذات اليمين فاذا هم
بالامير سيف الدولة في الطم والرم والليل المدلهم تزلزلت اقدامهم

وضلت احلامهم وانقطعت امانيهم وراوا قلب ابن علي قد حمل
على قلب الامير سبكتكين فساعدوهم على حملتهم تنادوا باعز ابتهاج
سيف الدولة بهم ففرقوا المصنعة ونضوا عن الزحام موقفه فوقفهم
الامير سبكتكين فيمن احتفه والتف عليه من خواص غلمانه ورد
حملتهم في وجوههم فارتدوا على ادبارهم وقد اطل سيف الدولة عليهم
من ورائهم فبقوا المحصورين بين العسكرين فاخذتهم السيوف من كلتي
الجانبين وثار قتام خلط البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض
على بيض المفارق وحطم الدبابيس ما بين الطلى والعواتق وظلت
خراطيم الفيول تستلب الفرسان عن صهوات الخيول وتلقي القنابل
بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الابتهاج بهم والاهتياج بينهم والانتقام
منهم وصب السيوف عليهم ما الوسم به رسمه في زمانه لرهقة حداثة
عنانه وهذبته اداب سيفه وسنانه وفات المحصورون ثباتا
المبهج تحت غواشي الرهج وبردايا الارواح من بين مشتجر الرماح
فانجلت المعركة عن قتلى مضرجين بالدماء وجرحى مطرحين على
العرا واسرى ايسين من الفدا وذلك سيف الدولة افناء الفيل
فاسر منهم من قصر منهم عن اقتحام شعاب الجبال وعمي عليه وجوه
تلك المغارات والمداخل وكان من جملة الماسورين ابو علي بن نغا

الحاجب وبكتكين الفرغاني وارسلان بك وابو علي بن نوشتكين
وايناسان بن سجان ودرا الجيلي ولشكرستان بن ابي جعفر الديلمي
وهولاء اعيان عسكر ابي علي ورؤوس قواده ووجوه اركانه واعضاده
وسار ابو علي وفايق بين مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك القلال
الى ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تحكي الرياح بين نقابها وتزل
الابصار دون ذرى ابراجها وشعافها فاضافهما اميرك الطوسي الى
ان طعم لهما عدد من سبق ومن لحق وجملة من اجتمع ممن تفرق وكان
ابو علي قد سرب القبيلة التي قبض عليها بباب نيسابور الى كلات
في جملة صنعته فكتب ابو علي بن نغرا الحاجب وساير الاسرا يذكرون
ان الامير سبكتكين استدعاهم ومناهم ووصلهم وحباهم ووعدهم
الافراج عنهم متى ردت تلك القبيلة الى مرابط امثالها من
ساحته وسالوه ان يفعل ذلك تنفيسا عنهم واستخلاصا لهم
فتقدم ابو علي الى اميرك بردها والافراج عنها ونهض هو وفايق
على سمت ابيورد متحرزين عن تلك المضايق وبعث اميرك بتلك الخيول
الى الامير سبكتكين وكتب اليه يريه انه المتقرب بردها المتفرد
بالخدمة في بابها فاستعمر بذلك ذمته واحتاط على ابي علي
قرابته وفي ذكر هذه الوقعة يقول ابو الفتح الكاتب البستي

الم ترنا اتاه ابو علي وكنت اراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه رجال يقلعون ابا قبيس
وصير طوس معقله فاضحى عليه طوس اشام من طويس
وسار ابو علي وفايق الى سواد ابيورد على ان يقصدا الكورة نسا
فسنح لفايق ان يعدل الى سرخس لراي راه فخذل ابا علي
على المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما سمع ابو علي بنباه ارسل
اليه بانني غير مفارقك على اية حال تصرفت بنا من اجداب
واخصاب واحزان واسهال وان ركوب هذه الطريق كان على
لنا بادي الراي من الصواب واذ قد بدا لك في التدبير فاني تابع
رايك وها انا من ورائك فوقف له الى ان لحق به وسارا الى سرخس
ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر عدولهما عن سمت
ابيورد نهض على اثرهما واستخلف سيف الدولة على ما فوضه اليه
من اعمال نيسابور ضامنا عنه كفاية امرهما مقتضيا اوطارهما
بمرو ثم اخذا في مفازة امل الى الشط متحيرين بحزونة المفازة
وصعوبة المسافة وانسداد المسالك وانسدام المهالك والمياه
عصا القراب وارسل ابو علي ابا الحسين محمد بن كثير وابا عبد الرحمن
بن احمد الفقيه وندبهما الى بخارا في استعتاب الرضي واستيضابه

واستيفائه الى رعاية حقوق مواليه واوليائه ٥ فاما ابو الحسين
بن كثير فانه صرف وراه على وجه جميل وكتب الى ابي علي
في تمنية وتاميل ورسم له ان ينحرف الى الجرجانية ليقيم بها الى
ان يستانف تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه
امر باعتقاله ووضع في الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا
بعض المسودة بكتاب الى مامون بن محمد والي الجرجانية ليتقدمه
بتقرير حاله وذكر ما انتشى من الراي في بابه فاستفظع فائق
لما قوبل به رسوله وعمد الى ان يعبر النهر الى ما وراءه ملتجئا الى
ايلك مستصرخا اياه ومستعينا به على ما دهاه واشار على ابي علي
بان يساعده ويجمع اليه يده ويساعده فان الغرض المقصود في
طرحه الى الجرجانية تفريق ما بينهما من المساعدة والمرافدة
والاجتماع على الحادثات باليد الواحدة وان الذي عمسا فيه
ايديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرارا كان او اختيارا لا يوجب
الاغضاء عن تبعاته والذهول عن منافات ابائه وحمايته واختار ابو علي
متباعدته على مساعدته ومجانبته على مقاربته سيرا الله
فيما حكم من صدع شمله وقطع حبله ووضع رحله فليس لما
حطه الله رافع ولا لامر شاء الله دافع وانزعجا عن مناخهما

فاما فائق فانه عبر النهر الى ما وراءه عادلا الى ايلك مستجيرا
اياه وواصلا عروته بعراه فانهض من بخارا على اثره بكتوزون
الحاجب فتصادما بحدود نسف وولى كل منهم صاحبه ظهره
بعد ان ابلى في اللقاء عذره فتقبله ايلك احسن قبول وتلقاه
احسن مقول ومفعول وضمن له الوفاء بامله ورده الى ما استنزل
عنه من عمله واما ابو علي فاخطا الطريق وحرم التوفيق
فسار متثقلا بما اجترحه من العصيان خجلا لما فاته من فرصة البر
والاحسان قد كحلته يد الغدر بمرود الحيرة والسدر وعمت
عليه غياهب القضا مذاهب الفضا فهو يخبط خبط عشوا مستبدلا
بالمعذور مستسلما للطوارق المحذورة انشدني ابو حاتم
الحبشي المذكر النيسابوري في مثل حاله لبعضهم ٥

اذا اراد الله امرا بامرئ وكان ذا راي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما ياتي به مكروه اسباب القدر
اغراه بالجهل واعمى عينه وسله من رايه سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر

ثم ومر ابو علي قدما على سمت الجرجانية الى ان بلغ المسير به
الى هزارخان وهي قرية تقابل بلد خوارزم من الجانب الغربي

فأرسل إليه خوارزمشاه من أقام له نزلاً وقدّم إليه عذراً ووعده
العبور إليه غداً للمشاهدة وقضاء حقوق المادبة وقد كمن
له زهاء ألفي رجل من أقناء عسكره في خمر الغياض والآجام لاغتياله
جنح الظلام وحكى لي أبو علي الحسناني أحد ثقات أبي علي
وقد كان نهض فيما مضى من أيامه رسولاً من جهته إلى أبي عبد الله خوارزم
شاه أنه أنشده أبياتاً لابن المعتز ورسم له تبليغها أبا علي على معنى النصيحة

إذا أمكنت فرصة في العدو فلا تبد شغلك إلا بها
فإن لم تلج بابها مسرعاً أتاك عدوك من بابها
وإياك من ندم بعدها وتأميل أخرى وأنّى بها

قال فرسمها له وذلك قبل استيحاش أبي عبد الله منه فقبلها
منه بمنّة ثم ذهل عنها كأن لم يقرع بها قط سمعه ولم يستودعها
يوماً من الدهر ذرعه ولم يعلم أنها كانت رمزاً من الأيام له بأن
النوائب وإيماءً إلى العواقب ولم يدر أن للأفعال والأعمال جزاءً يحيق
بأربابها حسناً أو قبيحاً أو محسناً أو مسيئاً وغفل ليلته تلك
من الاحتراز واقتدى بغفلته سائر الناس حتى إذا اكتحل العيون
كراها ونعسة النجوم سراها صبحته الآفات بخفق الطبول وغطغطة
الخيول وأحيط بالقصر الذي نزله أبو علي على قبالة أو سبيل المراد

مع أسراره فثار من خف حوله من غلمانه للدفاع ونابت جمرات
المصاع وخفّ هو بنفسه إلى زعيم القوم يسأله ما خطبك ولماذا
حربك فقال إن خوارزمشاه أمرك بتقرب إليه برفق الإذعان
دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة أطفى وللأحنة أنفى وأبلغ
والإشفاق أقصر ثم أنت بالرأي أبصر فبادر أبو علي إلى النزول فاستردفه
الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت
غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فأمر به إلى بعض القصور
واعتقل فيه وشدّ الطلب على أصحابه وقواده فأسر منهم الأعيان
والأركان وأفلت إيلمنكو صاحب جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية
ونودي في الأفراد وخدم القواد من أقام يومه بعد ارتسف أبيح
دمه فتفرقوا أيدي سبا في الأقطار كشوارد الأمثال واعتقل
الباقون على صغار وخسار إلى أن أذن الله في خلاصهم بوالي
الجرجانية مأمون بن محمد وذلك أنه لما سمع بنبأ أبي علي وما
منه خوارزمشاه اضطرب قلقاً واضطرم حنقاً وبات يرعى
النجوم أرقاً إلى أن استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار
يستخفون مثاقل الأغلال ويخوضون مشارع الأهوال ويقذفون
رواسي الجبال ويستنزلون العصم من شعف القلال وسار بنفسه

ايلمنكو في خواص ابي علي رجال قد اوغرتهم الحفايظ والاحن
واحرجتهم الترات والمحن وهم يسعون الى الثار ونفي العار
ودرك الاوتار فعبروا الى كاث خوارزمشاه واحاطوا بها
احاطة الاطواق بالاعناق وناوشوه الحرب من كل اوب ودرب
فظلت تلفح وجوه رجاله بجمرها حتى اجلتهم عنها مدحورين
وحصلتهم في ربقة الاسار مقهورين ودمروا على ابي عبد الله
خوارزمشاه في قرارة بيته فاعتاقهم بين يديه ووصل الى ابي علي
يحجل في قيده على كعبيه وتبادلت حالاهما في رقعة من ادم
النهار فصار الاسير منهما اميرا والامير اسيرا وكان ذلك على الله
يسيرا وتحصل ابو علي نحو الجرجانية في احسن شعار
وحمل ابو عبد الله على قتب عار بين خزي وعار فاستقبلهما
مامون بن محمد فقابل ابا علي بالاعظام وعومل ابو عبد الله من وجوه
الاذلال بما يجل عن المقال وانسلخ الامير مامون بن محمد عن مجهوده
في كبار ابي علي واجلاله ومشاطرته صنوف امواله وافاض
العطايا العامة رجاله حتى انتظمت احوالهم واطابهم احتلالهم
وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا كانما عمل عليه صناع صنعا
تزيينا وتحسينا وتنضيدا وتنجيدا فما حتى غلبه في الشرب احتفا

لطف وسياسة اذ كان قد هجر الشراب وودعه منذ زمان
فلما اخذت الكؤوس ما اخذت منهما اقترح احضار خوارزمشاه
فاحضر يحجل في قيده ولم يزد في جواب ما يسال عنه وعبرته على
الاطراق ونقر الارض بالحذاق وجملة امره انه امر به فاذريت
هامته عن منكبيه فدحرجت الى الارض شيبته البيضا كذلك
يفعل الله ما يشا وصفت خوارزم لمامون بن محمد فرتب بها اقام
الخطبة برسمه وجبى اموالها على حكمه وتابع كتبه الى الرضي
متشفعا في امر ابي علي وسايلا تدبر امره وتونس وحشته
وتجبر خلته فخوطب هو وابو علي في الملتمس بصحيفة المتلمس
رضا بما ينطوي على حقد دفين وداء في الصدور ردي وامر
ابو علي بالمسير الى حضرة السرير فلاحت له اماني قعد بها
جده واضل عليها رشده فشخص نحو بخارا سايرا الى دمه بقدمه
وقد اغفلت الايام قلبه عن ذكر فعلاته وزلاته ليلقى قدرا
مقدورا وليقضي الله امرا كان مفعولا ولما شارف بخارا
استقبله عبد الله بن عزير والقواد على طبقاتهم مهنئين
ومتبركين ومضى بهم الى السهلة فنزل بها واخذ يلثم الارض
الى ان بلغ السدة ورفع له الحجاب وسار امامه الحجاب الى ان وصل

الى المرضي فاستوفى ادب الخدمة وليس ذلك كفران النعمة وانحزل
بعقبه ابيه لمكونى كبار اخوته وقواده حتى اذا نودي بدابته
للخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والاخرون
في التبود والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدي الاوليآ
والحشم فطيبوهم بالسلب والنهب وسلخوهم من كل مصون وذرب
وختمت حال ابي علي بن ذلك بيوم نظام فيه صورة واستقام
صغره واتبع له امره واعيا على ورده صدره كذلك كفران
النعم لا يرضى الا بسخط صاحبه وايساد الزمان عليه بانيابه
ونوائبه ورحم الله من قال فلقد احسن المقال ٥

اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من امره ازينه
واعجب بالعجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه

وقد كان الامير سبكتكين منحازا بمرو فلما بلغه ايقاع خوارزم شاه
بابي علي عدل الى بلخ فعني بها على جملة في الطاعة وارتياد
مصلحة الكافة الى ان ورد ابو علي بخارا وارعز في بابه
بما تقدم ذكره وطلع اشاد لك كتاب الرضي عليه بما به هم
به ايلك من الانحدار عن الاعالي وحيازة ما في ايدي عماله

من اعمال تلك النواحي ليسله بحشم الحقوق في وجهه والعبور
لكفاية امره مثابة للصنيعة عنده في استحياء دولته
واستبقاء ملكه وحوزته فاستشار في ذلك وجوه اصحابه
وذوي رايه فتزحمت الاجوبة بين بعيد وتقريب وتخطئة و
تصويب فاخذته العزة بالولاء وهزته الحفيظة للنداء
فعدل عن مشورة النصحاء الى صريمة العزيمة والراي واقبل
على الاستعداد والاحتشاد وبث كتبه الى ولاة الاطراف
وزعماء البلاد بتعجيل الورود وتقديم الوفود وعجل هو الى
العبور قبل تلاحق الجمهور ومضى الى ما بين كس ونسف فاقام
بقرية تدعى زاري نخيم بها الى ان وصل اليه ولاة الجوزجان
والختل والصغانيان وسائر اطراف خراسان وورد عليه سيف الدوله
من نيسابور في هيبة راقت العيون وهيبة راعت القلوب
ورجال يوزن احادهم بالالاف وافرادهم باضعاف قد دوختهم
الحروب في جدودها وارضعتهم التجارب من شطورها فلم يسمع
بمعسكر بما ورآء النهر جمع من كبار الملوك واعيان القروم وطبقات
الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم للنيابة فارسل
الى الامير سبكتكين عدة من شيوخ بابه وثقات اصحابه بذكر

انهما اخوان في ذات الله تعالى لائتلافهما على نصرة الاسلام
وانتسابهما الى بلاد الترك والهند بالغزو والانتقام وانهما بحكم
مساعيهما في اظهار دين الله وابلاج حجة الله احق بما ارتفاعات
خراسان وما وراء النهر من مستخلص بيته في مآرب نفسه وشهوات
بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا وان اجتماعهما
على خطبهما اعود عليهما من ركوب الخطر واجتلاب الضرر
لحظ يخلص الى غيرهما وانه لا يستحل في دينه ان يقعد بالسيف
عن اعداء الله الى وجهه الا اذا اضطره اليه ابتداء وسامه
الدفاع عن نفسه اعتداء فليختر الامير رداه من وفاق وافتراق
وايتلاف واختلاف فهو يسم بناره ويجري على غراره فرجع
اليه ان اعتماد الرضي اياه بنا مبله حين خذله ابناء دولته
وكفره انشاء نعمته يدعم اليه من خصه في حيف يجري عليه وملك
يراد انتزاعه من يديه وان تعزيره بجميع ما يحويه على استغراقه
ايام العمر فيه احب اليه من سمة الخذلان واختيار الاساءة على
الاحسان فليقطع طمعه عن التنازع حول تلك الرباع او فليأذن
بحرب يختلط فيها سوق الصفاح ويتقصد معها عوالي الرماح
ويرخص عندها غوالي المهجات والارواح فلما علم ايلك جدّه

وذاق بلسان الاختبار ما عنده فرع للامر ظنبوبه وشدّ
للحرب حيزومه ورمى احياء الترك بعد احجاف بينهم
علامات الاستنفار فثار اليهم الطمّ والرمّ جيوش تضل البلق
في حجراتها ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وكتب الامير سبكتكين
الى الرضي يستعجله اللحاق به ليقدمهم هيبته في مناهضة
الخصم وفلّ حدّه وزحزحته عن صدر الملك الى ما وراء حدّه
واشفق ابن عزيز على نفسه من حركته للهنات التي كانت الجأته
الى الهرب والتياذه به من حر الطلب وسمح الرضي بان الامير
سبكتكين وعامة ولاة الاطراف عبر النهر في احسن عدّة
وعتاد وابلغ استظهار واحتشاد وان الحرب التي استمرت
بك فقد تقصك عن تحمل مثالك وحطك برتبة الملك عن رحلك
فقبيح بك ان تجاوز من حالة اعلى من حالك ورجالة ام
استظهارا من فرسان رجالك والراي لك ان تستعفيه عن
شهادتك بنفسك على ان يحضر اليه وجوه القواد من جماهير
الاجناد من اطراف البلاد ويحكمه فيما يراه من محاكمة او مسالمة
ومكافحة او مصالحة ليكون فيصل الامر بيديه على الوجه الذي
هو احق عليه فكتب الرضي بذلك اليه فعلم ان ذلك من تسويل

ابن عزير واشتغاله وتمويهه واحتياله وقصده ان يخبط
عليه سعايته الذي سعاه في العبور واستجاشة الجمهور
وتحمل الاثقال واستقاق الاموال فسرّب الامير سيف الدولة
واخاه بغراجق في زهاء عشرين الف رجل الى بخارا لازعاجه
عن مكانه وسيّر معهما ابا نصر احمد بن ابي زيد لتدارك امر الديوان
كان برسمه فلما احسّ ابن عزير باقبالهم راى ليث الموت
كاشرا عن نابه وعقاب العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض
عليه فابتغى نفقا في الارض او سلما في السماء حتى اذا اعياه
ما توخّاه فزع الى ذمّة الانجحار ولاذ بكنف الاستتار فولّى
الرضيّ ابا نصر بن ابي زيد ما كان يليه وهو الشهاب الثاقب والنقاب
الذي هذّبته المناقب فاقام بكفايته عماده وقوّم منآده
وحذف عنه ما كان قذاه ووصفه ابو الفتح البستي
بابيات وفي الصدق بصاحبه وهي

وقيت ابا نصر المرجّى لتفريج كلّ ظلام بطلّ
له قلم حدّه لا يكلّ اذا كان في الحرب سيف يكلّ
يوجز لكنه لا يخلّ ويطنب لكنه لا يملّ
وكيف يملّ وتوقيعه اذا القول عليه يملّ

تجود قريحته بالبديع عفوا كجود النراح المغل
مدقّ مجلّ واولى الكفاة باعلى المكان مدقّ مجلّ

وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه

ابلغ مقالي كلّ عاف مجتدي ومؤمّل في قصده ان يهتدي
عرّج على الشيخ الجليل المرتجى وزر الوزارة احمد بن محمد
فرواه مثل العيون وحبّه مثل القلوب وسيبه مثل اليد
يغزي امور الملك رايا فيصلا وعزيمة تزري بكلّ مهنّد
ويفيض نايله بسيل واعب فيقول سائله غرقت فدى فدي
فانزل رجاءك الى علاه فانّه غوث الردى غيث الصدى بدر الندى
لا زال في يوم اغرّ مبشّر بالسعادة غرّة تطلع في غد
ليغيظ كلّ معاند وينيم كلّ مسهّد ويضمّ كلّ مبدّد

وقد كان الامير سبكتكين قد احسّ بابتناء ابن عزير على ابي علي وجدّه
في انفصال عنه لما يقدّره في الايام من التسلّح به عليه فلوّح
الرضيّ بميله الى ما يقع من نقله الى جنابه فاوجب قبل وصول
سيف الدولة اليه استعانه به وحمل هو والمنكو في عمارية كانت
حائمة لعمره قاصمة لظهره وامر به الامير سبكتكين فنقل الى جرد بن
في محمل لو راى من قبل مثله في منامه لعاف برد الما على ريقه

جمامه واستنفق عن طيب الحيوة باقي ايامه نعم واخذ
فيما بين نهوض سيف الدوله الى بخارا ايلك خان قبايل الترك و
استانف مسئلة الصلح فاوجب الامير سبكتكين اجابته الى ملتمسه
لقعود الرضى عن مشاهدته وفتوره في امر نهضته واشترط
عليه بان يشر خرج عما دون قطوان ولا يطلق عليه عنانه
ولا يسرح اليه عماله واعوانه على ان يقرر سمرقند على فايق
اجابة لشفاعته ورعاية لما سلف في بيت الرضى من حق طاعته
وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة بمشهد الفقها والاعيان
من الجانبين وانصرف كل منهما عن وجه صاحبه وعاد الامير
سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدوله نحو نيسابور وهدا على الرضى
ما كان متموجا من امور الاعمال واقبل ابو نصر على مهمات
الوزاره واكثر ما شغل الاشارة لنقل الولايات وفضول
الارتفاعات عن الوفا بما كان متثبتا في القديم من وجوه الاطماع
وفضول الارتفاعات عن الوفا والاقامات وجعل يزجي يوما
بيوم ويفتل ذا ابدهم الى ان ثار به بعض غلمانه ففتكوا به
وذلك على راس خمسة اشهر من وزارته فضاق الرضى ذرعا
بما دهاه لاشتفائه من ظن الامير سبكتكين

ان هنالك قصدا في امره او رايا في استجازة الحادثة به
واظهر الاكتياب واستعظم المصاب وبرز الى المصلى على
جنازته وامر باقامة التنكيل والتمثيل على الفتكة
به انشدني المظفر ابو شجى له فيه

قلوب الناس الحية سقاما ونفس المجد والهمة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن رزيت بفقدك الدنيا يتيمه

وفيه لبعض اهل العصر

لما توى صدر الوزارة احمد وهوت نجوم المجد في ملحوده
اذريت من فرط المصاب مدامعا كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد راى فرط الجوى والطرف لم يرح دمعه بصديده
خفض عليك فقلت لولا اجر ادعى ابكيه سنخه جوده

ذكر ابي القسم بن سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره بعد تقاعده

ولما انحاز ابو القسم عن اخيه ايام هجره الى ان ورد الامير
سبكتكين خاسرا من نيسابور فنهض اليه متعرضا للقايه ومهيد حال
في مماله وولايه فرعى حقه ورفع قدره وقوى اسره وضمن له
ما سره وخطب له الى الرضى ولاية قهستان فاجابه اليها وامر له
بالمنشور عليها وجرى الى ذلك يخلع عرفته بمنة الطاعة وكسيه

بمنة العز في الاختلاط بالجماعة فاوى الى قهستان ساكن الجاش
ظاهر الرماد ثابت الجناح مريع المسرح والمراح الى ان سنح للامير
سبكتكين عبور النهر لتدبر امر الترك فكتب اليه يستنهضه الى مجمع
اركان الدولة واعيانها ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الحازب
وممانعة الخصم المغالب فحملته نبوة العواقب واساءة الظن
بالنوائب وطراة عهده بخبر اخيه فيما ادرع من لباس الهوان وجرع
من كاس الذل والامتهان على ترك المسير والادلال ببعض المعاذير
وعلم ان تقاعده عن اجابته سيورثه عند فراغه له داء عضالا
ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا فبادر الى نيسابور مغتنما
خلو خراسان عن حماتها وطابقه ابو نصر بن محمود الحاجب على فعله
ورايه متظاهرا على الاستظهار بجميع المال واثبات اصناف الرجال
وحين سمع الامير سبكتكين خبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة
في الانحدار الى نيسابور وامده باخيه بغراجق والى هراة لنقض ما مر
من امرهما وحسم ما نجم من شرهما فسار اليهما ولم ينبع بهما حتى انحط على
اثرهما منحط كالشهاب في اثر العفاريت فلم يرع ابا القسم وابن محمود
غير اطلال الجيوش عليهما فارخيا لمطايا الهرب وسارا الى استوا
متنفسين حر الغضب وركب الاميران اكتافهما ينشلانهما نشل النعم

حتى لفظتهما حدود خراسان الى تخوم جرجان وانثنى الامير
سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى ان تطاير خبر ادبارهما فزاد
في حفزهما الى الانهزام واعجالهما دون المقام وعطف اليه سيف الدولة
وبغراجق يعرفانه فراغهما من تفريغ خراسان عنهما مجددين للعهد به
وقد كان فخر الدولة علي بن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه
ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من المبار ومال من العين واللجين
على سبيل النثار اقتناصا للمحبة واستخلاصا للرضاء وتوافقه
فقابله الامير سبكتكين باضعافه من الالطاف وزاده عليها ثلثة من
الفيلة الجفاف وارسلها المعروف بعبد الله الكاتب احد ثقاته
فنمى الى فخر الدولة تجسسه عليه عدد اجناده وغوامض الطرق
المفضية الى بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى ان رسول
المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمانه وان فلانا ورد فخالف باطن
افعاله ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه لو اراد لعلم ان سرير
الملك لم يستقر في سرة الارض الا بغلب غلب واسود سود فحجز
هذا الكلام في صدره وخدش وجه الحال التي كان خطبها
فخر الدولة الى وده ثم اردف كتابه ذلك بابي القسم الرسول
احد وجوه بابه واصحبه مشافهة مشتملة على ذكر الحال التي

يرم ما تشعث في مدته وتحصل رضاه وموافقته وان الرضى
يتبرع له بالاعانة المتوافرة وبل الحال ببلال المصاهرة لتكون
عرى نظام ذلك وقوامه بما يوجبه من مواصلته وعمارة حاله
من ذات صدره وسأله ان يثق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف
بما تحت يديه ملكه وملكه وان ينطوي له على مثل ما بذله من نفسه
لتستحصد المرائر وتتأكد الاواصر وتستمر المحالفة والتآلف
ويرتفع التخالف والتجانف فاحسن الامير سبكتكين اجابته الى ما طلب
وانكح من سره ما خطب وصفت الحال بينهما عن الشوائب وانتفت
عن وجوه المنادح والمعايب واستأمن ابو القسم بن سيمجور الى فخر الدوله
عند الياس من خراسان فاسندناه الى الدامغان وقومس وجرجان
وفرض له ولمن اشتملت جريدته عليهم من حاشيته ورجاله
مالا يدر عليهم وسياتي على بقيته ذكره في موضعه وورد
على الامير سبكتكين موسى الخادم رسولا عن الرضى يستشيره
فيمن يرشح للوزارة لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد عمن
يراعيها ويستقل باعباء الكفاية فيها فوكل الاختيار
الى رايه فاظهر مظاهرة من كان من وزرائه فاختير
ابو المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي لها فحبي بالخلعة والكرامة فيها

فتكفل بالامر كفالة المذرب الحرب وقام بالتدبير قيام المنجح
المتدرب الى ان اختطف الرضى اجله وعثر بجنوبه امله وعطف
الامير سبكتكين بعد ذلك الى بلخ وعاد سيف الدوله الى نيسابور
وقد كان ابو الحسن بن ابي علي بن سيمجور مقيما بقاين عند الوقعة
بناحية طوس فلما سمع بانتشار عسكر ابيه ركب المسافة نحو الري
فآواه فخر الدوله واكرمه وخلع عليه فضله وكرمه وامر له
بخمسين الف دينار مشاهرة تدر عليه عند هلال كل شهر واضاف
اليه من المبار والصلات ووجوه الاحبية والكرامات ما تميز
به عن اشكاله رعاية لحق ابيه وتمحيا لحصول مثله في جملة
اوليائه وجملة اياديه فاغراه سوء القضاء ودرك الشقاء بالهرب
من مفترش الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتبع
السلامة والعافية حتى زج بنفسه في قحمة التورد من كورة
نيسابور مطاوعة لهوى له كان زعم بها وظن ان استتاره
يطوي خبره ويخفي عينه واثره الى ان يقضي من هواه وطره
فلم يرعه الا احاطة الطلب به من حوالي مستتره فاحترسوه
كما يحترش الضب من جحره وحملوه الى الحبس من فوره
وحمل بعد ذلك الى معتقل ابيه الى ان نفذ محتوم القضاء فيه

فيه فيا لها من اسير هدا اسره وختم بطابع الشقا عمره ورحم الله
تعالى ام سلمه ام المؤمنين حيث تقول

لو كان معتصما من زلة احد كانت لعايشه الرتبى على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتم الذى يقضى على الراس

وكان ابرك الطوسى قد اختلط بعسكر الامير سيف الدوله فلما عن
له عبور النهر لتدبير امر الترك راى الاحتياط فى الاستيثاق
منه فالحق بابى على وذويه الى ان حاق بهم القضا وحق عليهم
الانقضا كذلك يفعل الله ما يشاه ولما استقر الامير سبكتكين
ببلخ منصرفه من طوس ورد الخبر بنفوذ قضا الله تعالى فى ابى على
ومن كان معه فى حلق الوثاق واستتبع خبره موت الملوك
والعظما باطراف خراسان والعراق فى مدة اتصلت تعقب ايامها
وتناسقت فرايد نظامها فكانهم كانوا على ميعاد وذلك
تلا خبره خبر مامون بن محمد والى الجرجانيه فى فتك طايفه
من اصحابه به فى مادبه صنعها صاحب جيشه له واستحالت
المادبه مندبه والدعوة مناحه والغنا عويلا والسرور
حزنا طويلا وردفه خبر الرضى فى مرض لم يمد بها اقامه حتى
الم بها حمامه وانتقل الى تراب بما شابه فكان مثله كما قيل

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فازالنا صروف الليالى والجدود العواثر

وكانت وفاته يوم الجمعه لثلث عشرة ليلة خلت من رجب سنة
سبع وثمانين وثلثمايه ولقبه كتاب بابه بالرضى فرحمة الله عليه
رحمة تبرد ضريحه وتروح روحه فقد كان طود الملك زال
بزواله وزال عن مراسيه بزلزاله وتتابعت المصايب على الامير سبكتكين
بعده فى تلك المدة بشقيقة له كانت اعز اهله عليه واولاد صغار
وغلمان دار وهلم جرا الى ان سقط على الفراش وايس من الانتعاش
فتاق الى غزنه اسيرا واحا الى طيب هوايها واستنشاق نسيم
ارضها ومايها فاخذ المقدور عليه بالمرصد واخترمته يد المنون
دون المقصد فنقل فى تابوته الى غزنه ومن العجيب العاجب فى امره
انى حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل فى ابدالها وزوالها
فقال وهو يشير الى كاتبه ابى الفتح مثلنا ايها الشيخ فى اخطا
المنايا اذا واحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى الشاه منها
فيطرحها الى الارض ويوثق قوايمها بالحبل فلا تزال تتلو الخلاف
العادة وتضطرب خوف الاباده الى ان يقضى الجزار منها وطره
فيحل وثاقها وتحسن ظلالها فما فيها مراح لما يتاح لها من النجاه

وتعالى الهامن روح الحيوة حتى اذا كانت من قابل عاد
الجزاز لعادته فيها فطفقت لها بين امل وياس وبغرة واستيناس
ننظر ان الامر كما عهدت تارة ونخشى خلاف العادة اخرى
الى ان ينع الافراخ عنها فنطقه فرحى بالنجوة ونعوذ مرحى
في النبات فما هي الا الثالثة حتى سلمها الجزاز الى الجزاز
فيمن الشفرة على ودجيها او توما كانت بالعادة وابعدها
من المخافة وامنها من الافة كذلك نحن فيما ينعاقب علينا
من الامراض ونستمر بنا من الاوصاب ينبا بحسن الظن بما يطرق
منها اذ فاتت الواعية وسارت بها الناعية وكان بين هذا
التمثيل وبين ان قضى نحبه قدر عقار النخل ايامًا فقضينا العجب
بعده لما املاه المقدور في شانه على لسانه وقد كان قبل وفاته
استجد عمارة الدار المعروفة بسهلاباذ وانفق عليها مالا عظيما
فلم يمتع بسكانها حتى حل له الرجا وحق عليه القضا واعتاقها
ولده من بعده فاهملوا امرها حتى تداعت بالخراب ٥ وسمعت
بعض الافاضل ينشد وقد اجتاز عليها بعده في مدة يسيرة ٥

عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما وما تدرى
عهدتك مذ شهر جديدا ولم اخل صروف النوى تبلي مغانيك في شهر

[illegible]

فلحا الله دنيا تامن ضيفها تا كل اولادها عقوقا وجانبه لا ترعى
لاضيافها اذمة وحقوقا والله المشتكى من صرف الزمان وريب
الحدثان ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه وصاحبه بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين والدولة حياه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه لافتراق هكذا هكذا تقوم القيامه

توكل على الله في كل ما تحاوله واتخذه وكيلا
ولا يخدعنك شوب صفا فانى قليلا وارزى غليلا
فان الزمان يذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا
الم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا
اعد القبول وقاد الخيول وصير كل عزيز ذليلا
وحف الملوك به خاضعين وزفوا اليه رعيلا رعيلا
فلما تمكن من امره وصار له الشرق الا قليلا
واوهمه العز ان الزمان اذا رامه ارتد عنه كليلا
اتته المنية مغتاظة وسلت عليه حساما طويلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد قبل عليه قبيلا
كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا

ولبعض كتاب اهل العصر فيه ٥

خاضعين

مضى الامير نصير الدين مستحانى بره بمساع اشبهت علما
قد كان مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والاسلام منتقما
كالليث والغيث طبقا ان حمى وهمى والنجم والرجم شكلا ان سما ورمى
يا من اسال رقاب الكاشحين دما من بعد فقدك ابكيت العيون دما
لئن اناخ صروف الدهر ساحته فانظر الى الملك والاسلام لاجرما
فالدين منثلم والملك منهدم وظل حبل العلى والمجد منصرما

وردت الحادثة به الملقب بفخر الدولة على بن بويه وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمايه وكان سبب انقراضه انه فرغ القلعة التى استجدها على جبل طبرك مرتاحا للانس فاشتهى طباهج من لحم البقر فتحرز بين يديه واحدة وطفق اصحابه يتضاحكون له من اطايبها وهو ينال منها واتبعها بعناقيد من بنات الكرم ودارت عليه الكوس منها ملاى ولا قلم يتنشب ان لوى عليه جوفه واتصل على الالم صوته الى ان ختم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوى بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم طول ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني اخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك

فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوا اف منك
ولو زهر النجوم ابت رضاه تأبى ان يقول رضيت عنك
فامسى بعد ما فرع البرايا اسير القبر في ضيق وضنك
اقدر انه لو عاد يوما الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس ذكرك في ملوك مضوا بالانقراض وبك فابكي
فلا يغني هلاك الليث شيئا عن الظبي السليب بمس مسك
هي الدنيا اشبهها بشهد يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا يقهقه اذ بكى من بعد ضحك
البرايا قومنا انتبهوا فانا نحاسب في القيامة غير شك

فاما مامون بن محمد فان ابنه عليا ولي الامر من بعده وسارع الناس الى بيعته وعاد الملك به الى نهايته وروعته واما الرضى فقد كان عهد الملك الى ابنه الامير ابي الحارث منصور بن نوح فلما استقر به ومضى لسبيله ناص على بيعته الاولياء والحشم وفرغ بقايا الاموال وخبايا الذخائر والاعلاق في اعطياتهم وتحقيق اطماعهم حتى استوسقت امور الجماعة واتسقت الكلمة في الطاعة وتقى ابو المظفر محمد بن ابراهيم على الوزارة واما الامير سبكتكين فقد كان عهد الى ولده اسمعيل واستخلفه على اعماله

وأوصى إليه بأمور أولاده وعياله وجميع وجوه حجّابه وقوّاده
على طاعته ومتابعته والرضا بإمارته وولايته فلمّا طرق
الناعي به بادروا إلى عقد البيعة له وأمضوا الوصيّة فيه
واستقرّ إسمعيل بعد قضاء المأتم على سرير الإمارة وأمر
بفضّ الختوم عن بدر الخزائن وصبّ الأموال حتّى أرضى الرجال
وأمّا فخر الدولة فإنّ عسكر الديلم اجتمعوا على ولده الأمير
مجد الدولة أبي طالب رستم بن علي ففوّضوا الأمر إليه وحفظوا
نظام الملك عليه ولقّبه السلطان بمجد الدولة وكهف الملّة
وسيأتي بيان كلّ واحد منهم في موضعه على الأثر وأنشدني
أبو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة وتبدّل أحوالها
وتنائي أمرائها قصيدة منها هذه الأبيات ـــ م

ألم تر مذ عامان أملاك عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمّنتها الجوانح
وبابور بن منصور في يوم سرخس تمزّق عنه ملكه وهو طائح
وفرّق عنه الشمل بالسمل فاغتدى أسيرًا ضريرًا تنتحيه الجوائح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ووالي الجبال قد علته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامة ترصّده طرف من الحين طامح

تساقوا كؤوس الراح ثمّ تشاربوا كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزم شاه شاه وجه نعيمه وعنّ له طير من الشؤم بارح
فكان علا في الأرض يخبطها أبو علي إلى أن طوّحته المطاوح
فعارضه ناب من الشرّ أعصل وعنّ له يوم من النحس طالح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي براثنه للمشرفي مفاتح
أناخ له من صدمة الدهر كلكل فلم يغن عنه والمقدّر سانح
خيول كأمثال السيول سوابح فيول كأمثال الجبال سوارح
جيوش إذا أربت على عدد الحصى يغصّ بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه دوائر سوء بيلهنّ فوادح
وقد جاز والي الجوزجان مناظر الحياة فوافته المنايا الطوامح
وفائق المجبوب قد جبّ عمره فغاظ ولم يندبه في الأرض نائح
مضوا في مدى عامين واختطفتهم عقاب إذا طارت تخرّ الجوارح
وكان بنو سامان أطواد عزّة فأصبحن لصرف الدهر وهي أباطح
أما لك فيهم عبرة مستفادة بلى إنّ نهج الاعتبار لواضح
تسلّ عن الدنيا ولا تخطبنّها ولا تخطبن قتّالة من تناكح
فليس يفي مرجوّها بمخوفها ومكروهها إمّا تدبّرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح

سلاف فصار له ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكنه اسرار سوء قبايح
ولما افضى امر الامارة الى ابي الحرث منصور بن نوح وهو في حرفة
البلوغ وميع الشباب وعند مشتعل الحركة ومستضح النجابة
ومستوضح الاصالة والاصابة اقام ابا المظفر محمد بن ابرهيم
وزيرا وفوض الملك الى فايق كفالة وتدبيرا وكان عبد الله بن عزيز
انتى شوكة الامير سيف الدولة عند قصده بخارا بالاصعاد الى
المعالي فلما اعترضت حبوة الرمي اطمع ابا منصور محمد بن الحسين
الاسبيجابي في صحابة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار به
الى بخارا مستعينا بايلك الخان على نيل الارب المنشود واصابة
الغرض المقصود فنهض ايلك لمصاحبتهما وسار الى باب سمرقند بهما حتى
اذا اناخ بمرج على ظاهرها اتاه ابو منصور في خف من غلمانه وابن عزيز
زايرا فاحتبسه بعلة الطعام واصحابه بين التخييم والاسجام فامر به
فشد الى حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال وارسل الى فايق فلما
اتاه اجله ورفع محله وخفض من مكانه الكيانا له وضم اليه ثلثة
الف رجل وامره بالمسير الى بخارا على مقدمته فسار على ما رسمه
له فلما بلغ ابا الحرث خبر اقدامه رجح عليه وجه الصواب

وصمم عليه نجل الغراب واعجلته فظاعة الخبر عن التدبير فبادر
الى العبور بمن معه من صغير وكبير ودخل فايق بخارا فبادر
الى الباب ولثم خد التراب وجلس مجلس الحجاب واظهر القلق
والانتياع لاختلال ابي الحرث بدار عزه وشرفه ومقر الماضين
من سلفه وحث مشايخ بخارا اليه في مسئلته تقدم الاياب
وتعجيل الانقلاب فوثق اذ ذاك به وامر بالكتاب اليه في احماده
على طاعته وتقربه فكان مفتتح ما خوطب به من جملة المخالصة
ولبيك الله ربنا ما بمدّه والمناصحة اما ما يهديه ويرشده
فمسعود وتوفيقه لجنث وتوقفه هذه ومحمود تصرفه حين صرفته
تلك ه وارتاح ابو الحرث للانصراف حين امن جانب الخراف
وسير قبل صريمة الراي بكتوزون وهو الموسوم بالحجبة الكبيرة
على بابه الى نيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة
ثم عبر النهر عائدا الى وراه فتلقاه فايق مقيما رسم العبودية ومؤديا
فرض الطاعة المحمودة وانكفا به الى بخارا فاستقام له الامر
وحمد ذلك الاجرة وقد كان بين فايق وبكتوزون سخيمة واحنة
في الصدور وقديمة فاستحلفه ابو الحرث على الاغماض له فيها والاغضا
عنها والعفو عما حز في صدره منها استثباتا لاقدامهما في الطاعة

واستجماعًا لاهوايها الى المتابعة فاظهر الانقياد وحلف بما اراد
واستقرت امور السامانية على بكتوزون يحيى اموال خراسان
الى الحرث من غير منازع ولا مدافع الى ان طارت النعرة في
راسه وجثمت الموحرة على صدره فارتقى من امر سلطانه ودولته
بعمه الى ما عرض به الملك للهلك والدولة للعولة وارخ الدهر
بعار لا يرحض عنه وضره ولا يدفع عن وجهه قتره

ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة والامير اسمعيل بعد انتصابه في الامان
منصب ابيه ولما احترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل
طمح اهل العسكر الى مال البيعة فامر به فاطلق لهم استحقاقهم
المعين استصلاحًا لذات البين ثم احس القوم خورًا في عوده ورخاوة
في عنان تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولاشفاقه على نفسه
من جانب اخيه وقصده وانتزاعه الامر من يده فاستوطأوا امركب
الطمع واستسهلوا جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على
المراتب لهم في ديوان العرض على الرسم في مثله حتى استغرق
ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت الخزانة عما يسع الاستظهار
به فاضطر اسمعيل الى ان يفزع فيما ينوبه انفاقًا من مور اطماعهم
الى العدة التي كانت مذخورة له بغزنة فلو بقوا على حملتهم

في التسحب عليه لاشرع بمزق تلك الاموال وتفرق جميع الاولياء
والرجال ولما ورد على الامير سيف الدولة نعي ابيه وقضى ايام
المصيبة فيه بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في تعزيته عن عارض
الرزية وانفذه بابي الحسن الحمولي في اذكاره نحو الكبر
وما يجب له بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه
افضل بمنزلة العين الباصرة او اعز واليد الباطشة او امر وانه سيبلغ
في امره كل ما يهواه ويرضاه ويتعلق به مناه وان الامير سبكتكين
انما افرده بالوصية لاعجال المنية اياه عن وضعها في موضع
الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف
نه الشقة وان الراي فيما اهمه لامر يوفيه حكم الرياسة ويشاطر
الارث من ذخاير الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته
وحامته ومعشش خاصته وعامته على ان يحفظ عليه مكانه
من بلخ وما يليها او ينقله الى نيسابور على ما كان يدبره من اعمالها
ونواحيها فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في اثنايه
كانه يراه راي العيان ويدرس عليه كتاب البرهان فلم يرده على
زجان على الاباء والالتواء وتعريض تلك الاموال للاتواء وتوسط والي الجو
ابو الحرث الفريغوني بينهما على ان يسكن نائرة الخلاف ويعقد بينهما

على نقطة العدل والانصاف واراد كلا منهما على التلاقي
قبله ليشافه كل منهما اخاه بما يقترحه من مراد ويستقدحه
من زناد اذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعز مثلها على ظهر
البعاد وفي حال التحيز والانفراد فاما الامير سيف الدولة
فانه راى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واطلابا واما
اسمعيل فانه تدنى الاجابة ولحظ الامر بعين الاسترابة وراى
الشيخ بما يقترح عليه من مال الارث وان كان فادحا كله اهون
عليه من ذاك مراما وايسر محملا والزم امله ذعرا تمكن من نفسه
وسرى الى صميم قلبه وجيعه سالكا به في اودية الظنون ونفرته عن
الموادم للسكون وانشد ذات يوم ابياتا لسيف الدولة في اخيه ناصر الدولة
الحمداني معرضا بالالفة التي هي اوطا مهادا واخصب مرتعا ومرادا ومنا

رضيت لك العليا وان كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وانما تغافلت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من ان اكون مصليا اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

فزحفت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت سهامها دون الغرض
المضروب لها من سمعه وبعل الامير سيف الدولة يتدبر ما عراه
لاستحبابه الرفق على الخرق والرفق على الخرق وايثاره المداراة

على الملاحاة والمواتاة على المعاداة واختياره البر على الجفا
وادخاره الكي لاخر الدا حتى اذا اغار نجم الهوادة وزوى جلباب
الحشمة استعد لاتيان الامر من بابه ورد المستنزع منه الى نصابه
وخاطب الامير ابا الحرث بما عن له من المهم الذي لا يسعه
غيره تلافيه وسأل كتابه الوسع والطاقة فيه فسار في خواص
غلمانه ورجاله وقواده المذكورين لاتباع مثاله الى هراة واسنا نف
بهما مكاتبة اسمعيل من وعد ووعيد وامنية وتهديد وترجح
بين الياس والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم يغن
ذلك عنه فتيلا ولم ينقض من قوى عقده سحيلا وتراجعت
المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام واشتد لغز الخصام
واعيا فيصل الامر الا بحد الحسام ودعا الامير سيف الدولة
عمه بغراجق الى مساعدته ومرافقته واتباع مصلحة البيت
بمتابعته فتسارع الى طاعته واقر بالحق عليه في مشايعته
واتباع رايته وخف معه الى بست وبها الامير ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين فصادفه الامير سيف الدولة
منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد سريعا وهوى منه لم يرض
بزمام وخطام ومحبة لم تذلل باسراج والجام فتبرع بالانقياد

ويسرع بالمراد ويجري في حلبة الطاعة طلق الجواد ولما سمع
اسمعيل بن عبد سيف الدولة على جانب غزنة سبقه اليها من
جانب بلخ متجردا للممانعة محتشدا للمدافعة والمقارعة
وسار الامير سيف الدولة في عمه واخيه وساير اوليائه ومواليه
حتى الم بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان
من قواد اسمعيل في الاملاء عليه لما عرفوه من وهي امره في الرياسة
وضعف يده عن حق السياسة وتردد السفرا بينهما في الاستصلاح
وكف عادية الكفاح فابى الله الا ما كان مقدورا وجعل
الحق مشهورا والحق منصورا واسرب الامير سيف الدولة للحرب
فعبى المواكب ورتب الجيوش كواكب ودلف الى القتال
في رجال كالرماح او كالنهال النماح يهشون للقراع هشاشة
الاطفال للرضاع ويرتاحون للكفاح ارتياح الهيم للماء القراح ه
لابي تمام
سفع الدروع وجوههم فكانهم وابوهم سام ابوهم حام
يتخذوا الحديد من الحديد معاقلا سكانها الارواح والاجسام
مسترسلين الى الحتوف كانما بين الحتوف وبينهم ارحام
اساد موت مخدرات ما لها الا الصوارم والقنا اجام
وبرز اسمعيل في شايعه من مواليه وتابعه من رجال ابيه وقد حصن

٧١
بنيلته العظام كانها اركان يذبل او هضاب شمام ودنا الزحفان
بعضهم من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح النواتك
وركضا للهام من تحت الترائك وظلت رحى الحرب تدور بكلكلها
بثفالها وتدور عليهم باثقالها الى ان دنت الشمس لجمرات الظهيرة
وقد لاذ بالامان من سبق وعده وطلع للاقبال سعده وعندها
حمل الامير سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف وتخالطت
الصفوف وخطبت على منابر الرقاب السيوف وثارت عجاجة
احدثت العيون عن الاشباح واذهلت النفوس عن الارواح
ونثرت الاعناق بايدي الصفاح وانفصت الحماة من وقع السلاح
وظلت سنابك الخيول تردي على جثث النفوس وتلعب باكر الرووس
تجري الجياد من القتلى على جبل ومن دماهم بدحض في وحل
ومن جماجمهم يعثرن في نشز ومن ذوايبهم يمشين في شكل
فلم ينشب ان اسفرت بينهما عن تساقط ابدان تحت ابدان واجسام دون
هام وهام الاخرون على وجوههم يسحون طول الارض خوفا من حر
العقاب ومن الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غزنة متحصنا
بها في العاجل من شر الطلب الى ان تلطف له الامير سيف الدولة
فاستنزله على امان وحسن ضمان وجاوره بمعروف واحسان ه

ذكر ما جرى بين ابي القسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

وكان ابو القسم بن سيمجور استقل الى جرجان بعد انقراض نجم الدولة
على طاعة ولده فضوى اليه من شذ عنه من عسكر اخيه وموالي ابيه
واتصل به طوايف من ابطال الاكراد والعرب فاشتدت به مناكبه
واحدت انيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التي تنطوي
عليها قلبه لبكتوزون ترصده بالحبايل وترميه باغوايل الغوايل فارسل
الى ابي القسم تحرشه عليه وتغريه به وتعده بما يليه من زيادة الجيوش
متى اجلاه عن مكانه وجلاه في معرض العجز على سلطانه حتى جمجمه عن همه
تاركا للعين بالمضمار وعارضا للملك على خطر المقامر فكان كما قال ابن هند

اني وتركي ندى الاكرمين ومدحي بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعرا وملبسة بيض اخرى جناحا

فنفصل عنها قاصدا نيسابور في جماهير اصحابه ممن ضرستهم
وقايع الحروب وحنكتهم قوارع الخطوب وكوتهم ضروب صروف
الايام بمياسمها وداستهم احداث الليالي بمناسمها وافرط
ابا علي بن ابي القسم المعروف بالفقيه على مقدمته الى
اسفراين وبها بعض قواد بكتوزون فالتقيا هناك على
حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب وتداركت الامداد

على ابي علي لقرب الخطى بينه لابن صاحبه بكتوزون منهزمين
الى نيسابور وقد اقتسموا بين جريح وقتيل واسير وسار ابو القسم
سير السحاب تحثه ريح الجنوب حتى اناخ بظاهر نيسابور
مستطيلا بشوكة رجاله وشكة ابطاله فارسل اليه
بكتوزون يعلمه ان الحرب سجال وحسن الظن بعواقبها ضلال
وان في قرع باب البغي تعرضا للبلاء واستيثارا على سوء القضاء
وانما يصر على الكفاح من لم يجد وجها للصلح والصلاح
من كان في فسحة من الراى ونجحة من الاختيار فانه ينفس
عن المغتر بها في مباشرة القتال ومساورة الابطال ومغامسة
الاهوال وان الراى له ان يعدل الى قهستان ليستخلص من الامير
ابي الحرث ولاية هراة معها رعاية لحق حرمته وقدمته وسابق
موالاته واذمته فضربه ابو القسم باذن مستكة عن الاستماع
مسدودة عن الصلاح وحمله الادلال بابطاله ورجاله على التحكم
والتسحب والتمنع والتعصب واهاب بعسكره الى الحرب فاصطبحوا
على مساقاة الطعان والضراب ومعاناة الحرب بيض الصفاح
وردن الحراب ذاهلين عن مصرع الغرور والتغرير بمطلع الفجر
والطعن وعبى بكتوزون رجاله هناك واشباله لا زال

في سائر من اظلتهم راياته من قواد الامير ابي الحرث وانصاره
والمعتصمين بذمة شعاره فالتقوا قبالة قرية تدعى بسنجه
بظاهر نيسابور واجتلى ابو القسم منهم نجوما ورجوما ولاقت
بكارته الحقائق قروما واشتبكت الحرب نحايا المناصل وضربا
بالمعاول ووخزا باطراف العوامل واشتغل اصحاب ابي القسم
بينهم كالنار في دقاق العوسج او يبيس العرفج ضربا هبرا
وطعنا نترا ورميا سعرا وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا ودحرا
ونهرا وقسرا حتى اذا ظنوا ان قوادم الهزيمة قد افرخت
لهم عن خوافي الغنيمة وصدم بكتوزن قلب ابي القسم بحملة ازالتهم
عن المقام واعجلتهم للانهزام فانصاعوا مخذولين مفلولين
يقودهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل ونبض في منهزمهم على
ابي القسم الفقيه احرار كان ابن علي في ايامه بمشهور رايه في
ذهابه ومذكور غنائه ومضائه على عدة من قواده ووجوه سواده
وقر ابو القسم في شذاذ عسكره هاربا على وجهه حتى امتد به
الوجيف الى قهستان وذلك في شهر ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائه
وكتب بكتوزن الى بخارا بذكر الفتح وما يسره الله من عسير النجح
فسر الجمهور واثلج الصدور ما خلا فايقا فانه اغتم واهتم

وكاد يعقد المأتم للماتم وسار ابو القسم بعد ارتياشه وانتعاشه
الى بوشنج متحكما في اعمالها واموالها فناهضه بكتوزن
لانتزاعها من يده فتوسط السفرا بينهم على وصلة انعقدت بينهما
ورهنه ابو القسم ابنه المعروف بابن سهل فارتفع بينهما الخلاف وحصل
الاتفاق والايتلاف وعاد ابو القسم الى قهستان وكر بكتوزن
الى نيسابور في رجب من هذه السنة المذكورة وجرت بين فايق
وابي المظفر محمد بن ابرهيم ملاحاة في تدبير الاعمال والاموال
فارصده لها بالشر وقصده بالمكروه من اكثر الوجوه فلاذ
بالامير ابي الحرث من قصده واستامنه على نفسه فاواه داره وادر
عليه مباره واتاه فايق يسله تمكينه منه واشاره به فجبهه
بالرد واغلظ له في القول فخرج من منزله على حرد متنكب
يتحدث بالانقطاع الى الترك والاخلال بكفالة الملك حتى
سفر بينهما مشايخ بخارا فقبلوا فايقا عن رايه واستماحوا الامير
ابا الحرث حسن عفوه واغضائه وسيّر ابو المظفر الى ناحية
الجوزجان وسد مكانه بابي القسم البرمكي فصدقت فيه
فراسة المعروف بالمضراب الشاعر البوشنجي حيث يقول
وكنا زمانا نذم الزمان ونرثي الوزارة بالبلعمي

فأخرنا الغمر حتى انتهت بها البلغمي الى البرغشي
وسوف يدول على ما أراه منه فربما الى البرمكي

وكان ابو القسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات عليه صفة
البخل وحين ولي الوزارة ناشر اولياء ذلك الباب في اعطياتهم
الواجبة وجراياتهم الراتبة وعارض اطماعهم في خاصته بزند
شحاح ووجه على الرد وقاح فلم يرعه الا دبابيس الاتراك
تهشم قذاله وترض عظامه واوصاله ولقد احسن من قال

يقول لي دعبل في ثوبه حبل ولو تمشي ثيابي دعبلا حبلا
لا والذي سبك الصهباء من ذهب والكاس ياقوته ما ساد من بخلا

انزال اسمعيل من قلعة غزنه

واستنزل الامير سيف الدولة
اخاه اسمعيل من قلعة غزنة على امان بذله وضمان احكمه وتسلم
منه مفاتيح الخزاين واحاط بزوايا الاعلاق والدفاين وجبر له
كسر حاله واعاد اليه رونق مائه وجماله وتخير غزنة بثقاته
والكفاة من حماته وانحدر الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وقد
انتظم له ما انتشر بعد ابيه واستقر عليه ما سعى لئلا فيه فغصت شعاب
بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات الاعلام من اقباله فكتب
الى الامير ابي الحرث يذكر اقباله وحذفه فضلا لشغل كان باخيه

عن باله ودانه قايم مقام ابيه في المحاماة على الدولة والنضال
عن الجملة والاقبال على حقوق ما تعرفه من بركة اصطناع الرضي
واصطفائه وتقديمه على زعماء حشمه واوليائه فارسل اليه ابو الحسن
العلوي الوصي الهمذاني في تهنئته بمقدمه واظهار اليمن بموطئ
قدمه وعقد له على بلخ والترمذ وما والاها وهراة وبست و
ما تاخمها ودانها وتلطف في الاعتذار اليه من امر نيسابور حرصا
على ترضيه وكراهة لصرف بكتوزون الى ابعاد تغضبه فعلم
الامير سيف الدولة ان عارض تلك المنافسة صادر عن تمويه الحساد
وتلبيس المنادين والاضداد وان دا الحقد ليس له علاج وان
صلاة الفجر بغير فاتحة البر خداج فارسل الى الامير ابي الحرث
ثقته ابا الحسن الحمولي بهدايا يضن بمثلها سمح النفوس وتضيق
عن قدرها رحب الصدور ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب المضربين
وتزيين المتزينين ويتلطف لاستخلاص سريرته له واستصفاء محله قبله
لتزول الحشمة وتتاكد العصمة وتستحكم الثقة بان نيته بعد صح
خراسان على موالاته وتدبير امورها لاجابته فلما ورد بخارا اعرض
عما وجه فيه وعرضت الوزارة عليه لموافقة مورده خلو صدرها
عمن يستقل بها وكان مثله كما قيل

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد
واشتغل بالوزارة عن حق السفارة واقبل على الامر بوجه الجد والمستبد
يريد بشكر ما اشتمل عليه السر وكتمان ما نم عليه الجهر ولن يصلح العطار
ما افسد الدهر وانشدني المطراب لنفسه فيه
وكنا نذم الدهر من غير حنكة بيوسفه والبلعمي وعزيزه
الى ان رمانا بالعفاري بعدهم وعاندنا في عبده وعزيزه
وما قد دهانا بابن عيسى ودوره وفي ابن ابي زيد الخبيث وسيره
فلم نرض بالمقدور فيهم فامتنا بكل كسير في الورى وعويره
ولما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الادبار
وتخاذل التدابير والاهوا واشراف الملك على الضياع بمداهنة النصحا
واغتنامهم صلاح انفسهم في وجوه المقاصد والانحاز الى نيسابور
على ما كان يليه في جماهير اوليائه ومواليه وحين سمع بكتوزون بما نما له
نزوحه عن نيسابور ~~على ما كان يليه~~ فضيا آسفا على عدته وعتاده
واشفاقا على عدد رجاله واجناده وبادر بالكتاب الى الامير
ابي الحرث بفصوله عن مكانه اخذا بالوثيقة ومحاماة على الحشمة
واحترازا من غرة اللقا قبل اختمار العزيمة والراي فحمله
سكرة الحداثة ونزقة الصبي والغرارة وقلة النظر في العواقب

وعدم الحظ من التجارب على الاغذاذ الى خراسان فيمن انهضه
الامكان لمساعدته من وجوه خاصته وسائر حاشيته وسار الى سرخس
كالسهم صادرا عن وتره والسيل سائرا الى منحدره فعلم الامير
سيف الدولة ان قصده اياه من نتائج المغرور وفائل الراي والتدبير
ومهانة الناصح والمشير اذ لم يكن في منته الثقة بمقاواته على شدة
باسه وملاقاته على قوة مراسه وحصانة لباسه اذ لو قذفهم ببعض
وجوهه لغادرهم رمادا اذرته العواصف وتقسمته الشمائل والجنا ئب
لكنه راى ان يغطي جفن الاحترام ويحمي ستر الاحتشام ويرعى
سابق الحقوق والذمام فخالف طريقه الى مرو الروذ مفرجا
له عن نيسابور الى ان يتمكن من ارتجاعها بنيته تشترك في معرفتها
القاصية والدانية وحجة على مناويه ومخالفيه تصورها الحا ضرة
والبادية وعطف الى قنطرة زاغول فخيم بها مراعيا لما يسفر
عنه التدبير وينكشف عن حقيقته الضمير وبادر بكتوزون الى مناخ
الامير ابي الحرث وهناك فايق فضمه وقبضه ولفه ولبقه
فلما وصل اليه انكر محله لديه لتقصير في حق مقدمه فجفاه
عليه وشكا الى فايق ما انكره فشكا فايق ما ذكره و تداولا
بينهما ذكر معايبه ونقار لا خشونة جانبه وحزونة اخلاقه وضر ائبه

واعز بالاهل العسكر بخلعه والتماس الراحة فى الاستبداد به فالجموا
معهما فى حرب المساعدة حرصا على لذة الاستطراف واغتناما
لنهزة الاستضعاف واستحضره بكتوزون بعلة اجتماع العسكر
لهم احتيج الى نظره فيه واشارته بوجه الصواب فى تلافيه حتى
اذا احضره حضره ووكل به من سمل بصره غيلة وتجنيه بطليعتى
حيوته احسن ما كان رداء جمال وعمود اعتدال وطلعة هلال
وروعة عز وجلال ولما احتمش اليه عند الاستسلام فى حاج له
ثلث خيانة المؤونة عليه منهما صيانة من مالت عنه عن ذلك
المناظرة على مال المصادرة فكايده بخلاف حاجته ونقيض
مسئلته الهابا لثار الحسرة فى صدره ومضاعفة لثقل المحنة
على ظهره فعل الموتور بما لا شوى له ولا بقيا معه وعهد هو وفايق
الى اخيه عبد الملك بن نوح وهو اصغر منه سنا فاقاماه مقامه
وسدا به مكانه وماج الناس بعضهم فى البعض للفتنة الشاغرة و
الاحوال المتشاجرة وبدر الناس بالامير سيف الدوله وقد حصل
بمنظرة ذا عوله فكروا على ادراجهم كالعصافير الراعية راعها
النوازل فاحاطت بها الكلاب النواهس حتى اخذوا اثراهم بمرو
وارسل الامير سيف الدوله الى الكافلين بالذنب يهجن اليهما ما ارتكباه

فى ولى النعمة من ازالة الحشمة واضاعة الحق والحرمة غير
ناظرين للدين ولا متحرجين للاسلام والمسلمين ولا مستحيين لائمة حدوثه
الشنعا على السنة الذاكرين مدى دهر الداهرين وامرت المراجعة
بينهم فى الحادث الكارث وهما يحتجان عن استهدافه المرصد فيهما
واهتبال الفرصة منهما بطمعهما له عن صاحبهما فى تجديد الرعاية وتمهيد
الولاية وكلماهم بالاجمال على وجه الاحترام طالبة سعادة
الجد بالاقدام وحرصته على الانتقام للدين والاسلام ثم راى
ان يخف عن مناخه الى ظاهر مرو ليكون لطالبة الصلح وجاها
او شفاهة السيف شفاها ولما تسامع القوم باقباله دب الفشل
فى تضاعيف احشايهم وسرى الوهل فى تضاريف اعضايهم واستطار
الخوف فى مزاج دمايهم ولما سقط فى ايديهم وراوا انهم
قد ضلوا قالوا لين لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
فابى الله الا ان ينتقم منهم بسيف سيف الدوله جزا عن فعلهم
الفظيع وخطبهم الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع فصبه عليهم
صب عزالى الغيث بنو المرزمين غيث انه غيث قطره عيث
وغيم حشوه صيم وسحاب حمله عذاب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد وبرز فايق وبكتوزون

وابو القسم بن سيمجور يتلواحيهما عبد الملك بن نوح وسائر اهل
العسكر الى ظاهر مرو مقابلين لعسكر سيف الدولة يعلنان جلادة
ويسران بلادة وبعد ما ان ظاهر العيون وتجمان خبيئة الحرب
الزبون قد ضاقت الارض عليهم بما رحبت فجيوب الاقطار عليهم
مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة وبوارح الادبار
وجوايح الدمار من كل اوب اليهم محشورة وظل القوم على علم
يذرون على الدمار ويتهافتون تهافت الفراش في النار ويستلون
الانصار بسيوف الانصار كما قال الله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم
وايدي المومنين فاعتبروا يا اولي الابصار وتردد السفرا بينهم
وبين الامير سيف الدولة في مواضعة على سلم يتسلمون معها في العاجل
من شدة باسه ويتفدون بها من مرارة كاسه فاحسن الامير
سيف الدولة اجابتهم الى مواضعتهم على علمه باستبطانها للختل والحيلة
واستشعارها للغدر والخديعة الزاما للحجة وطمسا على
الشبهة واعذارا الى الكافة وبراة من خطة البغي في دفع المكافة
فما كان الا ان قوضت للرحيل خيامه وبرزت للقفول اعلامه حتى ثار
اوباش القوم على اثره لانتهاب عسكره يظنون بانفسهم الظنون وانما يتعجلون
المنون ويدوسون اذناب الارقم لو كانوا يشعرون

ولما راى الامير سيف الدولة ركوبهم مقطعة الضلال وانتحالهم
مشبعة الاجال معلقين خيوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع
الكاذب لا يثنيهم حلماوهم عن السفه والتخبط ولا يحميهم كبراوهم
عن التهور والتورط علم ان ذلك امر يراد وودا خلطه البغي
والعناد وابتغى سترهم بالفساد مغمور وان السفيه اذا لم ينه مامور
وامر بالثائرين فحاش اليهم من حواشي الجيوش من طبقوهم
بالهز والرض واضجعوهم لامر شا الله على صعيد من الارض واستخار
الله تعالى جده في المكر على بغاة السومجا كما اتاهم الى البيض
المواطع ومرايا ببيننات الرماح الفوارع ومسبلا على الاسياف
منهم بشهادات النسور والخوامع واقبل فرتب الجيوش قلبا لتهلان
وميمنة كرضوى وميسرة كابان وحصن المصاف بزهاء ما بين من
الفيلة كرعن الجبال او ذكر السحاب الثقال مغشاة بتجافيف لم يعود
منها غير حدق النواظر وحدايد الانياب العوافر يهول ساسنها
عليها برهنات كالبروق الخواطف وصفارات كالرعود القواصف
وقد نشرت عليها التماثيل السود كانها الاساود والاسود بخيل
اضطراب الرياح فيها انها تزحف للالتهام او تنقض لاختطاف الهام
وتعالت عليها اطراف العوامل فكانها اجام السواحل ناوها

شياطين الانس فرسانا او عفاريت الترك والهند مردا وشبانا
بيض عليهم سابغات داود كصفائح الماء تجلوها الشمس سافرة
وتنزها الشمال سايرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام
وظاهروا عليها بالقلوب حرصا على الاقتحام فهم يانسون بمباشرة
القتال ومشاورة الابطال واستشارة المنايا عن مرابض الآجال
انس العيون بانسانها الباصرة والقلوب بامانيها الحاضرة ووقف
الامير سيف الدولة في القلب بنفسه واخويه نصر واسمعيل ابني ناصر الدولة
سبكتكين وعمه بغراجق فكانما عناه ابو فراس بقوله

علونا دوسنا باشد منه واثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر تخاطبنا بافواه الرياح
واروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح
وكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيئة وافرة وهيبة حاضرة فكادت
الارض تمور والجبال تسير والنهار الباهر يحول والفلك
الدائر يزول وبدر القوم باقدامه واقبال الويته واعلامه

الاقران او شآبيب الضراب والطعان ذلك ذكرى للذاكرين
وكذلك يفعل الله بالظالمين ۞ وجفل عبد الملك بن نوح
الى بخارا ومعه فايق في اتباعه واشتد بكتوزون الى نيسابور
في اشياعه وابو القسم بن سيمجور الى قهستان وقد صار دا حرف
مزق وعاد واشتد زمه ذروا واصبح سيف الدولة قد انجز
الله له وعده ونصر جنده وحده واسعد على رغم الاعمين
جده واعلى يده واورى زنده وساق اليه هدي الملك
على غير مهر سوى الشكر ولا صداق سوى الاستحقاق وورث
دولة آل سامان وملك ديار خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمايه
وراى ان يجعل بكتوزون وابا القسم السيمجوري عن النجم ثانيا
والخرت بالالتفا آتيا فاخذ الى طوس في البحر الاخضر
من رجاله وابطاله وطار بكتوزون بجناح الهرب الى حدود
جرجان وقفى السلطان على اثره بارسلان الجاذب فجعل يطرده
طرد الشهب اشخاص العفاريت حتى نفاه من تخوم خراسان
وولاه السلطان ناحية طوس ورتبه بها فيمن ضم اليه من قواده
وسار الى هراة منظا لفلها واعمالها ومجددا للعهد باحوالها
فلم ينشب بكتوزون حين سمع بانثنا عنانه اليها ان كر الى نيسابور

فملكها ثانيا برئ انه يناضل عن دولة قد حجم جماحها واسفت ايامها
وناحت عليها اضدادها وهامها فلم يرد على ان حشم السلطان
كلفة الكر عليه قبل ان اطمأنت به قعدته او حبت على طرفه
لبدته فجفل عن نيسابور على سمت ابيورد وشد السلطان عليه الطلب
فركب المفازة الى مرو متقيا بالوحا على الحيوة ومستظهرا
بالنجا على النجوة وخلص الى مرو فمن اعيانهم فراهة المراكب
وقوة الصبر على وعثا تلك المهارب ورام ان يملكها ويتحرز
بها فمانعه اهلها موالاة للسلطان شكرا لما وسعهم من العدل
والاحسان فشن عليهم غارة شعوا وخبطهم بالسيوف خبط
عشوا وركب بعد ذلك امرا حتى عبر النهر الى بخارا ولما خلت
خراسان من بكتوزون واصحابه سرب السلطان ارسلان الجاذب
والى طوس الى قهستان لنفضها عن ابى القسم بن سيمجور اذ كان يظن
الظنون بتدبيره ويطمع فى الارتياش عن خشيره فواقفه بها
وطرده الى نواحى طبس عنها وولى السلطان اخاه نصر بن ناصر الدين
سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان ورتبه بنيسابور على ما كان يليه
آل سيمجور على قديم الزمان وامتد الى بلخ مستقر ابيه ناصر الدين
سبكتكين فاتخذها حضرة الملك ودار السلام ولما انتهى السلطان

الى بعض احدود مرو الروذ منصرفه الى بهار كتب على رسم المتصيد
فى خف من العدد ومعه اخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقائد من قواد
ابيه يعرف بنوشتكين كاج قد وزنه احساسه بما دائرة على يده
لاغير اذ كان كاحد رفقائه فى الالتيات والالطاف والاحسان
والارفاق فبينا السلطان فى هزة الاقتناص اذ حانت منه
التفاتة فاذا به قابضا على قبيعة سيفه يروم انتضاه وقد ورى
وجه اسمعيل بطرفه يطلب ايماه ولاح للسلطان انكار اسمعيل
عليه بدلايل ارضوه لمح ايماضه وشواهد ارتياعه وامتعاضه غير
ان استشارته اياه فيما جناه فرشت له بساط التهمة وجرحت
منه جارحة الثقة وبادر السلطان الى مضربه وقد امر بالاحتياط ط
عليه فى وقته وحكم فيه خواص غلمانه فاخذته السيوف حتى تطايرت
اعضاؤه وتناثرت عليه اوصاله واجزاؤه ثم دعى باسمعيل فاذكر
بعذره ووجد العلم بما ابداه الخاين الجاين من خيانة سره
وجرت محاوضات ومفاوضات اقتضى آخرها ان يستوثق منه
لنفسه وملكه اذ كان لا يلتقى سيفان فى غمد ولا يجتمع فحلان
فى شول وبلغنى ان السلطان بعد ايثاره اياه عن البلغة
بغرته بسطه منه فى بعض مجالس انسه وباحه بلسان الاستدراج

عند حث السقاة عما كان ينويه في معاملته ان لو ملك من امره
ما ملكه هو منه فحملته سلامة صدره ونشوة خمره على ان قال
كان رأيي فيك ان اوعز بك الى بعض القلاع موسعا عليك
فيما تقترحه من دار واغلمة وجوار ورزق على قدر الكفاية
دار فلما ارتاب السلطان عند الحادثة به عامله بغير ما نواه
وقابله بعكس ما ابداه واستودعه والي الجوزجان ابا الحارث ممكنا
مما يشتهيه ممتعا بمثل ما كان ينويه فلله هذا الفعال الذي
طرز ديباجة الكرم وعبر في مساعي ملوك الامم وقد يستغرب
هذا الاسجاح من وجه وان كان لا يستبدع من امثاله هناك
عاطفة العرق والرحم ولكن الشان في الاجانب الذين تعلق
رقابهم الاجرام الفادحة والجنايات الفاحشة كيف يسلط فيهم
رأيه على هواه ويستبقي الجاني بما جناه فلم يسمع باعف منه
في الجنايات سيفا ولا احسن على ثورة الزلات صبرا واحتج لهذه
الخصلة الفاضلة بان الملك الحازم يسلب الجاني في حال سخطه
ما يمكنه الوفا بعينه او بمثله له عند رضاه وجرح المال يؤسى
بالتعويض والاخلاف فاما النفوس فليس لاتلافها تلاف هون

ذكر الخلع التي افاضها القادر بالله امير المؤمنين على السلطان

اوجب القادر بالله امير المؤمنين له خلعا لم يسمع بمثلها محمولة من
دار الخلافة ولقبه في كتابه يمين الدولة وامين الملة لما كان
مصونا في صدف الشرف لم تنله قط ايدي الغاصبة على كثرة
الطلاب فتبوأ سرير الملك واجتاب خلعة المجد واذاع شعار
الطاعة لامير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وقام بين
يديه امراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة وملتزمين حكم
الهيبة وجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس وامر لكل
منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه اوليائه وحاشيته سحابة
يومه من روائع الخلع والصلات ونفائس الاحبية والكرامات
بما لم يسمع بمثله لملك ولم يبق بعضه ضمير امير واستجابت
خراسان لامره وفرعت منابرها بذكره واتسقت الامور عن آخرها
في كنف ايالته واستوسقت الاعمال في ضمن كفايته وفرض على
نفسه في كل عام غزو الهند ينصر به الدين ويقمع اعداء الله الملحدين
فكتب الله له اجره واحسن نصره لذلك قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم **ذكر انصراف عبد
الملك بن نوح الى بخارا** ولما وصل عبد الملك بن نوح الى بخارا في
الفل ومعه فائق وتلاحق به بكتوزن في اصحابه واولياء عبد الملك

في مضامته طمعوا ايضا في الاستقلال وتكهنوا لانفسهم
بطالع الاقبال وتحدثوا بالاحتشاد لابن القتال واخترم
من بينهم فايق في شعبان سنه تسع وثمانين وهو وجه الزمرة وطراز
الحلة وعمدة الجملة الملقب بعميد الدوله فتمكن الانخزال من
صدورهم وسرى الاختلال في امورهم وانحدر ايلك الخان الى باب
بخارا يظهر لعبد الملك وساير اجناده واجناده موالاة خداع و
احتيال وممالاة استدراج واغتيال وهم يظنون استظهارا
على ما عراهم واحتياطا لما اشتد عراهم معروفا دون عزو اجب الاستظهار
والاحتراس عن حبايل الاوتار حتى انسهم بلطايف بره وانياله
واطعمهم بزخارف اقواله وافعاله وركب اليه بكتوزون وينالتكين
الفايقي وساير قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمان بهم المجلس
امر باعتقالهم والقبض على اصحابهم ودوابهم واسلاب
اسلحتهم واسبابهم فلم ينج منهم الا الفارد الشارد والبادر
المبادر وبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة وقوته متشتتة
فلم يجد غير الاستخفا حيلة ودخل ايلك بخارا يوم الثلثا العاشر
من ذي القعدة سنه تسع وثمانين وثلثمايه ونزل دار الامارة وبث
عليه عيون الطلب وطلايع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله

الى اوزكند فمات بها وطويت بقية الشعلة من دولة آل
سامان بما وراء النهر واطراف خراسان فصارت كان لم تغن بالامس
كدأب الدول الماضية في القرون الخالية كذلك نفصل الآيات لقوم
يتفكرون ذكر خروج ابي ابراهيم اسمعيل بن نوح المنتصر وما
جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش ناصر
الدين سبكتكين كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك الخان من بخارا
قبض على ابي الحرث المكحول وعبد الملك وابي ابراهيم وابي يعقوب
بني نوح بن منصور المرضي وعلى اعمامهم ابي زكريا وابي صالح القا زكي
وغيرهم من الارومة السامانية وامر باعتقالهم ورسم افراد
الاخوة منهم في حجرة على حدة احتياطا لنفسه بتفريق ذات
بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل واختلاف الاراجيف واحتال
ابو ابراهيم المنتصر التملص من معتقله في زي جارية كانت تغشا هم
لمطالعة احوالهم ومراعاة اوقات اقواتهم وكانت حاله في
الخلاص موافقة لحال الكميت حتى استغشى ثياب طلته وانسل
عن عمد الاعتقال المحنة ثم انشا يقول
خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح المشلي
على ثياب الغانيات وتحتها عزيمة راي اشبهت سلة المنصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى
ان ايس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب او
الشهاب الثاقب متجردا للانتصار مستعينا بالله على درك الثار
وتلاحق به من بدد وعاد وانجد وغار من بقايا القواد والاجناد
السامانية في اطراف خراسان حتى اجتمع شمله وكثف خيله ورجله
وركض ارسلان بالو الحاجب الى بخارا فبيت الخانية بها فخبط الملاحف
وشغلهم بحقائق السيوف البوارق عن مخارق الاحلام الطوارق
وقبض على جعفر تكين وعلى سبعة عشر نفسا من اعيان القواد
الخانية وحملهم في وثاق الاسر الى الجرجانية وامتد الباقون
بجريعة الاذقان نحو ايلك الخان وركب ارسلان اعناقهم تحتهم
حث الشمال قزع الخريف وطرحهم الى حدود سمرقند مقتفيا
آثارهم وكاسعا ادبارهم ووافق بسنطره بوهك تكين خان في
عسكر جرار نائبا عن ايلك الخان في حراسة سمرقند وما يليها فانتدب
لمناجزته واستعان بالقل وسابر اصحابه على مبارزته فنصب ارسلان
له وجها وقاحا واضرم الارض عليه كفاحا فولاه ظهر الادبار واتقاه
بعودة الفرار وغنم ارسلان ومن معه اموالهم ورموا بايلك الاثقال احوالهم
وعاد ابو ابرهيم المنتصر الى بخارا فاستبشر اهلها بمعاده على مراده

وبلغ ايلك خبره فجمع احابيش الترك وصمد صمده في العدد
الدثر فكر ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه الاحتياط
عند ذلك العبور الى اسل الشط فوافاها وجباها وضاقت
به وبعسكره فركب المفازة على سمت ابيورد ثم لكها وسار
عنها قاصدا فقصد نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر نصر
ناصر الدين فالتقيا على ظاهر نيسابور ودارت عليهما رحا الحرب
يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطلى والعواتق ويضربون
مفارق الهام ضرب القدار بقيعة القدام ولما اشتد وطاة
الحرب على صحبها ومرت كاسها على شربها وتكاثفت جموع
ابي ابرهيم على اصحاب صاحب الجيش ابي المظفر اقتضاهم
الاحتياط ان تحيزوا الى جانب هراة استظهارا بالمدد واستنزالا
لما مولوه صنع الله في الغد فحثوا طفل الخيل بين ذيول الليل
حتى شابت عليهم لمة من حدود البوزجان ومكث المنتصر
بنيسابور وانضم اليه من شذاذ العساكر الجمع الكثير والجم
الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فاسرى
خيله من غزنين تربص بنهاره ليله وسار سير الجنب بطوى
الارض طي السجل للكتب حتى اشرف على نيسابور فانفض

بنى الهوا على بنات الما ولما تسامع المنتصر باقباله الى اسفراين
في عامة رجاله وبث اصحابه في الرساتيق لجباية اموالها وازاحة
اطماع حشمه بها فازعجه الطلب للحاق بشمس المعالي قابوس بن
وشمكير مستصرخا اياه ومستمليا عونه وجدواه فتلقاه بكل
ما تمناه ومهد ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان مما امر بحمله اليه
صفقة واحدة عشر دواب بمراكب الذهب وثلثون بمراكب الفضة
وثلثون من العتاق الجياد بالبراقع والجلال وعشرون بغلة
بمراكب الذهب والفضة وثلثون اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة
احمالا واثقالا من البسط النادرة والفرش الفاخرة ومن حصر
طبرستان وساير الطرايف المجموعة في الخزاين بجرجان واضيف الى
ذلك الفا الف درهم وثلثون الف دينار ومائة وخمسون تختا من الديابيج
التسترية والسقلاطونيات العضدية والحلل النجرانية والخزوز
الطائفية وساير الثياب المصرية وامر لاهل عسكره بعشرين الفا تهيات
معونة لهم على عوارض حاجاتهم واشار على المنتصر بقصد الري اذ كانت
معرضة لانتقاضها بتخاذل اهوايها وتواكل اوليايها واستجاد
الغير والاحن بين الدايرين عن فنايها على ان يمده بولديه دارا
ومنوجهر في جيوش الجيل والديلم ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر

باستخلاص تلك الولاية وليكون بما يتوليه من معاودة خراسان عن
ظهر الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة وسار حتى
جثم بظاهر الري فاحس اهلها منه بام الربيق على اريق وناب
الري افلاذ كبدها فاناخوا باقبال المنتصر ودس الكفلا
بتلك الدولة الى ارسلان بالو وابي القسم بن سيمجور وغيرهما من
اوليا تلك المنتصر من اطمعهم في مال حمل اليهم سرا على ان يشوا
عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطايف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا في تاويلهم ونصحوا المنتصر بان قدر مثلك ممن
نخله ملوك الشرق السامان على جلالة اقدارهم ونفاسة اخطارهم
ليجل عن مساواة قوم يدعون فيك قرابة ويعترضون لك طاعة
ومهابة موالاة لمن تجره الدار الى فرصة بالتعويل عليك ومغزاه
ان تجرش الافعى بيديك فله الغنم ان قدرت وعليك الغرم
ان عجزت فلفتوا المنتصر عن رايه وزينوا له الملك بخراسان من ورايه
فارتحل عن باب الري يريد الدامغان وانفذوا الى شمس المعالي عنه
عاذرين الى جرجان فحسن نجم ذلك التدبير وانحل عقد ذلك التقدير
واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وانشد
المنتصر طلقا الى نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر فاستقل

من زلة القدم كالتي حدثت قبل فاحتاط بالانحياز الى البوزجان
ودخل المنتصر نيسابور في شوال سنة احدى وتسعين وثلثمائة وبث
عماله في جباية الاموال مطالبة من ظفر بهم من العمال
واستمد صاحب الجيش السلطان يمين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب
الكبير التونتاش والي هراة البدار اليه في معظم الجنود من
شجعان الترك وسرعان الهنود حتى اذا استظهر بذوي الغنا
في هذه المجاكرة عائدا الى نيسابور وتلقاهم المنتصر بارسلان
بالو وابي نصر محمود وابي القسم بن سيمجور فالتقوا على حرب تحطمت
فيها الصفاح المشهورة وتقصفت الرماح المطرورة وغربت
عندها الكواكب المستورة ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا
على ادبارهم نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا ودخل صاحب
الجيش نصر ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالهدي
على زوجها الكفي وانثالت له البشارات كما تتهادى
النجوم السائرة وتتهادى الثلوج المتطايرة فركب
المنتصر سمت ابيورد والطلب على اثره حتى وصل
الى جرجان ولما شايع الامير شمس المعالي بنيابته
رماه بزهاء الفين من اجناد الاكراد فالجاوه الى الانتقال

وايسوه من طلب المحال فكر على ادراجه ثانيها الى الري وانما ركد
الراي بظاهر الري وقد كان المنتصر يحقد على ارسلان بالو استيحاشه
عليه واستطاطه في المطالبين بديته ومنازعته الراي
فيما ينحوه ومراجعته القول في كل ما يفوه به فوه وانضاف الى
ذلك ايهامه اياه بالتخاذل في الحرب التي انهزم فيها عن وجه
صاحب الجيش ابي المظفر نصر ناصر الدين لمنافسته على ابي القسم بن سيمجور
مكانه من اختصاصه وايثاره وغيرته على التركة الواقعة
به في محله ومقداره فحمله ما اجتناه من ما الكرب على التشفي باراقة
دمه والاستراح الى انتهاك روحه ففتك به فتكة انست فتكات
الاسلام وشفت نفسه من الداء العقام وجمع اهل عسكره لانكار
ما فعل والى لهم وقد سبق السيف العذل وقام ابو القسم علي بن محمد
مصانعا لهم عن المنتصر بلسان المعتذر حتى بزعيم اهلها المعروف
كان بالفقيه اذ كان قد رغب المنتصر في ارفاده وانجاده وايثاره
بعدته وعتاده فركبوا المسافة اليها على طريق ابيورد حتى وردوا ها
وجبوا اموالها وارتاشوا بما سمح لهم الزعيم بها وحين علم صاحب
الجيش اجتماعهم على مضغ الاباطيل بينهم ذلف اليهم في سراة الكماة
لطردهم عن شريعة الطمع وازعاجهم عن حضانة الامل ووصل

السير بالسرى حتى أشرف على برخش في الهيبة المشهورة والهيبة
الموفورة وبرز المنتصر إلى ظاهرها بأبنائه واستعد للقائه في
نجابيتا للقتال فاستك مسمع الهواء من قرع الحديد بالحديد
ورويت صدور الموامي من موارد الوريد وبلغ كل من الفريقين
غاية الإمكان في منازلة الأقران ومناوشة الضراب والطعان
محاجشة عن حبوط الرقاب وتفاديا عن سوء الذكر على تناسخ
الأحقاب غير أن قضاء الله تعالى أغلب وأمره أنفذ وله الحكم
في تبديل الأبدال وتصريف الأحوال ونقل الأفلاك من حال إلى حال
وهبت لصاحب الجيش أبي المظفر نسيم الإقبال فتمزق مصف
المنتصر عن هزمى بواسر الوجوه وجرحى بأنياب المكروه ولم ينشب
صاحب الجيش أن أتاه بعض العرب بأبي القسم علي بن محمد في ولادة
من الوجوه على بقية من الرمق وأردف بتوزتاش الحاجب وكان
رآه المنتصر جلدة ما بين العين والحاجب وانضمت حبالة الأسر
على معظم ذلك العسكر فحملوا إلى غزنة في الأصفاد مقرنين وسار
المنتصر سيء المنظر لا يرى وزرا غير اعتساف المسالك و
ارتكاب المهالك على جملة لا تميز فيها المملوك عن المالك ونقل
صاحب الجيش أبو المظفر وقد أعلى الله كعبه ورفع قدره وأطعمه

نصره والطائر بين الخافقين ذكره وأنشدنا أبو منصور الثعالبي
لنفسه فيه يذكر ما أتيح له من هذا الفتح الرائع منظره الشائع خبره
تسلت الأيام عن غرة الدهر وحلت بأهل البغي قاصمة الظهر
وولى بنو الأدبار أدبارهم وقد تحكم فيهم صاحب الدهر بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا إلى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ومن هو بالعليا أولى ولي الأمر
فيا لك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا وفائدة العصر
أبى الله إلا نصر نصر ورفعه على قمة العيوق أو هامة البدر
وملكه صدر السرير كأنه لنا فلك بالخير أو ضده يجري
وخوله دون الملوك محاسنا يبرن على الشمس المنيرة والقطر
فتى السن كهل الحلم والرأي والحجى كما فاح أذكى الند في وهج الجمر
إذا ذكرت فاح الندى بذكرها يعم ذوي الآمال بالنائل الغمر
له همة لما حسبت علوها حسبت الثريا في الثرى أبدا تسري
غدا راعيا للمسلمين وناصرا له الله راع قد تكفل بالنصر
ألا أيها الملك الذي ترك العدى عباديد بين القتل والكسر والأسر
قدمت قدوم الغيث إثر مغرم فخليت وجه الدهر بالحسن والبشر
ألست ترى كتب الربيع ورسله يقولون هذاك الربيع على الأثر

نسيم نسيب الحيرة بلطفه تجر فويق الارض اردية العطر
وترب بانفاس الربيع معنبر فيالك من طيب ويالك من نشر
وغيم تجافى راحتيك كانه على المسك والكافور يهطل بالخمر
فروح بروح الراح روحك انها لفي تعب من وقعة البيض والسمر
ودم في امينا الملك في اكمل المنى وفي ارفع العليا وفي اطول العمر

وانشدني ابو سعيد بن دوست لنفسه فيه

للامير المظفر العالم العادل فينا ابي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء في دهاء وذو اناة مع نصر
به نقطع الخطوب ونفري وبه ندفع الكروب ونصري

وانتهى الركض بالمنتصر الى محال الاتراك الغزية ولهم صغو الى الدولة السامانية آل سامان وما تعرفوه قديما من بركات ذلك البيت القديم والكرم العميم وسار مصعدا للاستنصار من المنتصر جيوش الترك يستعين في طلب الثار واستغاثة الثائر حتى اناخ بحدود سمرقند وبادر الغزية باقدامه فتوامروا بينهم على بياته فتجمعوا للركض عليه فحثوا الخيل تحت الليل حثا كاد لا يمس الارض بوطء اقدامها ولا تشعر النجوم باشخاص الوانها واعلامها حتى اوقعوا به واشهروا اجل سواده وقبضوا على جملة قواده وانقلبوا

بما غنموه الى اوطانهم عند حصول البغية واستاثروا على المنتصر بالاسرى طمعا في الفدية ثم بلغ المنتصر تنازعهم الامر بينهم في موالاة ايلك عليه وارتجاعهم عن الاسرى تقربا اليه فرابه ذلك من امرهم ريبة لم تاخذه الارض معها بقرار ولم تكتحل عينه عندها بغرار فاختار من جريدته قرابة سبعمائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا وطاف على المعابر فاذا النهر جامد وامد الشط في البعد امد فعبروا النهر بابان الارز حتى امكنهم من العبور وتبعه المطالب لمنعهم خطر المعبر من قصد المنتصر وارسل هو عند قراره بامل رسولا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه واشتداد الامر في اقبال العداة عليه وانه لم يجنح برتبة فيه طاعة له واخلاصا في هواه واظهر الانقطاع الى كنف قبوله واستماله والافتقار الى معونته بماله ورجاله وامتد من امل الشط الى سواد مرو حذرا من معرة الترك في العبور على الاطراف والفلك وارسل الى ابي جعفر المعروف بجواهر زاده وكان رجلا من جملة الرعاع رفعه الزمان في دولة آل سامان يستمنحه المعونة بما يفضل عن سعة يده من مال وسلاح فرد الرسول على عقب وجه الخيبة

نهم

سا

والارتياح لحكم الاستنابة ولم يرض بالرد حتى خرج اليه مقاتلا
وبالجفا مقابلا فهزم اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة
وبددت بسيافة ابيورد حتى وافاها في شهور سنة اربع وتسعين
وثلثماية واوجب السلطان اكرام رسوله وتخفيف ما نوله وصلته
بصدر من المال الخطير خلته فخاطب ابن خواهرزاده بخدمته وتوخى
مرضاته وترك الانحراف عن مراده فاضطره الامر الى طاعته حين
شاعت سبة البخل عليه واستطالت شادخة اللوم بخديه وقد
كان ابو نصر بن احمد الحاجب لما تسامع بقدوم راية المنتصر
مالاه على صاحبه واظهر الانقطاع الى جانبه واقام له الخطبة
بنسا مظهرا طاعته ومستنفدا في نصرته جهده واستطاعته
ولما احس اهل نسا براي ابي نصر في اتباع راية الخلاف اشفقوا
على نفوسهم من عاقبة الاتهام بموالاته والاشتراك في جناياته
فكاتبوا خوارزمشاه مستمدين عليه فانهض ابو الفضل الحاجب
احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره وكفاية امره ومال
ابن محمود الى المنتصر فتضافرا لعدة وتوافر العدة وصدر
الى الجوشان من رستاق استوا وناهضهم ابو الفضل في رجال خوارزم
فاتفق التقاوهم على الحرب ليلا بمراى من النجوم المشتبكة حيث لا يدرى

الضارب مضروبه ولا يبصر الراكب مركوبه واختلط الفارس
بالراجل والنادس بالنابل وتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل ونطا عنوا
سلكى ومخلوجة كر كلامين على نابل وتصدع شمل الفريقين
قبل ان صالح الليل صباحه ونشر النجم على الغرب وشاحه فلم
يشعر احد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام
حتى استفاض ضوء النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة
ابي العباس تاش الى جنبه صريع وتفرق الباقون عباديد بين اقطار
المهامه والبيد ووقع المنتصر الى اسفراين فمانعه اهلها حذر
المحنة وخيفة الهرج والفتنة وانثنى على ادراجه في شرذمة
من اصحابه يقطع الارض طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود
سرخس واقام هناك ريثما تلاحق به الفل وسار حتى عبر النهر
من ساحل قطنان وبرز شحنة بخارا في طلبه وسدوا عليه وجوه
مهربه فركب عزيمة الرجال في ثبات القوم وثبت بعضهم للبعض
جلادا بالدبابيس والحراب واغمادا للسيوف في قراب الرقاب
فجد المنتصر في الامر واشتد وتجاسر باسه ولم يكد وصار القوم
الى دبوسية من الصغد مستنجدين من بها من العمال وتفارق
الرجال ووقع المنتصر الى ثغر النور من بخارا وركض منها عليهم

ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واجتياك واصطلام واجتثاث
ونابله المعروف بابن علمدار دبير الفتيان بسمرقند فاتاه في ثلثة الف
رجل ونفر اليه مشايخ اهلها بثلثمائة غلمة على سبيل بر وخدمة
ووصلوا اليها كرامات تضاهيها وشارات تدل على اخلاصهم
فيها ونوى اليه الغزية فاشتعلت جذوته وتراجعت قوته
ولما سمع الخان باحتداد شوكته واشتداد طاقته زحف اليه
في احلاس الذكور من ديارات الترك واشتبكت الحرب بينهم بقرية
بوزنبذ من حدود سمرقند حتى نفدت النبال وانكسرت النصال
وتحطمت السمر الطوال وخان الخاني مقامه وانفض عنه اقوامه
واستفناه الغزية في طلاب الاسلاب حتى ملئت ايديهم
بالسبايا والنهاب والغنائم الرغاب وذلك في شعبان سنة اربع
وتسعين وثلثمائة وعاود الخان ارض الترك فضم النشر فنادى
مختشرا بكر على ثاره وبث على المنتصر شرر ناره ووافق اقباله
تراجع الغزية الى اوطانهم بما نهبوه على عاداتهم في كل ما غنموه
واستانفا الحرب على فضاء بين قرنين درزك وجادين من سروشنة
فاستامن المعروف كان بالحسن بن طاق الى الخان في زهاء خمسة آلاف
رجل من رفقائه عند اتقاد حميم المصاع واشتداد زفرات القراع

واضطر المنتصر الى الانهزام وحكم الخان في اهل عسكره بسيوف
الانتقام حتى رويت الارض من دمائهم وشبعت النسور من
اشلائهم وسار المنتصر الى شط جيحون فعبر على الجمد لعدم السفا بن
وخلق المعابر ومضى الى اندخذ يعني اندخوذ من ارض الجوزجان
مختبر سالم من ركضة الخان وامر باستباق الدواب الراعية بها
واقتسامها بين اهل جملته وركب المفازة الى قنطرة زاغول
ولما بلغ السلطان يمين الدولة خبره اسرع الانحدار الى بلخ لاعجا له
عن تفاقم امره واستفحاله واتبعه بغرلغور بن محمد في اربعين
قايدا من قواده لطرد سواده وحصد فساده فاعجزهم المنتصر
وصار الى الجنابذ من ارض قهستان ضرورة اذ كانت جيوب
الافاق عليه مزرورة فحيث ام شهرت عليه السيوف واني ام
احدقت به الحتوف ودلف اليه صاحب الجيش ابو المظفر نصر
ناصر الدين في طغانجوق والى سرخس وارسلان الجاذب والي طوس
يحثون الظهور في الطلب ويمزقون علائقها بين الوخد والخبب
فقاتهم الى جرجان ومنها الى بسطام فرماه شمس المعالي قابوس
بزهاء الفين من الاكراد الشاهجانية فانزعجوا عنها الى بيار
راجعا باللوم على من لقنه الانحدار ولما ضاقت عليه المذاهب

واحاطت به المعاطب بادر الى كورة نسا بدار من لا يملك بدار
ولا يوطئ الارض جنب قرار وتلقاه ابن سرخك الساماني بكتاب
يزين له الانتقال اليه لمضامنته على ايلك الخان موازرته ومواراته
ومطابعة الخان عليه ومواطاته فنازعته نفسه تقديم اجابته
طمعا في وفائهم وتاميلا لعونه على ذمامه فركب الخطار وسار حتى
اذا بلغ بين حماد من مفازة امل سبقه خيله الى الشط فوافق
ذلك جمود جيحون فاغتنموا مفارقته خلاصا مما منوا به من مكابدة
الاسفار وعدم الاستقرار ووصل سهر الليل بدأب النهار وتشاوروا
في العبور الى سليمان الحاجب وصافي حاجبي ايلك الخان فعبروا
اليهما وعرفهما ان الساماني بالقرب وان المحن قد طحطحته والحوادث
قد طحنته فهو خلسة المطامع ونهزة المطالب وطعمة الانياب
والمخالب فلم يشعر ابو ابرهيم المنتصر الا بالخيل مطلة عليه
فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظهر الفرار وقبض على اخويه وخاصتهما
برباط بشرى وحملوا الى اوزكند اسرى واطل المنتصر هربه
حلة ابن بهيج الاعرابي من جملة السيارة في تلك المفازة
ليقضي الله امرا كان مفعولا وكان المعروف بماه روي بندادامن
جهة السلطان يمين الدولة فيهم وقد اوصاهم بالقعود له بكل مرصد

واذكى العيون عليه عند كل مورد فلما لبس الليل جلدة
القنفذ وعرض على النجوم جيش الحبش وثب اهل تلك الحلة
على المنتصر جهلا وغباوة وقساوة وشقاوة فاخفروا حق
مقدمه واحلوا الارض حرام دمه فكانما عناه ابو تمام حيث يقول

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة ... تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة ... غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني ... رايت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل قالبه الى قرية ماي مرغ من رودبار ثم دفن بها في شهر
ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين الدولة خبره
فامر بالقبض على البنداد واذاقه حر الانكار وشن الغارة على حلة
ابن بهيج خاصة وعلى سائر العرب السيارة عامة وصارت جمرة
السامانية رمادا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا

ذكر الامراء السامانية ومقادير ايامهم من حين نجمت دولتهم الى انتقالها الى السلطان يمين الدولة امين الملة

ذكر الاحوال [illegible] السلطان [illegible]

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان بما يضاف اليهما
في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان
والري الى حدود اصفهان مائة سنة وسنتان وستة اشهر وعشرة ايام
فاولهم ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث
بناحية بلخ يوم الثلثا النصف من شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين ومائتين
وولي خراسان ثماني سنين ومضى لسبيله ببخارا ليلة الثلثا لاربع عشرة
خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين مشغوفا بالعدل والرافة موسوما
بطاعة الخلافة وقام بعده ابو نصر احمد بن اسمعيل فملك ست سنين
وثلثة اشهر وفتك به نفر من غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من
جمادى الاخرة وكان مقتديا بابيه في ايثار النصفة واختيار الاحدوثة
الحسنة اقتدى الابنا بالآبا في اختيار افضل السنن واتباع احمد
السير الى ان طوت الدنيا صحايف ايامهم كعادتها في الذين خلوا
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا واوسد
مسندا الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة رفيع النجاد قوي
العماد وري الزناد زكي المراد وتلاه في ارث الملك نوح بن نصر
وهو الحميد فملك اثني عشرة سنة وثلثة اشهر وسبعة ايام وتوفي
ببخارا يوم الثلثا لاحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة ثلث

واربعين وثلثماية وانتصب منصبه عبد الملك بن نوح فملك سبع سنين
وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته فسقط الى الارض
سقطة حمل منها ميتا وذلك عشية يوم الخميس لاحدى عشرة خلت
من شوال سنة خمسين وثلثماية وخلفه في الولاية اخوه منصور بن عبد الملك
بن نوح السديد خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي ببخارا يوم الثلثا
لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثماية وولي امره نوح بن
منصور احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر وتوفي يوم الجمعة لثلث عشرة
خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثماية وملك بعده ابو الحارث منصور بن نوح
سنة وسبعة اشهر فاعتقله بكتوزون يوم الاربعا لاثنتي عشرة
بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثماية ثم بويع اخوه عبد الملك بن نوح
فما استقرت قدمه في الولاية حتى خرت على يد السلطان يمين
الدولة وامين الملة دعامته وسالت نعامته فطار الى بخارا وقبض
ايلك الخان عليه وانتزع ولايتها من يديه فكانت مدة امره ثمانية اشهر
وسبعة عشر يوما وذلك حين تاتى للسلطان كور خراسان
واقبل بعد ذلك يزداد في اسباب العلا جدة وجده ويتضاعف
في رقاب الاعادي حده فما بشر له شهر الا عن ثغر مفتوح وصنع
ممنوح وذكر على هامات الاعواد مرفوع وباب الى قضا المنى والامال مشروع

ذكر الاحوال التي جمعت الامير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد والي
سجستان من خلاف مرة ووفاق اخرى وما جرى بعد ذلك من الطوايل
التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وامين الملة اليه وعطفت به الى
انتزاع الملك من يده وما جرى خلال ذلك من وقايعه في الهند
الى ان استتب له ما اراد في امره بعون الله ونصره قد سبق
في اول هذا الكتاب ذكر خلف بن احمد فيما اراه السديد منصور بن نوح
من رده الى بيته واظهاره على خصمه الى ان تهاوت رجوم الفتن
بخراسان بفرغه اشتغالا ولا بما دهاهم منها للاستجمام والانتداع
والاستظهار بما تخرجه له ارض سجستان من صنوف الارتفاع حتى
اتسع نطاق همته لطلب الفضول والزيادات ومنازعة القروم
والسادات ولما تصدى ناصر الدين سبكتكين لمواقعة ملك الهند
حين تورد حدود الاسلام على ما نطق بشرحه صدر هذا الكتاب
اغتنم خلف بن احمد انتقاض بست عن الحفظة وخلوها عن الشحنة
فاشرك البهاس انتياض بيضتها وافتض عذرتها وحرق كلمة الدعوة
عنها وغمس يده في اموالها يجبيها ويجمعها فوعاها فلما افلج الله
ناصر الدين على الكافر اللعين عطف العنان الى بست منفضا من
غباره محتفظا من سوء حفاظه فانفاه اصحاب خلف بن احمد بظهور

الفرار واعقاب الادبار وهم ناصر الدين بمناهضته
واستخار الله في مناجزته فارسل اليه خلف من يتاول عليه
سبب ذلك العبث محافظة على حكم الموالاة في حفظ ولايته وتضمن
تصحيح ما صار في جبايته ويتبرع بزيادة تقوم مقام الارش
من جنايته تناديا عن تبذل وطاته على اعماله وتصونا عن عوذة
الافتضاح في قتاله فتغابى ناصر الدين عن سر غدره كفا لبد
الانتداب واكتفا منه بذل الاعتذار فكان مثله في ذلك كما قال ابو تمام
ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي
ثم طالبه بتصحيح المال حتى اداه وارتهن به بعض رضاه و كانت
الحال بينهما من بعد قايمة على جملة المسالمة الى ان حدث من
امر ابي علي بن سيمجور في الجولة التي اتفقت له بباب نيسابور
وما سبق شرحه فاظهر نزوعا الى ناصر الدين بمساعدته على خصمه
وممالاته بنفسه وساير اهل جملته اميناً ناعليه بظاهر المظاهرة
واضمار التشفي من ابي علي بمعونته الحاضرة وقوته الباهرة
اذ كان ابو علي قد دوخه بعضد حساده وغزوه في عقر داره و
اقتساره بسيوف انصاره وهجمه الى بوشنج في جمهور اشياعه
واتباعه ثم خلفه بها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن كلفة السفر

وابقا عليه من خطة الخطر وسار الى طوس لموافقة ابي علي
وطلب الثار المنيم عنده حتى اذا اطرده ونفض بشغل تلك
الحرب يده رد الى خلف اصحابه مثقلين بالنعم الباهرة موشحين
بالخلع الفاخرة تقدمهم المراكب والجنايب وتردفهم النجايب
والرغايب ۞ فعادوا فاثنوا بالذي كان اهله ۞
ولو سكتوا اثنت عليه الحقايب ۞ فصفت لذلك شريعة
الحال بينهما عن قذى المداراة وتجلت عن عريض المداجة والمداجاة
والى ان عبر الامير سبكتكين النهر الى ما وراه لموافقة ايلك الخان
عن ولاية الرضى بدفق المناصحة او خرق المكافحة ثم اقتضته
صورة الحال مسامحته ببعض تلك البلاد على ان يسلم له سايرها
ويامن عنت العبث باديها وحاضرها ونزعت اليه اسباب ذلك
مكاتبة خلف بن احمد ايلك الخان يهيجه من عزيمه ويغريه باباه
نجزيه طمعا في تبنته ونواحيها و[illegible]نه وما يليها وانفاذ اليه
بلاغات ونوادر يرسلها له من جانبه في امر ابي علي واظهار
الندامة على ما سبق من عونه عليه والافصاح على ورود من الاشهاد
معرضا بان اجتياح الملوك شوم واستباحة البيوتات لوم وضعف
في الراي معلوم فطار الغضب بناصر الدين كل مطار وحدته

نخوة الاقتدار بالبدار الى ارض سجستان لاطفا الغليل وشفا
الدخيل فثناه كاتبه ابو الفتح علي بن محمد البستي عما نواه بالقول
الرفيق والراي المويد بالتوفيق واراه ان بعض البلاغات زور
وان القايل كالناقل مغرور وان قلوب الرجال وحوش نافرة
وطيور في جبال الجو سانحة فما يستمكن منها الا باعمال الحيل
في نصب الحبايل وتمكين الجوارح ورمي البنادق وبث الحبوب
والمطاعم ثم لا تسلم مع ذلك من افلاتها من حبالة القانص وارسالها
من شرك الصايد كذلك القلوب لا تنصطاد الا باشراك الصنايع
والعواطف ولا تنقاد الا بازمة الايادي والعوارف ولا تستقاد
الا بابتذال التلاد والطوارف ثم الكلمة الجانية تكاد تهيج وا (دعها)
ونظيرتها توقعها وتكدر عليها مشارعها وتلا عليه قول الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ۞ ثم فسرها له حتى نزل عن
ظهر التعجل الى ارض التمهل وانشدني ابو الفتح في
شرح ما دار بينه وبين ناصر الدين لنفسه ۞
اذا شيت ان تصطاد حرا اخا لب وتملك منه حوزة القلب والحلب
فاشركه في الخير الذي قد رزقته وحصله بالاحسان في شرك الحب

الم تر طير الجو يهوى مسفة لحب لتنظر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد ذو الرأى والحجى بحبات حبات القلوب بلا حب

وكتب بعد ذلك خلف بن احمد مستقيلا عما جرى عليه ومستبريا مما نعى منه نعتا ناصر الدين سبكتكين عما حاك فى صدره من امره واغمض له عما اتاحه من تقليب قلبه وعذر غدره وثبت بابى عمره على مداراته وملاطفته الى ان اتاه اليقين من ربه فانتقل الى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة حاله جنوحه الى الشماتة باظهار الشماتة فاستنشد قول القايل

فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تجهز لاخرى مثلها فكان قد

ثم اسرها فى نفسه متربصا بالمتقاب الفرصة فى الايقاع به والاشتفا منه الى ان ورث ملك خراسان نقى الاطراف عن عثرات الخلاف وسليم الاكناف من عثرات الشقاق وقد كان خلف بن احمد عند قيام السلطان باستصفا المملكة قد بعث ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم عرج منها الى بوشنج فاستولى عليها وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق اخى ناصر الدين سبكتكين فلما وضع الله عن السلطان اوزار تلك الملاحم اتاه عمه يستاذنه فى طرد المتغلب عن ولايته وقل ما احد من حد نكايته فاذن له فيه وسار حتى اذا اشار فى

بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بمن والاه من العدد نخب الحديد فتناوشا الحرب قدا للهام من خطوط المفارق وقطا للاجسام من خصور المناطق واستنفاقا للارواح باسنة الرماح واحتلالا للرووس بسيوف كسيوف الرووس ثم حمل بعضهم على بعض فذهبت الميامن بالمياسر والمياسر بالميامن وانسل طاهر من بين يديه هزيما واتبعه بغراجق يحث منه ظليما وقد كان قبل ان شمر للحرب اصاب كووسا يستنشط بها اعين الطعن والضرب فتعاون عليه ناران من كاس وباس حتى عقلا بها عن وثبة المحزم وذهل معهما عن بصيرة المتحفظ والمتحرز فغرر نفسه فى اثنا حملته اغترار الخيال سكره فلم يشعر الا بابن خلف قد كر عليه بضربة اقعصته قتيلا ونزل للوقت اليه من قطف علاوة اخذ
واقتسمت الهزيمة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب ولا السالب من المسلوب خلا ابن خلف فانه قفى اثار فله بمن ردهم الى محله فورد الناعى على السلطان فناله من الغم لفقد العم ما ينال الوالد لعدم واحده والمولود لافتقاد صنو والده. واشتد بما اتفق لابن خلف على احداق السفا به وبابيه واطباق البلا عليه وعلى من يليه وحدس ان البقرة بحثت عن المدية بروقيها

يقضي عليها بان جناحيها ولو عقل لما عشا ما عاش الى ضوء نار
ولا تهافت في مصرع دمار

اشارت الفرس في اخبارها مثلا وللاعاجم في اياتها مثل
قالوا اذا حمل جاءت منيته اطاف بالبير حتى يهلك الجمل

وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة الى خلف بن احمد
وهو متحجر بحصار اصبهبذ قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب
قوسين بل قيد سهمين تحور عن مراماتها الابصار وتحار دون
مساماتها الاطيار فحاصره بها ممنوعا من فسحة الاختيار
ممنوا بشدة الاضطرار محجوبا عن راحة القرار ولذة الغرار حتى
نخب الروع روعه وودع الروح روحه فاستشعر الخضوع
والطاعة واظهر الخشوع والضراعة وسال سوال المستكين
ان ينفس من خناقه ويمهل من حبل ارهاقه على ان يفتدي بمائة الف
دينار وبما يليق بها من خدمة نثار وخف ومبار فاجابه السلطان
الى ما استدعاه ووكل به من اقتضاه المال حتى استوفاه وغادره
كما هو في اسار الحصار وخناق الوثاق وثنى نفسه قصد سجستان
لكنه احب ان يجعل غزوة في الهند مقدمة لما توخاه وصدقة
بين يدي نجواه تبركا بما تجري على يده من ارتفاع راية الدين

واتساع ساحة اليقين وانارة كلمة الحق واغارة قوة الصدق
فتوغل بلاد الهند متوكلا على الله الذي هداه بنوره وقضى
له بالعز في مقدوره وبالنجح في تصاريف اموره حتى انتهى الى
مدينة برشور فخيم بظاهرها وبلغه اجتراء عدو الله جيبال
ملك الهند على لقائه واستعجاله القضاء بمجاورته وتنابه فاستنفر
الخيول من اشاجرينه وسائر الغزاة والمطوعين في جملته واختار
للجهاد خمسة عشر الف عنان من فحول الرجال وقروم الابطال
وحظر ان يختلط بهم من رذلة الاختيار وبهرجة الانتقاد حتى
اذا خلص عددهم على الانتخاب واجتلاهم كجنان الصرائم او سود
الغاب ذلف بهم الى قتال اللعين بقلوب كالهضاب ثابتة
وفروع صبر على دوح الاخلاص نابتة وابرز الكافر الفاجر
في اثني عشر الف فارس وثلثين الف راجل وثلثمائة فيل ثار الارض
من وطئ اظلافها وخف من ثقل اخفافها حتى اناخ قبالة
السلطان متبطا ولا بعدده ومعطا ولا بقوة باعه ومدة بطش
كثرة الجموع بطوى كتاب الله طيا او يغني من امر الله شيا
ولو درس الجاهل كتاب الله لقرا كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله وارتز الكافر بمكانه جانحا الى المطاولة

ومتحرزا بالمدافعة والمراوغة انتظار المدد وراءه من اوشاب
الجيوش واوباش القبائل والشعوب فاعجله السلطان عما حلم به
من تقديم المطاولة وتأخير المقاتلة وبسط عليه ايدي اولياء
الله فاوسعوهم ضربا وطعنا ونهبا ومشقا ورشقا ووخزا وحزا
وحثا وبحثا حتى اضطر الى الدفاع وصلي نار القراع فانهمك
عند ذلك الخيول وخفقت الطبول ورجفت الفيول واقبل
البعض على البعض يصول وترامت النبال على الخصل برامي
ولذت الاصابع بالخشل وتلألأت متون القواضب تلألؤ بروق الغيم
جنح الغياهب وفارت ينابيع الدماء كما فاضت مجادح الانوا
وتكاثر اولياء الله على جماهير المدابير يوزعونهم ازا ويحتزونهم
رقصا وجمزا فلم ينتصف النهار الا باستيصال المسلمين عن اعداء الله
المشركين وحكموا السيوف في زهاء خمسة آلاف رجل فبسطوهم
على الثرى واطعموهم سباع الارض وطيور الهوا ووجد على
صعيد المعترك خمسة عشر فيلا مقرونات العرانين باطراف
المشاجب محزوزات الخراطيم باسياف اللهاميم واحيط بعدو
الله جيبال وبنيه وحفدته وبني اخيه وذوي الصيت من رهطه
وذويه فسيقوا بخزايم القسر والاسر الى موقف السلطان

كما يساق المجرمون الى النيران وجوه عليها غبرة الكفران
ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوف الى الظهر قهرا ومسحوب
على الخد جرا ومضروب على الوريد صبرا وحل مقلد جيبال
عن نظيم مرصع بغرايد الدرر والجواهر الزهر واليواقيت
الحمر قوم مايتي الف دينار واصيب اضعافها في اعناق
المقتسمين من قرابته بين قتيل واسير والمطعمين سيف ضبع ونسر
ونفل الله اولياءه نفلا فات حد الاحصا وحار جهد الحصر والاستقصا
واغنمهم خمس مائة الف راس من رقبة العبيد والاما وآب السلطان
بمن معه من الاولياء غانمين وافرين ظاهرين ظافرين شاكرين لله
رب العالمين وفتح الله على السلطان من ديار الهند ارضا
تنضاف الى بلاد خراسان في حجمها طولا وعرضا وكانت هذه الوقعة
الباهر اثرها السائر في الآفاق خبرها يوم الخميس الثامن من
المحرم سنة اثنين وتسعين وثلثمائة ولما وضعت هذه الحروب
اخمالها وحطت عن الظهور اثقالها احب ان يعرف الجند وراءه
ليراه يقوده ويذوده في شعار العابد واسار الحساد ويستطير
هيبة الاسلام في ديار الكفار فوافقه على خمسين راسا من جفان
الافيال وانهض ابنا وحافدا له على الوفا بها على الكمال وعاد

الكافر وراءه حتى اذا استقر به مكانه كاتب ابنه اندبال
وشاهيه وراسيجون يشكو اليهما عراه من الفادحة الكبرى و
الداهية العظمى ويسأله سؤال الملحف بتخليف يؤدي عنه الضمان
بما عز وهان فساق اليه تلك الفيول وصرف الرسول وسيقت
حملها الى السلطان تأميلا لافراج عن اوليك الرهاين وكسع اذنابهم
نحو تلك المداين وحدثت نفسه اندبال بان اباه قد لبس بردة الحرب
وعض على جذعة الهرم وقد طلع عليه نسر الاسر ودبران الادبار
وعوته عوا الامتحان وشالت به شولة الخذلان فقد حان
ان يلقى حينه وتقاضى عليه الزمان دينه ومن سنتهم المطاعة
فيهم ان من حصل منهم في ايدي الثانية وهم المسلمون اسيرا لم يعقد
له من بعد رياسة ولم يستتم له زعامة وسياسة ولما راى جيبال
حصوله بين يدي الهرم وقيد المذلة آثر النار على
العار والمنية على الدنية فحلق شعره ثم
تحامل على النار حتى احترق ولما استتب
للسلطان ما اراده وانقاد له ما انقاد ارتاح لغزوة
اخرى يطرز بها ديباجة مقامه ويعلم
بجمالها عذبات اعلامه فمال نحو بهند

فضرب عليها بكلكل الاقتدار حتى انتسفها صغرا واعتاض
منها بعد العسر يسرا وبلغه ان اخلاطا من الهنود بشعاب
تلك الاعلام واستتارهم بخمر الغياض والآجام محدثين
بالتحزب للفساد والتألب على العناد فاغزاهم جيشا
يدوخ مجالهم ويمزق قبل الوصال اوصالهم فولغت فيهم
للسيوف حتى رويت من رشاش دمائهم وصدئت من مخالطة
احشائهم وتهاوت من سلم على ظبائها كالاوعال من ذرى
تلك الجبال يرون الكواكب ظهرا والمنايا سودا او حمرا وذا قوا
وبال امرهما وكان عاقبة امرها خسرا وانقلبت رايات
السلطان الى غزنة خافقة بالفتح الرابح والنجح الشائع
والحول المتين والنصر المستبين وقد اشرق وجه الاسلام وابتسم
ثغر الايمان وانشرح صدر الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة
وقد كان خلف بن احمد عند انصراف السلطان عن وجهه عهد الى
ولده طاهر في اعمال سجستان واسند امورها اليه ايثارا له على
نفسه وتهديا بالكرامة الملك اليه قبل وفاته وتثبيتا لها في
ملكه قبل استحقاقه اياها بارثه تعريضا للسلطان باستعفا به
عن الملك وابتذاله عن النسك واعتياضه مواضع العبادة

عن ترفع السيادة ليقطع بخروج الامر عن يده طمعه عن قصده
وحصده فلما انقضت المدة على ما ولاه نطقت شواهد
الجحود في اختياره وبدت نواجذ العقوق في ثني اثاره فلم يزل
يلاطفه ويداريه حتى اعماه عما نواه فيه ثم تمارض في الحصار
المذكور واستدعى ابنه ليتولى الوصية ويتسلم الودائع الخفية
عن سر التدبير وتدبر العقاب والنكير وانبل اثبات طرفة بن العبد
على خصلتي الضبع من ضرب الحديد وحز الوريد وقد كان خلف بن
احمد كمن له عصابة من جيشه فاحاطوا به احاطة خيل الزبا بجذيمة
الوضاح الى ان حصل في معتقله وحبس في مكمن اجله وبقي في السجن
على حاله الى ان اخرجت جنازته محمولا عليه في قتل نفسه والجناية
على روحه ودمه ولما سمع طاهر بن زيد صاحب جيش خلف بن
احمد وسائر القواد بسجستان ما جرى في امر طاهر دخلت في طاعته
ضمائرهم وتغلغلت في موالاته سرائرهم واستقصت خوف الاسوة فيه
مرائرهم وضبطوا تلك المدينة على طاعة السلطان ومشايعته
وارسلوا اليه بما رجوه من التمسك بحبل الطاعة والتبرك بدين
الجماعة وسألوه انفاذ من يتولى تسلم الناحية منهم ليبتدروا
الى بابه ويتعطروا بالمثول به فبعث السلطان ما سألوه وجزاهم

الخير على ما نقلوه وانبت الدعوة للسلطان بها في سنة
ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله رتاجها وبين له انزعاجها
عزم على قصد خلف وحسم دائه وكفاية الخاصة والعامة عوا دى
نكره ودهائه وهو يومئذ في حصار الطاق ومن صفته انه
ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الاركان
يحيط بها خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع المخاض لا يعبر
الا من طريق ضيق على جسر يطرح عند الحاجة اليه ويرفع
وقت الاستغناء عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه
احاطة المحيط بنقطة المركز وجعل يستفتي بالراي وجه
الحيلة في طم ذلك الخندق وكبسه ليستدق على الفارس
والراجل خوضه وعبوره وكانت حوالي معسكره غابات اثل
وطرفا ذوات اجتفاف والتفاف ففرض على اهل عسكره
خاصتهم وعامتهم راجلهم وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده منها
اضغاثا وحزما تلقى عرض الخندق ليستتب ظهر المجال
والمخترق وبادر الناس اليه فلم يشرف شمس النهار على
التكبير حتى اعرض عرض المخاضة من جانب باب الحصار
للركوب وثار اليه عند ذلك الخيول وتبعتها الفيول وما يـ

أصحاب خلف بن أحمد من شرفات الحصار بعذبات الأحجار واشتعلت
الحرب بينهم ترمي بشرر كالقصر وتجني على القصرات بالقرس والقصر
وزحف الفيل العظيم إلى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزخ به
في الهواء فانحط إلى الأرض من حالق وقتل من أصحاب خلف الجم
الغفير ولجأ الباقون على أطراف الحاجز إلى السور الداخل
ودمر عسكر السلطان على الحصار وتماسك أصحاب خلف فوق
شرفات السور الآخر مناضلين عنها بأحجار المجانيق وأطراف
الحراب والمزاريق واطلع خلف بن أحمد عند اشتداد الخطب على ملتقى
الفريقين فرأى الهول المطلع من تموج الفضاء بعفاريت الأجناد
على شياطين الجياد وتطاير النبال كرجل الجراد وترامي الحراب
كعزالي السحاب وتبجح الدماء كسيح السماء وعاين الفيل قد أهوى
إلى بعض أصحابه بخرطومه فرمى به في الهواء فآب رمحين ثم تلقاه
بنابيه وأقبل على آخر يدوسه بمنسمه ثم اتكأ على الباب
بمنكبيه فزعزعه بعضادتيه واقتلعه بضباب الحديد عليه
فاستطار عند ذلك قلبه وجاشت جأشه وارتاع روعه واضطره
هول المقام وفزع الاصطلام إلى طلب الأمان واستغاثة السلطان
فكف عنه يد الإخراج ووضع عنه سوط الانتقام كرما

غذاه الله بدره وأطربه بنشوة خمره وأقبل خلف بن أحمد على
بذلة الجبابرة حتى استؤذن له على السلطان فدخل وأهوى
إلى الأرض بشيبته البيضاء معفرا بذل الخدمة وغشى البساط
من نسج الجواهر والغرائب بما كسف النهار وخطف الأبصار نثارا
ينوب عنه في شكر ما أذاقه من برد العفو والرحمة وحماه من حريم
الروح والمهجة فتلقاه السلطان بالرفع من قدره وضم يده عند
التقريب إلى صدره تناسيا لما سبق من هناته وتغابيا عما قدم
من ذحوله وتراته وحكمه في احتمال ما أحب من زيد يساره وذ خاير
حصاره وخيره في المقام حيث شاء من ديار ممالكه وأمصاره
فاختار أرض الجوزجان استرواحا إلى نسيم هوائها واستعذابا
لنمير مائها واتساعا في مراتع الصيود حول أرجائها وأمر السلطان
بتسييره إليها في هيئة ذوي الهيبة معافى بلباس الصيانة عن عورة
المهانة فأقام بها قرابة أربع سنين في ظل الترفيه وساعدته
القناعة بما هو فيه ثم أنهي إلى السلطان مراطنة بينه وبين ايلك الخان
بملطفات سيرها إليه ورسالات أغراه بها عليه فاقتضاه الاحتياط
نقله إلى جرديز إبقاء عليه من صدق ما أضيف إليه واستتماما للصنيعة
لديه واحترازا مما يلجأ إليه من إبطال ذلك الاتصال وتكدير

صفوة ذلك الغدر فبقى هناك على جملته الى ان حقت عليه
القضية واخترمته المنية وذلك في رجب سنة تسع وتسعين وثلثمايه
وامر السلطان بحفظ جميع ما تخلف عنه على ولده ابى حفص وتقريره
في يده وتمكينه من خدمته وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه
فيه حين وهي امره وصغرت عن الملك يده هـ

من ذا الذي لا يذل الدهر صعبته ولا تلين يد الايام صعدته
اما ترى خلفا شيخ الملوك غدا مملوك من فتح العذرا بلدته
وكان بالامس ملكا لا نظير له فاليوم في الاسر لا ينتاش اسرته

وكان هذا الامير خلف بن احمد مقصود الجناب من اطراف البلاد
لسماحة كفه وغزارة سيبه وافضاله على اهل العلم وحزبه وقد
مدح على السنة الشعرا والعلما بما هو ساير وذكره في الارض طاير
وكان قد جمع العلما على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله تعالى
لم يغادر فيه حرفا من اقاويل المفسرين وتاويل المتاولين ونكت المذكرين
واتبع ذلك بوجوه القراات وعلل النحو والتصريف وعلامات التذكير
والتانيث ووشحها بما رواه الثقات الاثبات من الحديث وبلغني
انه انفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته على جمعه وتصنيفه عشرين
الف دينار ونسختها بنيسابور موجودة في مدرسة الصابوني لكنها

تستغرق عمر الناسخ وتستنفد صبر الكاتب الا ان يتناسخها
النساخ بالخطوط المختلفة واخبرني ابو الفتح البستي
قال قد كنت عملت فيه ثلثة ابيات من غير قصد لتبليغها
اياه لكنها سارت على السنة الرواة اليه فلم اشعر الا بصرة
فيها ثلثماية دينار انفذ بها على يد بعض ثقاته صلة له على
ما قلته وعملته والابيات هذه هـ

خلف بن احمد احمد الاخلاف اربى بسودده على الاسلاف
خلف بن احمد في الحقيقة واحد لكنه مرب على الالاف
اضحى لآل الليث اعلام الورى مثل النبي لآل عبد مناف

فقلت له قريب من هذه الصورة حديث ابرهيم بن هلال الصابي و
ذلك ان رسولا لسيف الدولة الحمداني كان قدم مدينة السلام يطلب
شيئا من شعره على لسان صاحبه فدافعه به الى ان ازف ارتحاله
واتاه عند الوداع ملحا عليه في تنجزه فاعطاه عجالة الوقت قوله

ان كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو اني حالف بغموسها لغريم دين ما اراد مزيدا

فلما عاد الرسول الى الحضرة حمل اليه صرة فيها ثلثماية دينار

موسومة باسمه وللشيخ ابي الفتح البستي الكاتب فيه ايضا يمدحه
من كان يبغي علو الذكر والشرفا اذ يرتجي عطف دهر قد نبا وجفا
او كان يامل عند الله منزلة بنيله قرب الابرار والزلفا
او كان يطلب دينا يستقيم به ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
او كان يبغي نماء ثابتا خلفا فليخدم الملك العدل الرضي خلفا
الوارث العدل والعليا من سلف حتوا بعليائهم في وجه من سلفا
المؤثر القصد في اخلاق سودده فان اراد عطاء اثر السرفا
اذا الهوى عن ولي حكومته سيفا الى ما اقتضى حقا لا انصفا
والسيف ابلغ للاعناق موعظة كم من صليف حماه حده الصلفا
وان بدا كلف في وجه ملكهم جلى بلا كلف عن وجهه الكلفا
رضاه يصرف عمن يستجير به صرف الزمان اذا ما نابه صرفا
اذا استشعر زمان من جدوده اغنى الورى وكفى جوده وكفا
يسخطه يدع الافلاك خايفة والشمس حايرة والبدر منكسفا
يرى التوقف في يومي وغى وندى وصما فان عن راي تكلا ونفا
لله نصل صيل في انامله اعاد خطي سمينا بعد ما نحفا
يبين امواله حتى يستفيد بها عزا يورثه اعقابه الشرفا
والمرء للوم في احواله هدف ان لم يكن ماله من دونه هدفا

لا يلحق الواصف المطري معانيه وان يكن سابقا في كل ما وصفا ه
وانشدني ابو الفتح البديع الهمداني قصيدته التي يمدح
الامير خلف بها واولها ه
سما الدجى ما هذه الحدق النجل اصدر الدجى حالك وجيد الضحى عطل
لك الله من عزم اجوب جيوبه كاني في اجفان عين الردى كحل
وفيها يذكر اباه بهمذان واستقباله الحجيج للسوال عن خبره
والبحث عن وطنه ووطره ه
يذكرني قرب العراق وديعة لدى الله لا يسليه مال ولا اهل
اذا ورد الحجاج لاقى رفاقهم بقوارني دمع هما النجل والسبل
يسايلهم كيف ابنه اين داره الى ما انتهى لم يعده عن اهله شغل
اصافت به حال اطالت له يدا اخره نثر قدمه فضل
يقولون واتى حضرة الملك الذي له الكنف الماهول والنائل الجزل
وفاضت عليه مطرة خلفية بها للغوادي عن ولايتها عزل
يذكرهم بالله الا صدقتم لدى احد ما تقولون ام هزل
ولما بلوتا كرتلو نامد تحكم فيا طيب ما تتلوا ويا صدق ما تتلوا
وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي الطوسي
بنيسابور ذكر انهما مكتوبان على باب داره بسجستان

من سره ان يرى الفردوس عالية فلينظرن الى ايوان كيوان
او سره ان يرى الرضوان من كثب بملء عينيه فلينظر الى الباني

ثم وصفت سجستان للسلطان يمين الدولة وامين الملة فهدأت عيون الفتن وسقطت نجوم الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن الغصب والتحرب وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب ورجع السلطان الى غزنة ظاهر الامر عالي النصر وقد صنع الله له فيما رامه وسدد نحو المراد سهامه وشهره بافتراع المدينة العذرا واستصفا المملكة الغرا واطلاع ذروة الرجا وادراع لامة العز والعلا واستدرك ابو منصور الثعالبي لنفسه من قصيدة في فتح سجستان

سعدت بغرة وجهك الايام وتزينت ببقائك الاعوام
وتقرنت بك في المعالي همة تعيي بها الافهام والاوهام
ولقد فرشت مهاد عدلك فاغتدت تتوارد الاساد والارام
وافتض سيف علاك كل مدينة بكر عليها للاباء ختام
هذي زرنج استغلقت ومنعت وكانها الا عليك حرام
فتحتها واخذتها وجعلتها تتزاحم لمثابك الخدام
وقدمت والايام تنشد في الورى بيتا يجيد نشيده الايام

قد جاء نصر الله والفتح الذي تزهى بكتبة وصفه الاقلام
باجل اخوال وايمن مقدم وانم اقبال يليه دوام

ورحم الله البديع ابا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان يمين الدولة وامين الملة

تعالى الله ما شاء وزاد الله ايماني
افريدون في التاج ام الاسكندر الثاني
ام الرجعة قد عادت لنا بسليمان
اظلت شمس محمود على انجم سامان
فامسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان
اذا ما ركب الفيل لحرب او لميدان
رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان
فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان
فما يغرب بالمغرب عن طاعتك اثنان
لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان
ابا والي بغداذ ويا صاحب غمدان
تأمل ما بنى فيل على سبعة اركان
يغلبن اساطين ويلعبن بثعبان
عليهن تجافيف تشهرن بالوان

ويأجوج ومأجوج من الجند يوجان
واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجى الحاجب أحد
المحتشمين من قواد الأمير ناصر الدين سبكتكين فحسنت في
السياسة سيرته واشتدت في الرفق بالبرئ والعنف على
المريب بصيرته ثم إن طوائف من نجوم الفتنة ورجوم الشر والعصبية
أبطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الأمن وفسحة الحال
وسعة المجال فحدثوا بينهم سفه رأيهم من نصبهم على العصيان وبونهم
في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء وتحككا بالشقاء واجترا
على سوء القضا فأبرزوا صفحة الخلاف واخترطوا نصل الشر
من الغلاف فلما رأى السلطان انتقاض سجستان على خلفائه
وأمنائه بادر إليها في عشرة آلاف رجل من نخب العسكر ومعه
صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين والتونتاش الحاجب
وأبو عبد الله محمد بن إبرهيم الطائي زعيم العرب وحصد المردة
العتاة في حصار أرك ووكل حيول عسكره بجوانب الأسوار ح. [illegible] الحصار
واقتسم بينهم مجال تلك الحال ونشبت الحرب بعد العصر من يوم الجمعة
للنصف من ذي الحجة سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وخاض السجزية
غمرتها ساعة متوازرين على المدافعة متضافرين على المقارعة

١٠٢

حتى إذا أوهنتهم السلاح وأثخنتهم الجراح لاذوا بالانجحار
والاعتصار بسور الحصار وظهر أولياء السلطان على بعض جوانب
السور في ظلمة الديجور فنادوا بشعار الملك المنصور
فانهزموا إلى المجاز وملك عليهم الحصار وبسطت أيدي القتل
والضرب على من تضمنتهم الدور وتضمنتهم المساكن والبيوت
فمن رؤوس منبوذة وأعناق محزوزة ووجوه مكبوبة
ودماء على الأرض مصبوبة وهام الآخرون على وجوههم
خادع يتساقطون من كسع الأدبار في آبار ويلوذون من ضرب الإله
بالمخادع وينزعون من شن الغارات إلى المغارات والطلب
يقطع دابرهم ويلحق بالأول آخرهم حتى خلت سجستان من خبث
شرارهم وسلمت من شرارهم وفتح الله تلك المملكة على
السلطان فتحا ثانيا وملكا ثانيا فلم يسمع على الأيام بمثله
فتحا في علو الطلاع واستفاضت هيبة السلطان في أهل
سجستان حتى نامت لياليهم من دبيب العقارب وصرير الجنادب
وأنشدني بعض أهل العصر على عقبة النصر ه

يا أيها الملك الذي زند المعالي لن يقتدح
لا زال ثغرك باسما أجل نفر تستنج

[illegible] تعالى [illegible] واستمالة الى مملكته [illegible] بعد طول السلب [illegible] التغريب

وانشد ابو منصور الثعالبي في هذا الفتح المشهور والنجح الكبير يمدح السلطان يمين الدولة وامين الملة ه

يا خاتم الملك ويا قاهر الاملاك بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للارض مستول على النجح
راياته تنطق بالنصر بل تكاد تملي كتب الفتح
كم اثر في الدين اثرته يقصر عنه اثر الصبح
وكم علي بالمال شيدتها تثني عليها السن المدح
فاسعد بايامك واستغرق الاعدا بالكبح او الذبح
ودم رفيعا عالي المنتحى ممتنع الملك على القدح

ثم جعل السلطان سجستان طعمة لصاحب الجيش اخيه ابي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين مضافة الى نيسابور وناهيك بها ولاية في بلاد الشرق ونصب لخلافته عليها ابا منصور نصر بن اسحق وزيره ووكل بها تدبيره ورضي لها تقدمه وتاخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية واتقان السياسة وانعام الحراسة فنام من عدله الزمان بشنافه ونبه الكمال باوصافه وعاد السلطان الى بلخ على استيناف الجد في غزو الهند على ما سنذكره باذن الله وعونه ه

قد كان شمس المعالي اقام بخراسان ثماني عشرة سنة مصابرا للدهر على وقفاته وتصرف حالاته لم تغمز يد الحادثات قناته ولم تقرع صرف النائبات صفاته ولم تنقض مرائر الايام حفيظته ولم تنقص دوائر الايام مروته ولم يبق احد من اصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يضرب ب بسهم في نوافله ولم يرجع الى حظ من عطاياه وفواضله ولم تخدمه احد من ذوي الحشمة يسلم الاحظى منه بالانعام والاحسان واحبية الالوان وافراس مطهمة حسان فعلى الاكتاف خلعه ولباسه وتحت الافخاذ مراكبه وافراسه وحشو البيوت بدره واكياسه وقد كان آل سامان يهمون برده الى مملكته حيازة لقصب السبق اذ اليه على خصمه وامالة ملكه الى يده فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم عن اصابة اغراضهم في امره والهمته بصيرة التجارب مداراة المحنة حتى تنتهي زمانها وتنقضي على الايام اخراها اذ كان الاضطراب في المحنة كالاضطراب في حلق الوثاق ما يزداد صاحبه على نفسه حركة الا ازداد احتناقا وهلكة ومما يضاف الى شعره قوله في حال محنته ه

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا ونالنا من عوادي بؤسه الضرر
عرام خراسان ومكّنه الظفر بابي علي من كورها
ارتاح للقائه وما ينجحه على نصرته واعلائه ثم انقلب من
الاستلاب الى بلخ ما طال بينه وبين المراد فعبر مدة على جملته
الى ان انقرض امر ابي علي وهوى نجم الشغب به وانحدر الى طوس
في طلب ابي القسم السيمجوري فجدد عند ذلك شمس المعالي
عهده به ولاطف كل منهما صاحبه بما لا يفي به بيان ولا يتسع له
حساب ولا حسبان وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري
واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب الاكراد والفوارس الانجاد
فاراد ناصر الدين سبكتكين ان يستظهر عليهم بحماة المشرق ورماة
الحدق من كتائب الاتراك الخانية فارسل حاجبه الكبير التونتاش
الى ايلك الخان يتنجزه حكم الحال التي تعارفا عليها بما وراء النهر
من الاتحاد في الوداد والاشتراك في الاملاك بامداده بعشرة
الف رجل من نخب رجاله وشهب ابطاله وصرف شمس المعالي وراءه
على ميعاد معاده ورجع ناصر الدين الى بلخ مستنفذا الامر

ومنتظرا الموصول له العدد الدثر ما استأثر الله به قبل ان عاد الى سوك
وتجر المسؤول تخبط عليه ما صنع وصوّح دونه نبت ما زرع وتوسط
وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين شمس المعالي
في اسعاده ورده الى معاده على ما يقتضي به حق عنايته ويضاهي
حسن بلائه في تحقيق رجائه وتحقيق مكايد اعدائه فاظهر الوفاء
به لغاية شهرين من قراره بجرجان اذ كان يخيل يحل ما يلزمه على ما
يبذله من اخلائها ويحفل من اختلالها وانه يحاشي بذا اشتغال
الملك اليه اختطار رعيته بالحيف والعسف والالحاح عليهم بمرد الحرث
والنسف فاعجل السلطان يمين الدولة ما اهمه من ارتيابه وشغل
الخاطر باحبه عن تقدم اظهاره وتعجيل رده الى داره فاستمهله
ريثما يكفي ما امامه وينفض الشغل بما رامه وسار الى غزنة حتى
يسر الله له افتتاحها وداوى على يده جراحها وكان ابو القسم بن
سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة لسبيله انحاز الى جرجان
متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي في الاستمداد لها بتقوم تسليمها
اليه وتقريرها في يديه فسار على سمت الدوغد حتى وافى
جرجان وابو القسم باسفراباذ وقد جهز من الري ابو العباس فيروزان
بن الحسن في جماهير المشاهير من قواد الديلم والاكراد وكان

قد اطمع ابو القسم من بخارا فى ولاية قهستان وهراة وامر
بمعاودة خراسان للاعتضاد به والاستظهار بعدته وعديده
فجرد عزمه للانصراف وضرب تلك المواعيد بالاخلاف
عليها حائدا بما يلحقه من المذمة بخذلان من جسمه لنصرته واستنده
على تحت قدرته وسار نحو اسفرائن فانقلب شمس المعالى قابوس
بن وشمكير الى نيسابور على حرة المنهل اسيئا بالوقت الى
منتظف الرجا ومختزن الامل ومتربصا بما تحدثه رحم الليالى
من جنين المقدور فى اداله المبسور على المعسور ولما راى
امور آل سامان مختلة النظام منحلة العرى والادوام لا يزداد
على الدفع الا خوفا وعلى الرتق الا فتقا محض الراى فيما يقيم
له ماند امره ويحوش عليه ابد ملكه فكانت زبدة مخضه ان سرب
الاصبهبذ شهريار بن شروين الى جبل شهريار لاستصفائه فسار نحوه
تحت لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان خال ابى طالب
رستم بن فخر الدولة صاحب الرى فتناهدوا للقتال على رسمهم
فى الاحتراس بالتراس وادراع لباس الباس وشد الاصبهبذ عليهم
شدة شردتهم بين المهامه والدكادك واقحمتهم لهوات المعاطب
والمهالك واصاب منهم غنيمة حسنة بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة

واقام الخطبة بالجبل على شمس المعالى قابوس بن وشمكير وكان
بابى سعيد احد اعيان الجيل وشجعانهم مقيما عند الاسبدارية
فى طوايف من اضرابه مشايعا لهم فى ظاهر الامر وناظرا الى
موالاة شمس المعالى من وراء نقاب السر واتفق ان نصر بن الحسن بن
فيروزان لفظته الاضاعة بناحية الديلم الى حدود الاسبدا رية
فطمع فى فضا البهم عليها ومزاحمتهم فيها فقذف من حرات
ابنا بها من طرده عنه وقبض على خاله ابى الفضل اصبهبذ كلار
فسجن الى ان دفن ونما بل بعد ذلك بابى بن سعيد نصر افتسا عدا
على قصد آمل وبها ابو العباس الحاجب فى زهاء الفين من عسكر
الرى فاجلياه عنها هاربا بشفوة الصفاح وهشيما تذروه
الرياح وطير بابى عند ذلك كتبه الى شمس المعالى بذكر الفتح
الذى اتيح له على شعار موالاته واستشعار طاعته وموالاته
واظهار السمح باستطلاع راياته فنفصل عن نيسابور سائرا
نحو جرجان وحثر بابى بن سعيد عن مظاهرة نصر الى اسنا باذ
مجاهرا باستشعار صاحبه وجمع اليه من ابناء الجيل من كان
يسلك شعب هواه ويستلم ركن طاعته ورضاه وكتب شمس المعالى
الى الاصبهبذ بالانضمام الى بابى وجمع اليد الى يده فيما قدم ذكره

والشدّ على عضده بما لو زاد واصدد نفعل ما امر وتسامع
ابو العباس فيروزان بن الحسن بنبا بهما وهو مقيم بجرجان فنهد لكفاية
امرهما واخماد ما التهب من جمرهما فوافقاه بباب استراباذ ووقعة
اتت فيها حدود القواطع من حديد المدارع ومزارق الزانات
من مفارق الهامات وكادت الهزيمة تستمر بابي لولا انقلاب
الاكراد والعرب في عسكر الديلم عليهم ببيض الظبى وزرق العوالي
منادين بشعار شمس المعالي فانهزم ابو العباس فيروزان بن الحسن
بمن معه وركب الطلب اكتافهم فاسر منهم زهاء عشرين
نفرا من وجوه القواد في جملتهم واسرى بقية الفل نحو جرجان
وقد قدّم اليها شمس المعالي سالار بن جركاس احد اقاربه نحو جرجان
فوافق انهزامهم اليها اطلاله عليها وتسامع الفل به فضجوا دونه
وعويلا وضلوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا الى استيناف
الهزيمة قرحا على قرح وملحا فوق جرح وخوطب شمس المعالي
بخبر الفتح وما هياه الله من عظيم النجح فسار الى جرجان
وقد شرح الله صدره وجلا عن الكسوف بدره وفسح بالبشر عسره
وزاد على القدر قدره ودخلها في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة
ولبعض كتاب اهل العصر فيه عند زفاف الملك اليه قصيدة اولها

الجدّ ما لم يعنه الجدّ غدّار والحزم ما لم يزنه الصبر خوّار
وللكرايم اذ الايام زلن به عن المنى بثبات النفس اعذار
كم فاضل وجنون المجنون له جنبا على حسك الادواء اجرار
وكم جريح ورنح القلب ذو غير وكم قتيل وما للسيف آثار
وكم فقير بلا جرم وخائبة وكم غنيّ وللايام ادوار
سير سريع ودور رعية مستمر منصب العيون ودون الغيب استار
من كان يخبر حال الدهر دايرة لم يثنه عن عيان الحال اخبار
فانما حاصل الايام مختبر اجدر باصم عن التحقيق نفار
يجني الزمان على من لا اصطبار له ورقة للذي في العسر صبار
فاصبر هديت فان الصبح منبجس ومن وراء ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب عسر ويسر واحلاء وامرار
والبدر يمحقه التمحيق مستصغا وبعده يصبا التم نوار
والجد يطبع كالصمصام ثم له من صيقل الدهر جلاء واشهار
هذاك شمس المعالي في سيادته له مع الفلك الدوار اخبار
اعطاه من عزر الامال ما قصرت عن نيل امثالها في الدهر اعمار
ملكا وعزا وعيشا رافعا وعلى ودولة ضمنها نصر واظهار
لما كساه دروع العز ضافية فلم يجد منه غير الشكر مختار

أبدت ستورًا عليه كي تجرّبه بالصبر والصبر للأحرار مسبار
حتى إذا ما قضى من سرّه وطرًا وللأمور نهايات وأطوار
أنشا يعاود ما أرضاه في خفر وخدّه بدم التشوير فوّار
فالزمان خادمه والعزّ صاحبه والدين رايته والخلق أنصار
قوم تمنّى حيوة العالمين به كأنه الشمس والأعمار أقمار
راح الكرام إلى أوكار نائله كأنه الليل والأحرار أطيار
له المعالي سماء والندى شهب والمجد سارية والجود أمطار
علاه كالليل والمصباح همّته ونيله الجود والآمال سمّار
تراه تنهزم الأموال عن يده مثل انهزام العدى عنه إذا ثاروا
ومجده الدهر قنّاص لهمّته فالجود بازٍ له والصيد أحرار
حياؤه بوقاح السيف ممتزج وعدله في حروب الناس سيّار وبه
ندى يداه إلى الفردوس منتسب ووقع سطوته في حرّه النار
يوم الهياج صفاح البيض ظلّته والجمر من لهب الطعنات صهّار
يغاص الحرب والأرواح راقية إلى التراقي وطرف الموت نظّار
يرش من دفع الأعناق يسطلها إذ نقعها لحوامي الخيل نوّار
تنادرت لجم الأملاك سطوته إذ الرماح من الأرواح متّار
تمنّ في ذمته للأضوا آنسة ومن مخيلة الظلما نفّار

للمشتري بينها في الحصر منطقة يبغي رضاه وللمريخ زنّار
كفته روعته أمر المصلحة فما يدور على المحذور بتّار
وقد أفاض على الظلما هيبته فما يضرّ حذار الناس ضرّار
إن السلامة إن لو ألهمت نطقت يا رب أنت لي من سيفه جار صح
يا أيها الملك الميمون طائره ومن يداه بفيض اليمّ زخّار
إن الزمان عروس ما لها أبدًا سوى خصالك مشّاط وعطّار
البخل عندك وجه الندى كلف نعم وفي غرّة الإقبال إدبار
ترمي العدى من بنان الكيد صائبه فإن رموا خانت المرمى أوتار
كأنّما قد رموا من لفظ ظالمه وما رميت به وحي وأقدار
تحمى وتلهب الأوتار رامية كأنما أحمت الأوتار أوتار
لا زلت في نعم تمضي إلى نعم ما طاف حول فناء البيت عمّار
ممتّعًا بسرور غير منتقص حتى تفوق نجود الأرض أغوار

ولأبي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه من قصيدة
يمدحه بها وقت مقامه بنيسابور ٥

قامت تودّعني بالأدمع السجم والصمت بين يد منها وبين فم
البين أخرسها والبين أنطقها وهذه حالة في الناس كلّهم
قد طالما انهزمت عنّا الشيوف فلا تجاربنا بجيش الورد والعنم

وقد خلعت لجام الاتباع. فلا تلمن سوا لمنا في ذمة الكرم
لم يبق في الارض من شيء اهاب له فهل اهاب انكسار الجفن ذي السقم
استغفر الله من قولي غلطت بلى اهاب شمس المعالي امة الامم
كان لحظك من سيف الامير ومن حسم القضا من عزمي ومن كلمي
قال الامير لاخلاق الكرام قفي بحيث انت فما زادت على نعم
وقال للعلم والاداب لا تردي الا على فما فاها بلا ولم
القايل القول لو فاه الزمان به صارت لياليه اياما بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغرا لو مزجت لم تبك في النيران من حمم
لا تحفلن بصوب المال في يده فقد يجف ضروع العارض السجم
قد يجزر البحر بعد المد يغرقه ويترك الجدب وكر الاجدل القطم
ولا يغرنك ان الدهر جاريه قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم
الان اذ غدت الدنيا بحشمته وقابلته صباحا اوجه النعم
مرنو اليه فتحنى شخص منتبض لراحته وتغض طرف محتشم
اذا دعت نحوه ساقا اهتف قدما والعمر يذهب بين الساق والقدم
حيرى بغيتها حالت بيعدها كذا يكون رجوع الآبق السدم
وله من قصيدة اخرى يقول في تشبيهها
شموس لهن الخدر والبيت مغرب وطالعها للبين والهجر غارب

ولكنها شمس المعالي خلافها مشارقة ليست لهن مغارب
وما لعبوة الشمس الا وقد ذاو فانك شمس والملوك كواكب
اقول لزوار الامير من حلوا الفرزاره من راجل منهم وراكب
وان زاره الفرسان كنت كفيلهم ان يرجعوا والخيل فيهم جنايب
الا ابلغا عني الامير رسالة تدل على اني على الدهر عاتب
الى كم تحل المرسلك بلدة بها منبر فيه لغيرك خاطب
عليك بهذا السيف فاقصد بنونه فللسيف دين عند كفك واجب
ولا تقعدن تغضي الجفون على قذى وفي الارض مركوب ورمح وصاحب
عزمتك هذا الدهر فالزمه بعشر فلن يوقظ الغرام الا المطالب
وانت ابن عم السيف بل انت عمه وكيف تخاف الامر بين الاقارب
الست ابوكم وشمكير جدكم وزيار ومرداويج عم مناسب
تحرك بنا اما الوا ومنبر واما حسام كالعقيقة قاضب
وللقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني من قصيدة اولها
اسرى خيال الهاجر المتجنب ومجرى دموع الزائر المتطرب
سالتك يا الدهر الذي صرت بعده قذى ناظري من بعد ان كنت معجبي
اعني على عيني اذا ما عذلتها ببرك فانك للدموع ناهبي
ولما دعت للغروب شموسهم وقمنا لتوديع الفريق المغرب

نلبس أطراف السجوف بمشرق لهن وأعطاف الخدور بمغرب
فما بين الا بين دمع مضيع ولا ثم الا توق قلب معذب
كأن فؤادي في قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتأشب
همام يراه المال أسرع حادث إلى حتفه والنزر أخوف معطب
يفض العدى أطرافه قبل عزمه ويطرقهم رعبا ولم يتأهب

وفيه يصف الزانات

وزرق على سمر تظل إذا هوت يلاحظ أعقاب الشهاب المذنب
ترفعن عن طيش الرماح وذلة السهام وتقصير الحسام المجرب
تحزن ظبات البيض ثم وصلنها إلى الهز من سمر الرماح بأكعب
تنلن منال السهم من متبعد وتمن مقام السيف في متقرب
فتى ما تلافت همتان بصدره ولا يشهد الجلى برأي مشعب
له الهمة العليا والمنصب الذي تتبعه الجوزاء الحائط متعب
إذا بعض أطراف الرجال تقاصرت عن المجد ألفوه كريم التقلب
يزاحمهم من شكر بمنكب ومن سلف الاصبهبذين بموكب
ويذهب عن مجد وعز ومفخر بآثار من دواخ في كل مذهب
وما طمحت للمرء سعاه والذام يقابله بخال مهذب
كلى طرفيه يرجع الطرف خاسئا إذا رامه عن كل حرف محجب

يحوز معالي اردشير بخاله ويعلو الى الرتبى عن شاد ساسان بالاب
ولما انتهت الهزيمة بالقوم الى الري على جملة الانكسار
وذلة الافتقار وشبه القتل والاسار قطع عليهم سياط العزل
والتعنيف وملئت عيونهم من نشان التعيير والتشوير وكان
ابو علي الحسن بن احمد بن حمولة على الوزارة فاختار عشرة
آلاف رجال من نخبة الديلم وفتاك الاتراك ونخب العرب
وافراد الاكراد وسار بهم في منوجهر بن شمس المعالي وبستون بن
بنجاسب وكنار بن فيروزان ورساموج بن اخت عظيم الديلم
وموسى الحاجب وسابور بن كردويه وعبد الملك بن ماكان
وهؤلاء رتوت الجيل والديلم حتى اطل اجل شهريار استعدادا
لمواقعته وتخير ابو عبد الله في نصرته وتثبيت وطائده واستتمام
ما اعاده الله من نعمته وحاذر ابو علي بن حمولة مما لاه نصر
الحسن بن فيروزان شمس المعالي وانقطاعه الى جانبه فواصله
بكتبه نافثا في عقده فاتلا في ذروته نافخا بسحره
ونحره وملقيا اليه ان القرابة الوشيجة بين ابي طالب
فخر الدولة وبينه لو صادفت منه حكمها في الاشفاق على
دولته والانتداب لنصرته لكان احق الناس بسياسة اجناده وزمامه

ممالكه وبلاده وانه الان متى سلك طريق الخدمة وجانب جانب
التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يتقدم ما يهواه من ترتيب
وترحيب وتنويل وتخويل وتفخيم وتقديم واذن له في الانصراف
الى قومس الى ان يبرم امره بمقتضاه فاناخ نصر بجاشامه من
تلك العقبة ووثق به على الحقيقة وسار نحو سارية ثم قرض
الجادة ذات اليسار وركب ذات اليمين حتى اذا حاذى
رفقه قومس اذاع في اصحابه رايه في طاعة ابي طالب وانه
ما عاش ربيق خدمته ونصير دعوته فاختلفت عليه كلمتهم
حتى افتضح بتدبيره وباح بسر ضميره فمن فريق رجع الى جرجان
في طلب الامان ورحل نصر في الباقين حتى اناخ بقومس وسال
ابا علي بن حمولة تمكينه من بعض قلاعه ليحصن فيه عياله واثقاله
فمكنه من حصار جوسند فاستوطنه واودعه ما له ومن معه
ولما امن ابو علي شره وعاديته توجه نحو سارية على قصد جرجان
فلما اطمان بها اسرى منوجهر بن شمس المعالي الى ابيه عايذا بالله
من عقوقه وكفران ما فرض الله عليه من حقوقه فاناخ ابو علي
بسسون بن بجاسف الاشتركماني نسبة الجيل وازمه ذلك السلك
واشفق من صغره المخدوم في خدمة شمس المعالي وحنته اباه

على وفادة سدته واهتبال الغرة في مراجعة جملته فاخذ
بالحيطة في اعتقاله ورده الى الري في وثاقه وامتد الى
ظاهر جرجان مما يلي قبر الداعي فعسكر به وتواصى اهل الحفاظ
والحمية والانفة الابية من اصحاب شمس المعالي بالترافد
في المجالدة والتساند على التناذر والتماسك عند التعارك
وشدوا احيازيمهم للقراع وقرعوا ظنابيبهم للمصاع وناصبوهم
الحرب طرفي الصباح والرواح لا يسامون وقع الصفاح ولا
يالمون لذع الجراح حتى عبر شهران كيوم واحد في مقاساة
الكريهة بين تكلف وبديهة ومس عسكر جرجان ضيقة لانقطاع ع
الميرة والمواد عنها فاستعصموا بالبنوة المتربعة وتغنوا طول
طول تلك الايام بما يبلغ الحفيفة مؤثرين شرف المقام على
شبع الطعام وردا الشجاعة على سد الجاعة واصاب الاعزة
مثل تلك الضيقة فاستقلوا من الفضا بقبر الداعي الى جانب
محمد اباذ انساغا في العلوفات من جهة جناسك فتداركت
عليهم الامطار حتى اغرقهم الانهار وماجت عليهم الارض
بالطوفان فتساقطت الخيام وساخت القوائم والاقدام
وعندها برز اصحاب شمس المعالي اهل الحفائظ من وراء الخنادق
انصاد

واججوا نار الوغى كضاربة المشاعم وداهية الاراقم وثبت
بعضهم للبعض من مطلع الفلق الى مجتمع الغسق محكمين متون
الصوارم في شؤون الجماجم وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد
وزرق الزانات في سود المهجات حتى اذا زالت قدم العصر
اتى امر الله بالنصر فحمل الجيل على الديلم حملة لم يبق منهم طالب
ثار ولا ناج نار واسر من عظمائهم اسفهسلار بن كورانكيج وزيعول
وجستان بن اشكلي ومحمد بن وهسوذان واشتملت المعركة على الف
وثلثمائة رجل ممن اصرعتهم الحتوف وسطحتهم على الارض السيوف
وافاء الله على الجيل غنائم لا يستوعبه بيان ولا يستثبته بنان
ثم راى شمس المعالي ان يوعز بمداواة الجرحى والفك عن الاسرى
وصرفهم وراءهم بالخلع والكرامات والاحبية والصلات شكرا لنعمة
الله فيما اولاه واكبارا لقدر منته في تحقيق ما رجاه وانشدني
ابو منصور الثعالبي ابياتا في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله
في سلك ايامه والحق الذي اقره منه في نصابه

الفتح منتظم والدهر مبتسم وملك شمس المعالي كله نعم
والعدل منبسط والحق مرتجع والشعب ملتئم والجود منتظم
القت مقاليدها الدنيا الى ملك ما زال وقفا عليه المجد والكرم

شمس المعالي وغيث المشرقين ومن به يليق العلى والملك ذو الحشم
هو الانام هو القرم الهمام هو البدر التمام هو الصمصام والعلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه قهرا ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره كأن عليا من دنياه ينتظم
والماء من جوده المأمول منسكب والنار من بأسه المرهوب تضطرم
والارض من صدره والريح من يده والروض من خلقه للخلق مبتسم
الله جارك يا من جار حضرته يلقى السعود عليه الدهر يزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا وعاش الفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به امسى واصبح بالرحمن يعتصم
ابد الجديدين بالعمر الجديد ودم للملك يخدمك التوفيق والقسم

وانشدني الفاضل ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي

لا تعصين شمس المعالي قابوسا من عصى قابوس لاقى بوسا

نعم ولما بلغ ابا علي بن حمولة قومس منهزما عن تلك المعركة ارسل
الى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله التعجيل اللحاق به ليتعاضدا على
لم شعث الهزيمة وسد ما جاش من منخرق تلك الكشفة الفضيحة
ثم اعجله الطلب عن التوقف والتلوم فاوجب نحو الري واتاه
نصر فلم يلحقه فاستوطن سمنان وتابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة

رستم بن فخر الدولة مستميداً وشمّر لتلافي الخلل مجدّاً فتراخت
المدة على استبطاء امداده واستبطاء معونته وانجاده ثم امدّ
بابن بكتكين الحاجب في زهاء ستمائة من نخبة الغلمان فقوي
بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس المعالي بابي بن سعيد في رجال
من الجيل وكتب الى الاصبهبذ شهريار بن رستم بمعونته واراحته
عليه فصمد صمد نصر مرخياً عنان التحفظ ومغضياً جفون التيقظ
وقد كان نصر سدّ الطرق على ابنائها ستراً للخبر وسحباً لذيل
الكتمان على اثره فانتشب اناته بابي علية على حين تقطع من
رجاله وتفرق من اكثر اصحابه فتناوشا الحرب ساعة ونصر
مستنجد وامره في النزاع جدّ مستنكد ثم اضطر بابي الى الانقلاب
على بارح الخيبة ونشب الهزيمة فيمن تلاحق به وتراخى عنه
من ذنابي عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر ما اعتدّ به نصر
في مساعيه عند ابي طالب بفضل به وجه حاله وجلا عليه صفحة
اقباله وانهض عند ذلك رستم المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب
في ثلثة الاف رجل مدداً لنصر وعقدت له الاصبهبذية على جبل
شهريار الى سارية وبها منوجهر بن شمس المعالي معتصماً بعقوبته
ومعتصماً بعروته فاصاب اهل قريم غلاء عمّ بلاده وشمل الكافة

داره وسببه بسط الايدي بالغارات وانتهاب ما اودعته
الرعايا للزمان من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف عن رستم
بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل فلم ينهنهه الاسهبذ عند
انقلابه ان ركض على رستم فاجلاه عنها الى حد الري محروباً
منكوباً ومخذولاً مغلولاً فضنّت له ناحيته والحسمت عنه
شذاة نصر وعاديته وكان ابو نصر بن محمود الحاجب قد الجاه
بعض المحن التي دهته الى خدمة شمس المعالي فمهّد له كنفه
وحكّمه في اصطناعه ووالى الصنائع والرغائب اليه وملّأه
من الاموال يديه وسهّل ركوب المطالب عليه ثم رماه في وجه
نصر بن الحسن مزاح العلة بقدر الكفاية من ذوي البسالة و
النكاية فخف اليه بجاش ثبت ووجه على الحادثات صلت
واحرق عليه الارض حرباً بكراً على يده وعواناً على ايدي اعوانه
ومدده ثم حمل على جموعه حملة شرّدتهم كل مشرّد وطردتهم
بين اعين البيد كل مطرد وعلونه جبال الامير جستان بن الداعي
وابن هندوا وغيرهما من اعيان القواد واصطف على جدالة الحرب
من القتلى ما شبعت به الضباع بل سمنت عليه الوحوش الجياع
وانهزم نصر من بين يديه الى سمنان في جمدي الاخرة سنة تسعين وثلثمائة

وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عشيرته ورهطه مغرما
بالظلم مغرى بالحيف والغشم ووافقت ولايته مدرجة
الحجيج زوار البيت المعظم وزمزم والحطيم فتشملهم عنته
في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة والمعاملات المجحفة
حتى استنر عنه سوء الاحدوثة وحبط عليه جمال تلك الجملة
الموروثة ولعل اعتبار الزمان به عدوى ضجيج الحجيج عنه
بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الري
بكتبه في الاستنفار والاستنهاض من ضرعة العثار
ممدله في طول التطويل بانواع التعليل والتأميل ه
مواعيد كما احتسب سراب المهمه القفر من يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة وشمس المعالي قد تضافرا على
احتيال الحيلة والظفر به فساطنا وضاق بالامر ذرعا ونمي اليه
ايضا ان بعض قواد السلطان يمين الدولة وكان يعرف بارسلان هندوبچه
والي قهستان قد اوقع بابي القسم بن سيمجور واجلاه عنها الى
الجنابذ فاعتد السير اليه على مظاهرته والتحصن بمرافقته
ومضافرته وجعل يخطب في حبله ويبتل في ذروته بحيله وختله
وزين له قصد الري معه لاستملاكها على ابي طالب ابنها ما

لتغلغل النيات في طاعته ودخل الاهواء في متابعته فاغتر
ابو القسم بتغريره واخذ في جريرته وسار الى خوار الري فتلقاه
من سرعان الكتائب من عض بهم لهوات تلك المخارم والمسارب
ولما راى ابو القسم ان الامر جد والطريق منسد تحسر ورآه عا ضا
على البنان نحو لا لعارض الحرمان وبلغ شمس المعالي انصرافه مع
نصر عن وجه الري فقذفتها بعقارب الاكراد من كل جانب وذودهم
عن حدود مملكته على عذاب واصب ولما رأى ان الارض
تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم جنوبا وشمالا تواترا على قصد
السلطان يمين الدولة مستأنسين اليه ومستعدين على الزمان
بالمثول بين يديه فنما الى حضرته وتوشحا بجمال خدمته فاما
ابو القسم فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه الحبس اسيره واما
نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان امر السلطان باقطاعه بياورد [illegible]
طعمة له فنهض اليه واتت عليه همته القناعة بها فلم يزل يضطرب
في حبالته الى ان خدع من الري وحمل منها الى قلعة استوناوند
فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك مصيرا ووكل بعد ذلك شمس المعالي
بحوالي القلاع فيما بين جرجان واستراباذ وما وراءهما احاط
بهم احاطة الخلخال بالخدمة البعير حتى افتتحها عليه وبكيده

ومراعاة لحقوق الاستسلام والتسليم وكيده فصفت له تلك
الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها بما اعد من زبد
الاحقاب فيها واتفق بعد ذلك اخلاد الاصفهبذ بجبل شهريار
الى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي وادعاوه الامر لنفسه
اعتزازا بما اجتمع له من الوفر والتف عليه من العدد الدثر و
العسكر المجر فرمي من جانب الري بابي علي رستم بن المرزبان خال
ابي طالب في صناديد الديلم وفيهم بيستون بن بيجاسب المقبوض عليه
من قبل في التظني بموالاة صاحبه قابوس بن وشمكير فنصبت له
الحرب فراغا مصاعا وثقافا ونقافا وكانت عاقبة امره
ان كسر فاسر وتدارك ابو علي رستم مكانه بشعار شمس المعالي
لوحشة كان استشعرها من اهل الري واقام الخطبة فيها باسمه
وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما منح الله على يده وهاجر ابو حرب
بيستون بن بيجاسب الى ارضه المقدسة من قبل صاحبه وذلك
نعمة فانشرح صدره وقرت بالايام عينه وطاب بالاحسان
والايناس عيشه لو لم يعجله عن الحيوة حينه وانضافت مملكة
الجيل باسرها الى ممالك جرجان وطبرستان يتولاها شمس المعالي
منوجهر ابنه سمي من لو عاش الى زمانه لرد عليه عوارى مفاخره

ورجع اليه حلى آثاره ومآثره واستحق عليه بعدها الرويان
وسالوس وما والاهما من الحدود الاسبيدارية فصارت ولاية
تشرق بنور العدل والاحسان وتبسم عن ثغور الامن والامان
وواصل شمس المعالي السلطان يمين الدولة بكتبه ورسله في
عقد وثيقة يحصن بها من صروف النوائب ويستظهر بها على
وجوه المطالب وقدم بين يدي نجواه من انواع الترب والمبار
ما خرج عن الحد والمقدار حتى تاكدت العصمة وتاربت
العقدة واشتبكت الالفة واستحكمت الثقة وصارت جرجان
وطبرستان الى سواحل البحر وديار الديلم والجيل بحكم الحالة
المستجدة كاحدى ممالكه التي تختلف عليها اوامره ناهيا وتنبسط
فيها حاضرا وباديا ولله شمس المعالي في همة له بين المجرة
مجراها وفي بحار الكرم مجراها ومرسيها فلم يسمع في شيوخ
الملوك باشرف منه نعمة واوطف ديمة واكرم شيمة واصدق
بارقة مستنيمة واوفر عقلا وتحصيلا واظهر جملة وتفصيلا
واغزر للنثر بعقاب الحكمة واحرى للبيان بلطائف الطبعة
قد فطم النفس عن رضاع الملاهي فلا يعرف اللهو ما هو ولا البطالة
ما هي علما منه بان الملك واللهو ضدان وان ليس للبقا بهما يدان

ولقد احسن ابو الفتح علي بن محمد الكاتب في نصرة الراي بقوله
اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
الم تر للشمس في الميزان هابطة لما غدا برج نجم اللهو والطرب
نعم ولا انصاف الرعية واخذ باطراف العدل في المعضية وابرع
في الاداب والاحكام واجمع بين ذرابة السيف وذلاقة القلم
ورسايله موجودة في البلاد عند الافراد لكني اكتفي منها بلمعة
دالة على جملة من بوارق بيانه وزهرة من حدايق احسانه
اذ كان في نصيحها ما يغني عن التكثر في هذا المكان فمنها
رسالة انشاها في الترجيح بين صحابة النبي صلى الله عليه
وسلم بعقب رسايله القديمة وهي بسم الله الرحمن الرحيم
اعلم ان اصعب الامور واشقها ابن الجمهور هو الخروج بالنبوة
والاستعلا على الخلق بهذه القوة لانه تقليب الامور عن
السبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة
ومخاطبة الخلق عن الخالق وخالق لا تدركه ابصار الخلايق
وقد اعتلا نبينا ذروة هذا الشرف وصار لمن سلف من الانبيا
خير الخلف وفاز بمرتبة هذا الذكر العظيم واذاق العرب
لذة النعيم ونقلهم الى الثروة والغنى من الفقر والفاقة

وازاحهم من رغابة الجهد والفاقة ولبس ورآه لابتغا العلى
امدا وما فوق السما للسمو مصعدا ثم ضبط الامر بعده زعيمه
على نظامه واقامه في قوامه وهذا ما تولاه ابو بكر حين ودع
عمره من غير ان سلم الى احد امره فانه قام بالامر قيام ثابت
القلب مستقل بمقاومة الخطب غير متنكر في رد راد ولا مبال
بمعاداة معاد حتى حمى حريم الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض
بان يلم ببيضة الشريعة ثلم ولا ان يغير من احكامها حكم
فلقب خليفة رسول الله بابتدايه لحياطة دين الله ثم تحصين
حوزة الاسلام من عوارض الفساد وعادية الاعدا والاضداد
والمجاهدة في استضافة ديار المخالفين الى جانب الاسلام و
مجامع المسلمين وهو ما اتاه عمر لما آل الامر اليه فانه صرف
جهده الى الجهاد وقصر وكده على افتتاح البلاد حتى اتسع
نطاق هذه الامة الملة وخضعت الرقاب لاهل هذه القبلة فلقب
امير المومنين اذ كان نعم العون لرسول رب العالمين قد فرغ النبي صلى الله
عليه وسلم من الامر الاعظم والشان الافخم واطفا لهب كل
ملتهب على رغم من ابي لهب والتام بسعي الشيخين شعب الامرين
الاخرين وبلغ من الاحكام مبلغا ليس فيه مستزاد ولا يبقين بيان عربه

سواد ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين بعهد ومراعاة
بناء مشيد فلم يقدروا على القيام به واحتجوا وراء الحجابه
ولما انتهت الخلافة الى عثمان بن عفان كان منه ما كان من مزايلة
النسك بزينة الملك وتغيير سنة الائمة حين توسع في النعمة
حتى اجتنى ثمرة ما جنى وتيه به سوء ما لقي ولما عادت
الى علي ابن ابي طالب هاجت الرياح من كل جانب وبدت الاوابد
وتبدلت العقايد وتحول امر الدين الى ملك المغالبة ودول التشاكل
والمجاذبة ووقفت الخلافة في الخلاف وبرز الشر من الغلاف
وبقي علي في اضطراب لا يهدا او في مداواة داء لا يبرا مع شجاعته
المشهورة وماثره الماثورة وانتهى آخره الى ما انتهى حتى جرى
عليه وعلى عقبه ما جرى فلينظر اذا كان الامر كذلك اهولاء احق
بالفتح ام اولئك فقد مضى القوم وآثارهم في الاسلام كالشمس
في الاشتهار والهبا في الانتشار وصنعهم صالح يجي على الفلاح
ولبس بارك الحضا سوى السفاهة والصياح وقرات توقيعا
له الى بعض الاماثل يستقدمه حضرته ليتوعى مسرته فحال
لم يمت به همته الى قصد من تغلوا عنده فيمه ان يكون على عمره
عن جفنه ولبيت من سواه زيارته وجحته فاما خطه فخط

المحاسن فيمه ان شئت وشيا محوكا او تبرا مسبوكا او دررا
منضدا او بحرا محضا وكان اسمعيل بن عباد اذا راى خطه يقول
هذا خط قابوس ام جناح طاووس فيتوكا قال ابو الطيب المتنبي
في خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه حتى كان مغيبه الاقذاء

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين ايلك الخان في التواصل والتصاهر والتعاقد على التعاون والتظاهر

الى ان خلعت يمحل الشر ولشرت عن اعصل الشر وقد كان ايلك الخان
لما ملك خراسان على الغدرة بال سامان اغتنم تطهير ما وراء النهر
عن كل متسبب الى تلك الارومة ومتشبث بشعب تلك
الجرثومة فلم يدع هناك ذا ظفر الا قلمه ولا ذا حد الا اجتثه
واصطلمه ثم كاتب السلطان مهنيا بما ذخر الله له من خالصة
الملك وصافية الملك وظاهره اليه من ظاهرة العز وباطنه
الصنع ومعتذرا الى نفسه بما قطفه من عنقود رجائه بملاواة على
صفقة اقباله وعلاوة على حاله وحلاله ومرددا السفراء بينهما
في وصلة تبل رحم الحال وتوكد اسباب المودة والوصال
وتحيي جرثم الثقة في الجانبين وترفع ستر الحشمة في ذات البين

ويؤدي رتبة الاختلاط الى الامتزاج وقربة الاشتباك الى
الاشتباح فتصير النفوس واحدة والسواعد على وجوه مصالحها
متساعدة. وانهض السلطان عند المقام بنيسابور في طلب الى
ابرهيم المنتصر ابا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي امام اهل
الحديث بها رسولا الى ايلك الخان وضم اليه طغانجوق والي سرخس
في خطبة كريمة عليه واصحبه ما عدا الحد والعد من سبايك
العقيان وبوالغ البهرمان وعقايل الدر والمرجان وتخوت الوشي
والحبر ونوادر البدو والحضر وصواني الذهب مملوة من بيضات
العنبر واواني الفضة منضودة بشمامات الكافور وغير ذلك
من شارات الهنود وقطاع العود وذكور النصول واناث
الفيول تحت حدوج مغشاة بذوات المعاريج من الوان الديابيج
منطقة بعصايب تخطف العيون بريقها وتصطحب على الاقتاب
معاليقها وعتاق ضوامر كالقداح تخدد بمتون الصفاح
في مراكب كانما حلي بعضها في قطع عنبر او شغل حريف
وحلي سايرها بنجوم الثريا والنثرة وبنات نعش وزر المجرة
وقرن ذلك كله بانواع على سبيل الالطاف تعرف ذوايب
الاوصاف فسار الامام ابو الطيب سهل بن محمد الى ايلك الخان كريما

كريمة وبجل من ثغر الترك الى ارض ايران ذرة يتيمة فتطلع
على ايلك واهل بيته طلوع الحميم طاب ايابه بعد ان طال اغترابه
والحبيب لطف اعتنابه بعد ان قدم هجره واجتنابه اعظاما
منهم لقدره وفادته عن باب السلطان في ذلك المهم من الشان
لم لفضله في نفسه فهو الامام المقدم والصدر المحتشم ومن لا يعرف
في زمانه ضريب له في ابواب الفضايل وخصوصا في خلافيات
المسايل واقام باوزكند حتى فرغ من امر الزفاف وارخت
عليه في الانصراف فعاد على جناح النجاح مصحوبا بمحمولات
الترك من نقر المعادن ونوافج المسك وتود المراكب و
عيس الركايب ورود الوصفاء والوصايف وبيض البزاة وسود
الاوبار ونصب الخنق واحجار اليشب وطرايف الصين والحدث
الحال بين السلطان وبين ايلك الخان اتحادا اشترك فيه المرابع
والنعم واستهم فيه الصنايع والخدم وبعثت على حملتها في
التاكيد والتاكد الى ان نزغ الشيطان بينهما فنغلت الضماير
وانحلت تلك العقود والمرابر وتولى السيف تدبير ذلك الوصال
فحل معقوده وفصل مسروده وسيأتي الشرح على الوقايع التي
جرت بينهما في موضعها على الاثر ان شاء الله تعالى فاما الان

فاني اشير الى نبذ من محاسن هذا الشيخ الستير والكاتب في الامر
بالتدبير واتبعه بذكر رجالات خراسان من اعيان رعايا السلطان
ووجوه الفضل من اوليائه فمن مشهور كلامه قوله ه
من تصدر قبل اوانه فقد تصدى لهوانه ه يشير الى قول الشعبي
الكلب على همه وهو النهاية في الخساسة
ممن يأنس في الرياسة قبل اوان الرياسة وقوله
العقل اطيب عيش والعدل اغلب جيش ه وقوله
اذا كان رضا الخلق معسورا لا يدرك فان ميسوره لا يترك ه
وقوله انما يحتاج الى اخوان العشرة لزمان العسرة ه
وقوله من تغافل عنك مع علمه بحاجتك الى عونه وتوفيره طلب
عليك علة اذا عاتبته على تقصيره كانه الم بقول القائل
توق الناس يا ابن ابي وامي فهم تبع المخافة والرجاء
الم تر مظهرين على عيبا وكانوا امس اخوان الصفاء
بليت بنكبة فغدوا وراحوا على اشد اسباب البلاء
ابت اقدارهم ان ينصروني بمال او بجاه او ثراء
وخافوا ان يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفاء
ولبعض اهل العصر فيه ه

كلام الامام امام الكلام وقوة تقوي بحر النظام
مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام
الا ايها الشيخ الامام ومن به تبلج افق الدهر عن فلق البشر
لئن كنت في الدنيا وانت رشاحها عيانا فان الدر في صدف البحر
ولم يحوك الدنيا لانك دونها ولكن لب الشي يحصن بالقشر
وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن والشعر
ومن اعيان رعايا السلطان بنيسابور ابو نصر احمد بن علي بن اسمعيل
الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته
فضلا موفورا وادبا مشهورا وعزا معقودا ومالا ممدودا
ورايا كالارى مشارا وحزما كالمرار مغارا ودها
يسلخ الليل البهيم نهارا ونظرا يستشف استار المصاير
ويستكشف اسرار الضماير وشعرا انقى من السبج والجوهر زكي
المسك والعنبر رضي المورد والمصدر فمنه قوله
يا باني العلى والمجد والاحسان والفضل والمعروف والكرم باني
ليس البناء مشيد الك شيده مثل البناء يشاد بالاحسان
البر اكرم ما حوته حقيبة والشكر اكرم ما حوته يدان
واذا الكرم مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثان

فاما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال في تخلّي
بما تحويه من لطف العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الاشارة
والنشارة رياض منبتاً الى قراره ٥ ومن منثور كلامه رسائل
ما كتبه الى شمس المعالي اقرابيه كتابه بسم الله الرحمن الرحيم
كتب العبد وحاله فيما يرتسمه مولاه من شرف قبوله ورضاه وتعبضه
عليه من ملابس فضله ونعماه من تسبّل عليه ذنباه ويسعد في ظل
دولته اولاه واخراه والحمد لله رب العالمين ووصل كتاب
الامير مؤتمناً بدرر خطابه وغرر انجابه وبدايع برّه وافضاله
وروابع انعامه واسباله فيما اكرمني به من عز العيادة والتسنيه
من حلل التودد السعادة وشرفني به من التهنية عن العارية
المستعادة فاوصل عزاً يبقى على الايام اثره ولا يخلو على
الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم من انس منه رشداً واقتبس
من انابه قوة وايداً وسجد لله شكراً على ما افاضه عليه من سجال
السلامة ومدّ عليه من ظلال الفضل والكرامة ورغبت اليه في
اسباغ العوارف عليه وصرف المحاذير عنه فاما ما اهّل الامير
العبد من شريف كتابه ولطيف خطابه ورقّاه اليه من درجة العيادة
اولاً ومنزلة التهنية ثانياً وانفاذ القاصد ثالثاً فان ذلك من نتايج

همّته العاليه ودواعي شيمته الزاكية التي تحنو على اوليايه
وخدمه وتعطف على اغذيا نعمه فليس له في مقابلة ما اولاه ومعارضة
ما اكساه الا الشكر يدليه والنشر يقيمه والرغبة يخلصها
الى الله في اطالة بقايه وادامة عزه وعلايه والافاضة بموجب
خدمته ومعرفة قدر نعمته منّه ورحمته هذا ولو ملك العبد في مقابلة
هذه النعمة على جلالة قدرها ونباهة خطرها غير بذل المهجة
والتزنيه في الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة غاية تبلغها
تقرّباً الى حقوقه بما يقتضيها ويؤدي شرط العبودة فيها واحكم
على نفسه بالعجز والتقصير معها واذ قد حرم المراد فما يمسك الا با [لرغبة]
الى الله في ان يبولي من مكافاته ما لا يسمح به الايدي ولا يفي
به الاجداد فهذا هو الكلام الذي ليس به عثار ولا عليه غبار
قد ولي المفصل تحبيره وملك العقل رسمه وتصويره والقليل منه
على الكثير دليل وكلام الجليل كقدره جليل ه
قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل ه
وقد اكثر الشعراء في مدحه فمن ذلك قول ابي بكر الخوارزمي فيه
من قصيدة اولها ه
رقّ المنام الى طيف خياله لو ان طيفاً كان من ابداله

ولو ان هذا الدهر يشكر لم يدع شكر الامير وقد عفا من آله
لا يبتغي الالحاح بنائله ولا سؤال امرئ يبتغيها عن سؤاله
الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله والموت عند صياله
والخلق من سؤاله والجود من غذائه والدهر من عماله
فبعاله كمقاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله
يجمع الآمال في امواله فتفرق الاموال في اقواله
لاعلم الا عزه في عزه لا حر الا حاله من حاله
سحر البديهة ليس يمسك لفظه وكأنما الفاظه من ماله
وكأنما عزماته وسيوفه من جلهن خلقن من اشباله
متبسم في الخطب تحسب انه من حسنه متلثم بفعاله
هبني ونيت بحمده عن فضله من ذا يفي بالشكر عن افضاله

وله ايضا من قصيدة اولها

تلك الديار مريبة الاحقاب صنعت بعيني فعل سالكها بي
والى الامير ابن الامير تواهقت درجي الركاب برازحي الركاب
لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه وغدوا الجناحيه غدو غراب
والنجم يطرف والظلام كانه فضلات عتب في خلال عتاب
طلبوا امرا افعاله محسوبة ونواله موصى بغير حساب

غرت المدائح وهي اسماء له ولغيره اضحت كالالقاب
والمكرمات كثيرة الخطاب الا انها تاتي على الخطاب
متبسم الحجاب مكتئب العدى مثري الندم مجاوز الحساب
شيم ارق من الهوى والذ من كيد العدو وردته بصواب
وعزايم لو كن يوما اسهما لقذفن في الاعمار عن نواب
ما بينه الحركات الا انها نابية الاقدام والارهاب
يخطرن بين سياسة ورياسة ويثرن بين مثوبة وعقاب
قد اصبحت الفاظه صور النهى وقوالب الاسماع والالباب
واذا اطلت له جنابا واحدا حل المؤمل منك الف جناب

وما الميكالي الا كما قاله ابو الطمحان القيني

واني من القوم الذين هم اذا مات منا سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تاوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منا حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه
وكما بعد من مفاخره نجيبان له ابو الفضل وابو ابراهيم عبيد الله و
اسمعيل ابنا احمد كل منهما بدر في ضبابه وعطايه وبحر في تياره
ويماده غير ان ابا الفضل ابرع في لطائف الادب وانظم لقلائد

العرب وقد سار له من النظم والنثر ما يزري حبره بوشي صنعا
وزهره بروض سهبا فمن فصول كلامه
وصل كتاب الشيخ فاذعنت القلوب لفضله بالاعتراف واختلفت
الالسنة في تشبيهه ببدايع الاوصاف فمن مدع انه رقية الوصل
ورقية الخل ومتخيل انه اعقد السحر وعقد السحر وقايل هو
سلاف العنقود ونظم العقود فاما انا فتركت التمثيل وسلكت
التحصيل وقلت هو سما فضل جادت بصوب الحكم ووشي طبع حاكه
سن القلم ونسيم خلق تنشر عنه روض الكرم وله ايضا فصل
كتابك فكان احسن من روض الربيع وربط الوشي الصنيع فلمعته
بحلية الاحسان والابداع وحلية النواظر والاسماع ومسن الخواطر
والطباع وصيقل الافكار والالباب وعيار المعارف والاداب
واجتليت منه نعمة فضل وسمة مجد وثمرة عقد ولطيمة
خلق وغنيمة من تجلو صفحة العهد وتجيل قدح الانس وتحل
عن قدر الشكر كلام اعذب من فرات المطر واعبق من فتات المسك
والعنبر يزري بنور الخمايل وقد عطرتها انفاس الشمايل ومن
منثور الفاظه اخلاقك قد اخذت من الورد عرفه ومن الند عبقه
اخلاق هي المسك لولا فارته والورد لولا مرارته والما لولا اشراعه

الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر وجمة البدر
لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه هو عار من العود كاس
من العلا وله الشرف اليفاع والامر المطاع والعرض المصون
والمال المضاع وله النوال السكب والراي العضب وفيه الاباء
المر والكرم العذب هو واحد البشر وثاني المطر وثالث الشمس
والقمر وهي على دهر الحداثة اذ غصن شبابي غض وريق
ونقل شرابي غض وريق والنعمة عروس مهرها الشكر وثوب
صوانه النشر والنعمة عنده نكتسي من لومه اطمارا وتستكي
غربة واسارا وله في المفرور يسف من الرعب في حلق وجرى
مع الريح في طلق دارت رحا الحرب بين اعمار تباح ودما
تستباح واجسام تطاح وارواح تسعى بها الرياح فالسيوف
للهامات دامغة والرماح في الارواح والغة ومن نظمه قوله

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ما لواكبه
صاح دعني في هوى قمر مر بالقلب وما شعرا
ليت اجفاني به سعدت فترى الحسن الذي فترا
من وقلبي في هواه فعنده فرق وعندي شعبة وفرق

وقوله إذا ظمئت نفسي أقول له اسقني فإن لم يكن راح لديك فريق
أنكرت من أدمعي تترى سواكبها سلي جفوني هل أبكي سواك بها

وله إن لي في الهوى لساناً كتوماً وفؤاداً يخفي حريق جواه
غير أني أخاف دمعي عليه ستراه يفشي الذي ستراه

وقوله لناصحين إن رأى مهفهفة لاطفه فإن يكن في دهرنا ذوابة لا طفتو
لا تصحبن الحيوة ذائقة فكل نفس للمنون ذائقه

وله وكل غنى يتيه به غني فمرتجع بموت أو زوال
وهب جدي زوى لي الأرض طراً أليس الموت يزوي ما زوى لي

ومن أعيان رعايا السلطان بناحية طوس وإن كانت نيسابور داره ومعتقد ضياعه وعقاره أبو جعفر محمد بن موسى بن أحمد بن القسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً

وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم والتقط محاسنهم وآدابهم فألفاظه ينابيع العلوم وأقواله مرابيع العقول ومجالسه حدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم يبق كريمة صواب ولا يتيمة خطاب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة ولا طرفة حكاية ولا فقرة رواية إلا وهي عرضة خاطره وثمرة

هاجسه ونصب تذكره ومثال تصوره لا تندّ أصبحة حفظه ولا تندر من صحيفة ذكره ولا يكسف بدر معارفه ولا ينزف بحر لطائفه ثم هو واحد خراسان من بين الأشراف العلوية في قوة الحال وسعة المجال واستداد باع العز وامتداد شعاع الجاه والقدر وسأورد الآن نكتاً مما قاله وقيل فيه إبانة عن غرر معاليه فمن شعره قوله

وشادن وجهه بالحسن مخطوط وخده بمداد الخال منقوط
تراه قد جمع الضدين في قرن فالخصر مختصر والردف مبسوط
لو كان أدركه لوط النبي إذاً ما لهى أبداً عن مثله لوط

وله وقوله قد بت عن إلى ممتلكي حقيقة يلذ به عيشي إذا نابني هم
جميل محياه وكالدعص ردفه رديف سجاياه وليس له خصم

وسمعته يقول حال الجاهل في التدبير كحال الحمير بالهاهمة عند اعتلاف التبن وإبان الأتن وجري حديث اللوز والسمن في الشتاء فقال من عني ولا كالسعدان هيهات ابن يقع الأم الرابة من الأم البارة يعني أن اللوز يلطخ ما يقابل البدن بشره ويدع سائره على بخصره فأما السمن فإنها تقسم الذف على البدن بالسوا يشترك فيه ظاهر الأعضاء وباطن الأحشاء وقد أكثر

الشعراء والادباء فيه فمن ذلك قول ابي الفتح البستي فيه ٥

انا للسيد الشريف غلام حيثما كان فليبلغ سلامي
واذا كنت للكرام غلاما فانا الحر والزمان غلامي

ولابي الفضل الهمذاني المعروف بالبديع

انا في اعتقادي للسنن رافضي في ولائك
وان اشتغلت بهؤلاء فلست اغفل عن اوليائك
يا عقد منتظم النبوة بين مختلف الملائك
يا ابن العواطم والعوائك والترائك والارائك
انا حائك ان لم اكن عبدا لحبك وابن حائك

ولابي منصور الثعالبي فيه من قصيدة

الله جارك يا ابن قد عند اجاري من صرف دهر بما لا اشتهي جاري
يا ابن النبوة والبيت العتيق معا يا وارث المصطفى يا حجة الباري
يا من يطول لسان المجد ينشده لله من رائس عمرا ومن باري
انت الذي اصبحت بيننا مناقبه مثل النجوم تضيء الليل للساري
انت الربيع عمادا والجواد ندى انت الحيا الغمر انت الضيغم الضاري
من اسرة نبت المنجاب هامهم اذا انكلفت تاجا راس جبار
اي الكتاب عليهم انزلت ولهم هديت محاسن الفاظ واشعار

اذا المت بطوس زدتها شرفا تفض رفعته ابصار امصار
وان طلعت بنيسابور كنت لها زين المجالس والميدان والدار

ولبعض كتاب اهل العصر فيه

عيد البرية عيد المهرجان اتى اهلا بعيد اتى عيد الخليقة
العيد للالاء ينثني الى امير وعيد ناداه ابن اللالا نابيه
لا زال سيدنا في ظل دولته وظله دائبا يمن بواليه
يحكما في رقاب الارض قدرته تجبي له ثمرات الاقبال جابيه
اعشاره المجد والبشرى حلابيه خراجه الدهر والدنيا حواليه

وبني بنيسابور دار افتتن اهل الفضل في ذكرها بها ووصف شرفها وسنابها فمن ذلك قول ابي الفضل الهمذاني ٥

دار وسمت عراصها تحكي الاباطح والرصافه
بين المروءة والنبوة والخلافة والضيافه
فيها المصاحف والمعارف والسوالف والسلافه
لا زلت يا دار الكرام مصونة عن كل آفه

ولابي عبد الله الغواص

يا دار سعد قد علت شرفا فما بيت تشبهه قبلة للناس
لورود وفد او لكشف ملمة او بذل مال او اداره كاس

ومن افاضل العلوية ابو البركات على بن الحسين بن على بن جعفر بن محمد
وهو الملقب بحو بن الحسين بن على بن محمد وهو الملقب بالديباج المدفون
بجرجان بن جعفر بن محمد الصادق بن الباقر بن على زين العابدين بن
الحسين الشهيد بن على بن ابى طالب امير المؤمنين ه

نسب توارث كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب

وقد جمع الله له بين طرفي النثر والنظم فنثره منثور الرياض
جادتها السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب
فمن نثره فصل له احببت ان تكون مكاتبتي الامير نفثا لم تزع
وبكرا لم تفترع وسانية لا تركب ولا تحلب فلا اشوبها بارب
ولا اسبب اليها بسبب فعل من لا يبتغي ولاه طمع ولا يشوب دعواه
عتب ولا طبع على ان الاضطرار يغتفر في وجه الاختيار والعذر
فيه مقبول عند اولى الاخطار والاحرار وفلان يمت بحق الجوار
ولقد نشر جرائد شكره واظهر حسن النثر على اثره فملأ الارض
ثناء والسما دعاء وعادة الامير ان يحيى الامال ويسترق الاحرار
فليجعل شكره هذا الامل محظوظا ولا يجعله محظوظا والسلام ه
وله ايضا في معنى هذه وانا عائد معود وقاصد بالزيارة
مقصود اخاطب اخواني بما اخاطب واكاتب اصدقائي بما اكاتب

سمائي وفدة وارضي رعدة بنيابي الحمى ولا يفارقني الشكوى
ونفسي بنسيان كان الحول شاطرني فصوله فنلت غرته وحجوله
فالربيع بين عيني وحشوني والصيف كامن بين صدري
وحلقومي وما عرفت لعلتي هذه سببا الا اني رايت نفس الحرية
مشتكية فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال
متاذية فاحتملت عنها اذاها وقلت ممثلا

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت الشكي كان بالعواد

ثم ذكرت ما اعد الله تعالى للعباد من ثواب العلة في المعاد فا ستصغرت
عند ذلك ما استعظمته وسهل مسلكي وان اسوء غرته وقلت
منح الله ملك النسمة من العلة واعطى الشيخ بها امانا من القلة
واعمى عنه ناظر الزمان ولا طرق الى فنائه طوارق الحدثان و
تمنيت اني واصلت غدوي برواحي في زيارة الشيخ مشاهدا
للحال دافيا له نحو البر والاقبال لكن حيل بين العير والنزوان
وعلى حالتي هذه فاني استريح الى خبر سلامته واحصل المنى
بمنه وله يا هذا بي الى برء منه ورايه في الحاقي به موفق
ان شاء الله عز وجل ه ومن نظمه قوله ه

واعبد سحار بالحاظ عينه حكى لي تثنيه من البان املودا

سلخت بذكراه عن الصبح ليلة اسامره والكاس والناي والعودا
ترى انجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب الى ابي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي ان اغفلتك فذلك ذنب صغير صغير
وان كان هجري من اجله فذلك ظلم كبير كبير
صدودك عني صدود الحبيب وصد سواك يسير يسير
فزرني قليلا تجد شاكرا لديه القليل كثير كثير

وله في وصف اللقانق

فان كنت تهوى اليوم اللقانق فبادر الى امثال جيد الغرانق
الى جامع اللذات طيبا وجودة فقضى حقه طاه بصنعة حاذق
تراه على السفود عند صلائه كزنجية زينت بحلي المخانق
فبعض يدلى كالوشاح وبعضه منوط عليه في محل المناطق
فانجح ليت الخير في حاجة امرئ وفي بشرط الود غير مماذق

ومن افاضل اضرابهم ابو القسم علي بن الحسن الداودي بهراة وهو عندي ممن يستحق ان يقال فيه ما قاله الصاحب لبعض من كان ينتمي اليه لولا ان قدرة الله عندي جنس واحد لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله جاوز السبعين وناهز الثمانين واحد الانام

منثورا ومنظوما وثاني الغمام معقولا ومعلوما ناشئا للعلم خادما وشابا بالعلى مخدوما ثمن منثور كلامه فصل له في كتاب وصلت ملطفة الشيخ فلطفت لعليل بردته ووجه بصبغ الارتياح ورددته بخبر سلامته التي نسيمها عندي نسيم الجنان والوسيلة الى السلوان وله فصل كيف لا اعتد بصنع الله لي في تخيله وده وعقيلة عهده وقد قيل
ف في الله اخا حين عز الاخاء وعدم بين الاوداء الوفاء وكاد لا يعد في وجودهما رائد ولا يظفر بهما منضل ولا ناشد واصبحت المصافاة
بون مخاتلة ومخاترة والمخالصة مكاثرة ومتاجرة وقد كان المتحا
في الله اقل من القليل والاسلام عليه رونق الشبيبة وهو في بردته القشيبة وله فصل من كتاب كلامي في مخاطبة الشيخ مماثل لانعكاس شعاع الناظر ورد الفوارة ماء الغمام الماطر على المذهب الذي يذكره علي بن الجهم في صفة الفوارة يرد على المزن ما اسبلت على الارض من صوب اقطارها

وله فصل من كتاب كان كل مجلس من مجالسه للانس مرقاة للازدياد مشوقا فكان مرويا مطمعا وموقدا مطفيا ومما انشدني له من قلائد شعره وان كانت كالحصى منشا

نجل عن الاحصا جملة وتفصيلا قوله

ربما قصر الصديق المقل عن حقوق لهن لا يستقل
ولئن قل نايل فصفائي ووداد وخلة لا تقل
ارخ سترا على هفاته يرى هتك ستر الصديق ليس يحل
فالتوقف في الامور فانه نجح ومرى الدر بالابساس
ولقد رفقت لما طلبت بطايل ما ينفع الابساس بالايناس
واخلاق كاطراف الزجاج رفقت بهن رفقك بالزجاج
الى ان عز لي رشد فشهد كذاك يكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية ابي سليمن الخطابي رحمه الله

انظروا كيف تخمد الانوار انظروا كيف تسقط الاقمار
هكذا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار
احمد الدين والمروة والفضل ومنه بسهمها الاقدار
مات من لم يكن له اشباه فيك تجاه ولا عليه انتدار
هي مفترة اليه خداعا وهو دون افترارها فرار

وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات

ايها الشيخ استعدت ودي بنا لي بثلاثة بلا من لبس لك طارف
واضعفت شكري حين ضاعفت انعما وقد يضعف النبت الندي المضاعف

اتاني كتاب منك فيه طرايف يقبل من اطرافهن الطرايف
وفيه من النظم البديع وصايف تقصر عن اوصافهن الوصايف
صحيفة احسان تخر لحسنها سجودا اذا ما احظتها الصحايف
فواصلني منها شباب مساعد وطال لعيني منها زمان مساعف
واصبح منه عادلا وهو عاسف وعادت زخارفه وهي عاصف

ومن اعيان نجوم الدوله ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن المناقب والبحر ابن السحاب والبدر ابن الشهاب والنار التي لا يجهزها الا ماذكارا والسيف الذي لا يالف الغمد مضا والسعد الذي يلين وبدا لشمس ذكا ونما نقطا ردّ تلميذ افادته والمشتري مشتري سعادته وثاقب النجم عبد دهايه وشارق الشمس خادم درايه وروايه خدم ابوه ابو طاهر الكاتب حسام الدوله ابا العباس تاش على ديوان اسراره بارعا في الصناعة صناعا في البراعة مخلوقا بالفضل القول من موقا بعين الطول يناضل الصاحب في الصناعه اسمعيل بن عباد فيحرق عليه قرطاس الادب ويساجله فيملا الدلو الى عقد الكرب مصعب لا الصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا الفارسي يدانيه ولا البستي يسع بعض مساعيه تجانس

انجم الثرة نثره ويناسب شعر المجرة شعره ثم المعنى انه حسام دولته
وصاحب جيشه وحاجب سدته ابي العباس وقد جمع في هذا البيت
خصايص اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي اطرافه دالا
على نبوة الاعجاز برهان الاختصار والايجاز واراد الله سعادة
هذا الفاضل فهداه نهج ابيه وعداه موقف التشبيه فنما نمو
الانشا على طيب التربة والنما ليس نمو القامة والضخامة لكن
نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفا الخمر سوما
على القدم في جلالة الهمم ونفاسة الاخلاق والشيم واخص
بخدمة الامير الجليل التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج الحجاب
وناظر عين الباب فاعداه يمنه حتى لبس الملك فضفاضا
وعني عن المسواد وان كان عليه بياضا واشتغل باستاذه عن سمة
الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة الى يفاع المنزلة
في الامارة فلم يبرز كثير من ابنا جنسه في البلاغة اشانا وساد
حتى اعياه من بني عبد الكان مدان فلما وقع الي من
نسخ قلمه وحسن كلمه من كتاب خاطب به بعض اخوانه لعل
الدهقان يظنني اوزع مساعدة الزمان بمباعدة الاخوان
وارضى من صدر الوزارة بتقلب كا الجارة فلم ازل المراتب

حلالا للعقود قطاعا للاواصر والعهود وكلا اني ما ازداد
ارتفاعا الا ازددت للصديق اتضاعا ولا نال على الايام
رتبة الا ازددت الى الاخوان قربة غيري من يصلفه الزمان
ويبدله السلطان ويذم عهده الاخوان على اني مهما نسيت عهدا
او تناسيت وقلعت اخية الوفا دون من احببت فلست انسى
عهده ولا ارضى قطيعته وهجره اني وقد شهرني بآدابه
الزهر واسترقني بمعاليه الغر ثم لا ارى له بديلا ولا املك عنه
تحويلا اعاذني الله مما يعيبت من صدوده ولا سلبني طيب الانس
بمنه وجوده وهذا القدر على مبلغ القدرة دال والمبرز
البارع منهم قصد الاتصال في المدح والتقريظ مجال وهولاهم
اعيان رعايا السلطان في الفضل الواسع والادب الجامع
ووراهم من فرسان الشعارة والخطابة واعلام البراعة والدراية بة
من يزحف ذكرهم عن الغرض المقصود من هذا الكتاب ولو
استغرقت اسامي المذكورين الا لانهم بالاضافة الى ساير اعيان
البلاد ازدادني ارتفاع المراتب في اتساع الحظوظ والرغايب
واضطراب الصيت في الافاق وصوغ الايادي قلايد الاعناق
وسنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة ووقايعه التي

رضيتها حدود الظبات وان سخطتها نفوس العداة فتنتهي
كل وقعة منها الى وقتها ويومها ونلحق شرح حالها بنوعها
الى ان نوفي الكلام حقه من الاشباع في الحروب التي جرت
بين السلطان وايلك الخان ه بسم الله الرحمن الرحيم وحسبنا الله ونعم
المعين ذكر غزوة بهاطية لما فرغ السلطان من امر سجستان وسكن
لاثباتها وانجاب عنه غبارها ارتاح لغزوة بهاطية فجر
الجحافل مستوثبين بشعار الهداة الثقاة ورايات الحماة الكماة
حتى عبر سيحون من وراء المولتان الى مدينة بهاطية فالفاها
ذات سور يتزلع عن مواثبها اجنحة النسور وقد احاط بها
خندق كالبحر المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي
مشحونة باهل الدهم من عدة وعديد ومعقول من حديد وكل
كشيطان مريد وعظيمهم بوبيدا المعروف ببجيرا اما شحنته العزة
بما حوته يده للبروز من وراء السور مهولا باعداد
رجاله واشجار امثاله متطاولا بباع الاقتدار
في قتاله وحضا السلطان من الدوله عليه نار
الحرب ثلثة ايام مليا ليهاتر مبه بالصواعق من
ظبي السيوف البوارق ويعزيه بالشهب اللوامع

من شبا الرماح الشوارع وواصلها عليهم صبيحة الرابع
بضرب يطير الحواجب عن العيون ويزيل القبائل عن الشوون
ورشق يدع الاجساد مناخل بل مناخر قد انتجرت عروقها و
اعيت على السكر شقوقها حتى اذا توجت الشمس قمة النهار
اهاب بالشد على الكفار الفجار فتجاوبت نعم التكبير
استنزالا لنصر الله وتنجزا الصادق وعد الله وحمل اولياء الله
على ذوي الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم وارغمت
بالذل انوفهم واقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب باليدين
ويبعد الدارع بنصفين ويسقي ظما الكفر من كووس الحين و
ملك عليهم في تلك الشدة الواحدة عدة من الفيلة التي
كان يعتدها الكافر حصونا للقلبه ويعدها سكونا لثلمه
وتماوج الفريقان في غمار تلك الحملة بين نقف شئون ادمغة الهام
وطعن يرزف حشاشة الاجسام واعلى الله ذابة السلطان
بل راية الدين والايمان واهب ريح النصر رخاءا واعاد شدة العيش
رخاء فولى المشركون نحو المدينة اعتصاما بسورها واختبارا
في دورها فاعجلهم الطلب عن الاحتياط وملك عليهم
مداخل الحصار وتعاون ازمنا العسكر على سد خنادقه وهدم

وثابقه وتضافروا على تشييد معاقله وتشييع مغالقه وقد
كان خبيرا أحسن غلت مراجل الحرب واختلفت مناجل الطعن
والضرب أحس بالهون والعطب وشام بروق الويل والحرب فاندس
في عصابة من رجاله الأنجاد بعض الغياض والأسناد
الى شعف بعض تلك الجبال فسرب السلطان كوكبة من خواصه
في طلبهم فأحاطوا به إحاطة الإزار بالأعناق وحكموا
فيه حد ذوي البوارق الدقاق فلما رأى خبير ما دهاه عمد الى
خنجر في حضره فهتك به حجاب صدره واستعجل الى نار الله الموقدة
التي تطلع على الأفئدة جزاء لمن كان كفر وتولى وجحد الأولى
للامام والاضل ولا سبح ربه الاعلى ثم وانثال عسكر
السلطان فقتلوا المقاتلة وغنموا الأموال الحاصلة وحصل السلطان
مائة وعشرين راسا من الفيلة بما يضاهيها من ذخائر الأموال و
الأسلحة ملكا لم يزل على غيره مثاله وملكا تطفل على حليته
جلالة وأقام بمعاطيه الى أن طهرها من أنجاس أولئك الأرجاس
وأدناس أولئك الأنكاس ونصب بها من يعلم حملة الدين
سنن الإسلام ويبين لهم طرق الحلال والحرام ثم كر الى غزنة
موفورا لا كلا منصورا للواء عالي الراية سائر الجد على خط الاستواء

الا انه وائق متعرفه هوابي أمطار وطوابي أنهار وتوابع
جبال وتوابع أضداد وأمثال ما استغرق الغرق جل أثقاله
وشمل الغرق جملة من رجاله ووقاه الله آفة تلك المياه
ومهالك تلك المسالك وهو يتولى الصالحين وقد كان أبو الفتح
علي بن محمد البستي ينكر حركات السلطان بنفسه في تلك المقاصد
برأي يستمليه من عطارد وحقا لقد كان يقول ما يشهد به العقول
ولكن اذا جاء بهرام والسيف الحسام والبطش والاقدام فقد
سقط الكلام وبطلت الصحائف والأقلام وأنشدني
ابو الفتح لنفسه في هذا الباب

الا ابلغ السلطان عني نصيحة يشيعها ذو رأي محنك
تجاوزت أوج الشمس عزا ورفعة وذلك سر الكل من قد تملكوا
لما حركات متبعات تديمها ثاني فأوج الشمس لا يتحرك

وهذه مسألة يتنازعها الأوائل فمنهم من يجعل لأوج الشمس
حركة كسائر حركات الأوجات فأما المحققون فقد انكروه
ببراهين هندسية وأشكال اقليدسية ذكر غزو
الملتان قد كان بلغ السلطان من أمر والي الملتان حال والي
الملتان أبي الفتوح في خبث نحلته ودخل دخلته وقبح اعتقاده

الحاده ودعا به الى مثل رايه اهل بلاده فانف للدين من مقاربته
على فظاعة شره وشناعة امره واستخار الله الخاير في قصده لاستبانة
وتقدم حكم الله في الايقاع به وامر بضم الاطراف ولف الذيول
وجمع الخيول الى الخيول وضوى اليه من مطوعة المسلمين من ختم
الله لهم بصالح العمل واكرمهم باحدى الحسنيين في الازل وثار بهم نحو
المولتان عند تموج المرابع بسيول الانوا وسيح الانهار بسيول
الانداء وامتناع سيحون واخوانه على ركابها واستصعاب متونها
على اصحابها فطلب السلطان الى اتربال عظيم الهند ان يطرق له
في مملكته الى مقصده فمنع وتمرد واخذته العزة بالاثم
فابى وتشدد وراى السلطان غرة الراي في دهمة ذلك الخطب
ان يبدا به على غرة جانبه فبذل صليبه وسبح غريقه ويمزق
لفه ولفيفه جامعا بين غمر وبين وباطنا جبين الجنين فبسط
عليه ايدي القتل والاثاق والنهب والارهاق والهدم والاحراق
يلجيه من نهيق الى مضيق ويليه من طريق الى طريق طاويا عليه
بلاده مثل البحار بحضرموت برودا الى ان صحرنا لتناهز هنالك
حلق الدروع وسكرت الظبي من رشف علق الاحشا والضلوع وركب
اثره في اغوار دياره واعماق رباعه بحسنه بين دمات السهول وقصص

الاماعز ويقرى عليه وحوش الجو بين ضيق المداخل ورحب
المفاوز حتى اضمرته نواحي كشمير ولما سمع ابو الفتح والي
المولتان ما جرى من امر عظيم الهند وهو الوجه الربيع والسد
المنيع والسيف المضيع فاستباعه بشبره وذراعه بعنزه وايقن
ان رعن الجبال لا تنطال بهضبات الفوز وزرق البزاة لا تنال
ببغاث الطيور وعجل نقل امواله على ظهور فيلته الى سرنديب
واخلى المولتان للسلطان يفعل فيها ما يشا فثنى العنان اليها مستعينا
لتنهز بالله على من احدث في دينه او حدث بتوهينه فاذا اهلها في ضلال
يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى
الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فضرب عليهم بجران
المحاصرة وكلكل المناجزة جز الغلاصم وبتك الايدي من
المعاصم وارصادهم بالفاقرات القواصم حتى افتتحها عنوة
وشحنها عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف الف درهم برحض
ادناس استعصابهم وبرؤ عن اتساعهم جنة استشرابهم
واباءهم وعبر ذكره بما اتاه الله من نصرة الدين واثاره معالم
اليقين عرض البحر الى ديار ان مصر حتى درست بها مناماته
التي لم ير مثلها عز ذي القرنين الحديث انتهى من بين السدين

وارتعدت فرائص السند واخواتها حذار بطشه واتقاء حسمه و
بها نجوى الالحاد وطمست صوى الغي والعناد لله ابو تمام
حيث يقول

كرمت غزوتك بالاس والخيل دقاق والخطب غير دقيق
حين لا جلدة السما بغبرا ولا وجه شوة بطليق
ان ايامك الحسان من الروم لحمر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كانها بالدم المهراق ايام النحر والتشريق

ذكر غزو عسكر ايلك الخان فيه قد كانت الحال في الالفة
قائمة بين السلطان وبين ايلك الخان الى ان دبت عقارب الفساد
في ذات البين فاضطرب الحبل المتماسك واشتعل الجمر الهامد ورعى
ايلك فرصة المجاهرة بسر المكاشرة حتى اذا اصعد السلطان
صمد الملتان وعادت نحو تلك البلاد راياته وخفت عن اعيان
رجاله ولا بانة سرب سباشي تكين صاحب جيشه واحد قراباته
الى كور خراسان في معظم اجناده وسير جعفرتكين
وعدة من قواده وكان والي طوس ارسلان الجاذب مقيما بهراة
فانهى الاخبار الى غزنة بمن نجم ناجم عنادا ونعق ناعق
بفساد فاسرع الانقلاب اليها اخذا بوثيقة الحزم في ترك

البال ومتربصا بالجملة غاية الفصال وورد سباشي تكين
هراة فاستوطنها وندب الحسين بن نصر للديوان بنيسابور فرتب
العمال وواصل الاستخراج ومال اليهم كثير من اعيان
خراسان لاستحجار السلطان من جانب الملتان وتناقل الا لسنة
اهوا القلوب ونوازع النفوس اخابير زور واراجيف غرور
وامر الوزير ابو العباس الفضل بن احمد بالاحتياط على الطرف
بين غزنة وحدود باميان وتجهيز وسدها بحماة الرجال
على حصانة مداخلها وصعوبة مراكبها وطير النذير الى السلطان
بما انبث في اطراف البلاد من حيات العداة وعقارب الغواة
فانجفله بريبة عن استتمامه وازعجته غلبة الحمية عن مقامه
وركب ركوب العاصف اكناف الجهام الفارغ بطوي الارض
طي المهارق بين ابطاح واجياف واهضاد واعتساف وبين
سهول وظراب وشهوب وشعاب حتى القى عصا القرار
بغزنة واقام العطا لابنا دولته وانشا حملته وملأ ايديهم
بالعطايا والرغائب وازاح عللهم في المطايا والركائب
كور واستنفر الاتراك الخلجية احلاس الظهور وابنا الصوارم الهند
تنفر منهم جن على جن وان كانوا بشرا كانما خيطوا عليها بالابر

وجاش بهم نحو بلخ وبها جعفرتكين فاسرع الكرّة الى الترمذ اشفاقا
من صدمة الضيغم الخادر واحترازا من وثبة الارقم الثائر
واستقر السلطان ببلخ موفور الامن والجذل كاحتلال صحوة
الشمس من برج الحمل وامر باتباع سباشي تكين بارسلان الجاذب
في زهاء عشرة الاف من ابناء الكفاح ومنجبة الازواج باشطان الرماح
وسارع سباشي تكين نحو الوادي للعبور فلم يرعه الا العاديات
ضوابح والموريات قوادح فكر على ادراجه جايرا عاثرا
وعطف الى مرو على ان يسرح منها الى الشط على سمت المفازة فاذا
الابار مردومة والمناهل مطمومة ووديعة الحيف مسعورة واذيال
السوافي على المعالم مجرورة فانثنى الى سرخس وبها الحسن بن
طاق رئيس الاتراك الغزية فاحدق به احداقا سدّ به الهرب
وضيّق دونه وجه المجال والمضطرب فمانعه ما قدر ثم ظفر
به سباشي تكين ففداه بنفسه بعد ان قتل مقتلة عظيمة من
الجانبين واعجله ارتداف ارسلان الجاذب اياه عن فضل المقام
والاستجمام فانتقل الى ابيورد ومنها الى نسا وبينهما مرحلة
واحدة فكلما صدر عن هذا ورد ذاك ومتى طفر ذاك اناخ بهذا
يتناسمان امداد الطلب والهرب جماما ولا يردان المياه الا لماما

وقد كان سباشي تكين قد حصّل صدرا من المال والاسلحة من نواحي
هراة وغيرها فصارت له عقلة دون الخفوف في وجه النجاة فهو
يتيامن مرة ويتياسر اخرى منكوسا على راسه خوف لحاق من
اسلامه بما يحدث به بداه واعياه الخلاص بحشاشة النفس حريبا
الا بافرازه عن جملته وتفريغ الخاطر عن الشغل به ولما قرب
ارسلان الجاذب من نسا رحل عنها متوجها نحو سيبار وازعجه
الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال بين الاجام الملتفة
والغياض المحتفة والمخارق الضيقة والمخارم المضطربة وتسلط
الكراكلة على اثقاله وافنا رجاله حتى فشت نكايتهم فيه و
استامن الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير طوايف من اهل
جملته لعدم المراكب وذهاب الحرايب وانفل هو على سمت دهستان
حتى عاد الى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الاثقال فاصدرها
الى خوارزمشاه ابي الحسن علي بن مامون وكتب اليه يستودعه
اياها امانة لا يملك الخان وحذره ان يمدّ اليها بغير الصيانة
يده واصحبها رجالة عسكره والعجزة منهم عن صحبته واقتحم
المفازة متوجها نحو مرو وكان السلطان يمين الدولة انحدر
الى طوس مراعيا لما يسفر عنه ركض ارسلان الجاذب على اثره

والصاقه الطلب الحثيث به فلما بلغه ركوب سباشي تكين
عرض المسافة اسرى على طريق مرو معارضا له في مسيره ومناقضا
عليه قوى تدبيره فوصل اليها مخلصه عن وعثا تلك البيدا فرماه
بابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي زعيم العرب وبساير قواد ورجال
يرون الملاحم ولايم والوقايع نقايع وسيوف الضراب عرايس
وصفوف الكماة فرايس نكاح كما قاله سعيد بن حسان

فررت من معن وافلاسه الى اليزيدي ابي واقد
فكنت كالساعي الى مثعب موايلا من سبل الراعد

واحاطت به السيوف حيث لاتما الاصابع الافواه وهي عاصبة
ولا من يحمي الاشكام اللجم وهي عاصية فاسر اخو سباشي تكين
في زها سبع مايه من وجوه الافراد ورتوت القواد وامر السلطان
بغراجوديا تهم فانزعت بنود الكعابهم وجوامع لرقابهم وحملهم
الى غزنه ليرى اهلها احسن صنع الله له فيمن شانه ونقض عهده
وميثاقه ونجا سباشي تكين واخراجه فيها وزيهم حتى فرغ
الخاطر من امره ووضع ما اسفه من المشغل به عن ظهره ثم ثنى العنان
اليهم شدا اغص الهوا بغباره واستغرق اوقات ليله ونهاره فلم يرعهم
الا راياته باجنحة النجاح طايره وخيوله في صهيل المراح سايره

وكمن لهم السلطان فلما راوا الكمين انفلوا منهزمين
يخمون دعوة الخلاص بامين امين وشيعهم صاحب الجيش ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين سبكتكين على ساحل جيحون كاسعا لادبارهم
ومثخنا في غمارهم الى ان عبروه فسلمت خراسان من عيث سوادهم
وخلت عن متون جرادهم واضطرب ايلك خنقا الهاجري على عسكره
من الضغطة الكبيرة والهزيمة المبيرة فاستعان بقدرخان بن
بغراخان لقرابة بينهما وكيدة ولحمة وشيجة واستجره الحمي
سنلته الى آثاره معتظهرا بنصرته فاستجاش لحبا الترك من
مظانها وحشر بني خاقان من اقصى بلادها واستنفرها من
ما ورا النهر في جيوش تجل عن الحد والحصر وسار في خمسين الفا
او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا بعسكره المائج وبطشه الهائج
ومعتضدا بقدرخان ملك الختن ذي القدرة والعديد والباس
الشديد والايد المتين والبسطة والتمكين في رجال كالجبال
الشوامخ فوق البحور المواج عراض الوجوه خزر العيون فطس
الانوف خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من حلق
الدروع يحملون جعابا كخراطيم الفيول محشوة بنبال كانياب
الغول ولما سمع السلطان بعبوره في جمهوره وهو اذ ذاك

بطخارستان سبقه الى بلخ فاستوطنها فاطاع عنها طمعه ومالكا
عليه ممتاره ومنتجعه واستعد للحرب فخرج السلطان في
عساكر الترك والهند والخلج والافغانية والغزنوية ابناء
الجد والصدق وابناء الرشق والمشق الى معسكر له على فرسخين
من البلد يعرف بقنطرة جرخيان وسيع المجال على الرجال رحب
الفضاء على الدهماء وزحف ايلك الى محاذاته في عدد الدهم
وعسكره المجر منظارد الفرسان وتجالد المتحفان بمحاربة يوم
على رسم الطلايع امام الوقايع الى ان كشح جانح الليل واصبح
الناس على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال
الراسيات والبحار الزاخرات ورتب في القلب صاحب الجيش
ابا المظفر ووالي الجوزجان ابا نصر احمد بن محمد الفريغوني وابا عبد الله
محمد بن ابي ابرهيم الطاي في حماة الاكراد والعرب وساير جماهير
الهنود وسائر الجنود ورتب في الميمنة التونتاش حاجبه
الكبير فيمن يرسمه من اعيان الرجال وفرسان الزحف والصيال
ورتب للميسرة ارسلان الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال
ورجوم القتال وحصن الصفوف بزهاء خمسماية من
فيلته التي تميد الجبال من اثقالها

وترجحت الارض بزلزالها واقبل ايلك فشحن قلبه بخواص غلمانه
واعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنته في اتراك الختن بين اجام
العوامل والجنن وشحن جعفرتكين ميسرته بكل البس كالشجاع
المخرج والحسام المرهف بين رايات الزعف والجحف وحامل
بعضهم على بعض فحبكت المعركة سماء غمامها مثار القسطل وبروقها
بريق البيض والاسل ورعودها صليل السلاح ورشاشها صبيب
الجراح واستنزل ايلك عن صهوات الخيول الى صعيد الارض زهاء
الف غلام يتبلغون السعود انضافا ويتصيبون وسايط الاهداب
اهدافا فشكوا بالنبال تجاويف الخيول وشقوا بالنصال سرابيل
الخيول والمتاجد الامن واحتد الحر واعضل الدا واستفحل
الاعدا وزخر وادي الخطب بمده وكاد يخرج بادي الشر
عن حده نزل السلطان الى صعيد ربوة كان قد نشزها التدبير
عطفات الحرب وتلاقي نزفات ذلك المركب الصعب فوضع لله
خده وعفر شعره وارسل دمعه وقدم نذره ودعا الله ان
يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره ثم وثب الى تعديته من فيلته
المقتلمة فحدرها وساير خاصته على قلب ايلك فاهوى الفيل
الى صاحب رايته فاختطفه من سرجه ورمى به في الهوا مع رفقه

وتخلل الاخرين خطما بخرطومه ودوسا باظلافه وشكا بانيابه
واثال اولياء السلطان على الاخرين بسيوف تلمع في الدماء وترشف
لحساء الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت نواهضهم هباء وولوا
على اعقابهم هاربين وتبعهم بظبات القسر والقهر الى ان لفظتهم
خراسان الى ما وراء النهر ولقد احسن السلامي في قوله فكانما
وصف حاله ومدح آثاره وافعاله

يا سيف دين الله ما ارضى العدى لو ان سيفك مثل عدلك يعدل
ما ان سننت لهم سنانا في الوغى الا اطل عليه منهم انطل
والروض من زهر النجوم مدبج والماء من ماء الترائب اشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرز والارض فرش بالجياد مخمل
نقفوا العقاب على العقاب وتلتقي بين الفوارس اجدل ومجدل
وسطور رمحك انما الفاظها سمر تنقط بالدماء وتشكل

وامتدح عند ذلك السلطان يمين الدولة ابو القسم الحسن بن
عبد الله المستوفي بقصيدة اولها

ظهر الحق ثابت الاركان صاعد النجم عالي البنيان
وهوى للردى ذووا النكث والبغي واهل الضلال والطغيان
ملك من مناويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والاحزان

ما الذي غركم بمحمود المحمود اخباره بكل لسان
بابي القسم المعظم ظل الله في الارض صفوة المنان
من مناويه نهزة للمنايا غرض للحتوف والاحزان
ومواليه يصبحون بخير لابسو ولابسوا البيجان
اجهلتم بانه ملك الاملاك طرا وتاج هذا الزمان
سيفه والمنون طرفا رهان نحو حلق العدو يستبقان
خذ يميني بان يخضع حقا لليميني كل سيف يمان
لو عصاه ويح تسمى اليمينية ظلت تحبك في السندان
انما سيفه شبيه عصا موسى بن عمران صاحب الثعبان
وفراجود يا نكم كيد سحر فاذا جاءت العصا فهو فان
طلعت راية لهم فتدلوا كعباديد ثلة من ضان
كم قتيل وكم جريح وغرقى واسير في ايدي ذي رسفان
كان ابدي سبا عساكر ظنوا انهم ملكوا على البلدان
خطبوا الملك فاعثرتهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان
صادموا الصخر بالزجاج وظنوا ان يصيدوا الاسود بالغزلان
قد لعمري يكون ذلك ولكن ليس في كل موقف ومكان
ملك صار من مضى من ملوك الارض لفظا وجاء عين المعاني

فخر المشرقان بالحظ منه واستطالا فاشتاقه المغربان
جمع الله فيه وهو فذ بر عالما للكمال في جثمان
ملك وهو في الحقيقة عندي ملك صيغ صيغة الانسان
جمع الله فيه بطشا وحلما وحيا وصحة الايمان
انما الحرب حرفة قام فيها منذ نشا من عمره او ثمان
ولقد قارب الاشد يعاني من تكاليف خطبها ما يعاني
ثم رأى الشيخ الجليل اني القياس حصن له من الحدثان
ذو وفا مبارك ناصح الجيب مبر تدبيره كل شان
فارن المشتري بطالع سعد زحلا فاستبان حير قران
فابق ما دام ذانك والنجمان في بروج السما بغير فنان
هذه القصيدة كانت في نسخة اخرى على غير هذا الولا والترتيب
وابياتها متفاوتة فكتبتها مرة اخرى لاجل ابيات ما كانت توجد في تلك النسخة
ظهر الحق ثابت الاركان صاعدا النجم عالي البنيان
وهوى للردى ذووا الشك والبغي واهل الضلال والطغيان
ما الذي غركم بمحمود المحمود اخباره بكل لسان
بانى القسم المعظم ظل الله في الارض صفوة المنان
من تناديه نعرة للمنايا عرض للحتوف والاحزان

ملك صار من مضى من ملوك الارض لفظا وجاء عين المعاني
فخر المشرقان بالحظ منه واستطالا فاشتاقه المغربان
جمع الله فيه وهو فذ بر عالما للكمال في جثمان
ملك وهو في الحقيقة عندي ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فادني ضعيف واخوه في حكمه سيان
اخذ الهند بالبماني وبجوى بما ان اراد بالهندواني
سيفه والمنون طرفا رهان نحو حلق العدى يبتدران
خذ يمينى بان سيخضع حقا لليميني كل سيف يماني
لو عصا حزوع نسمي اليمينية ظلت تحيك في السندان
غاب عن غابة الهزبر لغزو الهند مستنزلا رضا الرحمن
وسبا واستباح واجتاح منهم واحل النكال بالاوثان
وانثنى قافلا وقد ملا الايدي فيئا وفاز بالرضوان
فسطا باسه بطاغية الترك واهل الشقا والعصيان
طلعت راية لهم فتولوا كعباد بر ثلة من ضان
كم قتيل وكم جريح وغرقى واسير في القد ذي دسفان
طار ابري سبا عسكره ظنوا انهم ملكوا على البلدان
خطبوا الملك فاعتراهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان

فنحو ادرتم في السجون الوف ... والوف هشيم في جرجان
ولهو من القفار الى بجحون ... فتلى ما اكل الحيتان
جزر للسباع في كل فج ... طعم للنسور والعقبان
بارك الله ربنا في خميس ... ردّ عنا خميس الاعيان

وكتب ابو الفضل الهمذاني البديع الى الشيخ الوزير ابي العباس
هذا ورب الكعبة اخر ما في الجعبة لقد انصف القارة ومحا
السيف ما قال ابن دارة لا نزوة بعدها للترك ولا الحلم بعدها
بالملك لقد كان السلطان اذ عفر لله شعره وعرض على الله
فقره وفوض الى الله امره واخلص لله نذره فناهض بالله
خصمه وسال الله حوله ولم يعجبه كثرة الملا حوله شد الله بذلك
ازره وقوى امره واعز نصره واقطعه عصره واطعمه ملكه
واورثه ارضه ان الظفر باسبابه والموفق ياتي الامر من بابه

وله فصل منه ايها الجهلاء ثم البلاد مساكنكم لا يحطمنكم
سليمن كتب الله ليغلبن السلطان وراك ان السيف امامك وخلفك
ان الموت قدامك وارضك ارضك ان نائم نومة ليس فيها حلم
ان المغارب قد غادرت مخازيه الا رب ركض نادم ورب
سوط ظالم ورب عدو الى ثبور ورب طمع يهدي الى حتف الان هذا

مثلهما في دهائهما وقوة رايهما على حصانة اموره وتبصيره
الرشد في وجوه تدابيره ولما وصل ابو علي الى بخارا ابو لغ في
تعهده واكرام مورده واحلاله من الايثار والاكبار محل مثله
الى ان توفي في شوال سنة ست وخمسين وثلثمائه فالت اليسع
ابنه ولي كرمان تحمي اطرافها وجبي اموالها وكان اخوه
سليمان مقيما بسيرجان واليا عليها فاغراه سو بن مهدي به
واشار عليه بمعاجلته قبل انتظام امره شمله واستمر الرحله
فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني عن مفاوضته فيه فامتنع
عن الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير تمحلها وضاق اليسع به
ذرعا ولم يجد من مناجزته بدا فنهض اليه محاربا حتى هزمه
وغنم ماله فوقع سليمان الى بخارا واطمع اليسع نزق شبابه
في مغالبة عضد الدولة ابي شجاع على بعض حدود عمله فكان
مثله مثل العير طلب قرنين فضيع الاذنين فرجع بلا اذنين وذلك
انه لما بلغ مفرق الحد بين فارس وكرمان اتاه صاحب طليعته
بطائفة من المستامنة عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب
الخلع عليهم ثم هرب نفر منهم راجعين وراءهم فارتاب اليسع برفقائهم
وظن ان وراء سيماهم حيلة او غيلة فاوسعهم تنكيلا وعمهم

بهم

بالعقاب نطقا وتمثيلا واسنا من عنهم الى عضد الدولة حملة
من رجاله محملاهم وحباهم ووصلهم فلما راى اصحابه تباعد ما بين
الامرين نالوا عليه وتمروا له وتحزبوا عنه وتسلل من جملتهم صفقة
واحدة الف رجل من وجوه الديلم الى معسكر عضد الدولة وهو
بناحية اصطخر وتنا الطرفان بين الاخرين فجعلوا يتسللون لواذا
ويتفرقون جميعا واشتاتا حتى انفض عنه عامة عسكره وبقى
في خاصة غلمانه وحاشيته فاضطر الى معاودة واسهر واسرع
منها بعياله وبما خف عليه حمله من اثقاله وامواله نحو بخارا لا يلوى
على شيء دون الاغذاذ في السير وطي بساط الارض نحو افر
الخيل فلما اتصل خبره بعضد الدولة بادر على اثره الى ذ واشهر
فملكها واستصفى اموال آل الياس بها ثم استخلف عليها كوذنكين بن
جستان ورجع عنها الى فارس ولما ورد اليسع ناحية جوين من
حدود قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها وركب الجمازات نحو
بخارا للاستنجاد وطلب الامداد فلما وافاها قرب محله وزحى
لاحقه واستحضر مجلس الانس تخصيصا بمزية الاكرام والاثرة
فلما قدر عليه سلطان الراح لم يتمالك ان قال مستبطيا لو عرفت
قعود الهمم بالسامانية عن اغاثة الراجين لها واللاجين اليها

من السنة المذكورة استخار الله في اتمام ما رامه واستراح
ما نوى الى الجامة وسار متوكلا على الله الذي طالما اطعمه
نصره وعرفه صنعه حتى اذا انتهى المسير به الى شط الهند
لاقاه ابرهمن بال بن اندبال في جيوش تخبش بسود الرجال وبيض
الصفاح وزرق الرماح وزهر الدروع ودكن الخيول وفرت
الحرب عن انيابها العصل وتوالت الحملات كما تتوالى لوامع
الشهب وتترامى نوازع السحب ودارت رحا الطعان والضراب
طاحنة كل ندب شجاع وقرم مطاع واشتدت الوقعة من
طفولة النهار الى كهولة الطفل حتى اكتست الارض لون
الشقائق من دماء الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار
دابرة لولا ان الله اعان السلطان على حملة في خواص غلمانه
كسعت ادبارهم وبحثت عن مغابنهم اثارهم واغتنم ثلثين
فيلا كاشخاص القصور بل كامواج البحور واقبل اولياؤه
يحسونهم الى ان يتقفونهم من بطون الاودية والشعاب وظهور
الفيافي والهضاب واقتفى السلطان بنفسه اثره بين تلك المهارب
متنجزا وعد الله في نصرة دينه وقتل كل ذي نفاق وشقاق الحنيفية
فانتهى به الطلب الى قلعة تدعى بهيم نغر احصن قلعة بنيت

على حرف طود رفيع خلال ماء منيع وقد كان ملوك الهند و
اعيان اهلها وجماعات النساك من ذوي الامتلاك بها قد جعلوها
مخزنة للصنم الاعظم ينقلون اليها قرنا بعد قرن من انواع الذخاير
واعلاق الجواهر ما يخف اوزانه ويثقل عند السوم قيمه واثمانه
عبادة بزعمهم لما يفيدهم الحسنى ويقربهم الى الله زلفى
فصادف السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة الاحقاب ما لا تقله
ظهور الجمال ولا تسعه اوعية الاحمال ولا تستحمله ايدي الكتاب
ولا تدركه فكر الحساب خيم عليها جنوده وضرب حواليها
بنوده وانبرى لقتال مستحفظيها بقلب جري وانف حمي وعزم
ذكي وبطش قوي وراي بالصواب وري ولما راى العوم عصم
تلك الشعاب بمغاور الجنود وتطاير النبال صعدا كشرر
الوقود استفزهم الرعب والوهل والوى باحلامهم الخوف والوجل
فخيلت ابصارهم تلك الزحوف تنوقا وهاتيك السدود دونهم بروجا
والسكور شوقا وسخرتهم دولة السلطان فهرتهم كلاب
الادبار والخذلان واعيتهم وجوه الامن الا من جانب الاستيمان
فنادوا بشعار السلطان وجعلوا يتساقطون الى ارض الامان كالعصافير
احرجتها البواشق او الغيوث جادتها الغيوم البوارق وفتح الله

تلك القلعة على السلطان فتحا يسيرا واتاه صنعا من لدنه
كبيرا واغتنم نيل مقترح النفوس من بنات المعادن والبحور وذرايا ف
القيم والنحور ودخلها في والي الجوزجان ابي نصر احمد بن محمد الفر يغوني
وساير خاصته ووكل حاجبيه الكبير التونتاش واسغتكين
بخزاين العين والورق وساير ذوات الاخطار والقيم وتوكل
بنفسه بخزانة الجوهر فنقل منها ما اقلته ظهور رجاله واستحمل
سايرها اعيان رجاله فكان مبلغ المنقول من الورق سبعون
الف الف شاهية ومن الذهبيات والفضيات سبع ماية الف واربع ماية
منا وزنا ومن اصناف الثياب التسترية والديابيج السوسية ما
انطق مشايخ الزمان والطاعنين في الاسنان انه لا عهد لهم بامثالها
صنعة وتنوقا وتزيينا وتلطيفا وفي جملة الموجود بيت من
الفضة البيضاء كبيوت الاغنياء طوله ثلثون ذراعا في خمسة عشر
ذراعا صفايح مضروبة مهياة للطي والنشر والنصب والحط
وشراع من ديباج الروم اربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا
بقايمين من ذهب واخرين من سبيكة فضة ووكل السلطان
بتلك القلعة من ثقاته من يراعيها ويودي امانة الاستحفاظ فيها
وكر عايدا الى غزنة في ضمان النصر والاظهار وقران اليسر واليسار

ولما مست عصاه جانب الفرار بها امر بساحة داره ففرشت بتلك الجواهر
من درر كالنجوم الثواقب قد سلمت على الايدي النوائب ومن يواقيت
كالجمر قبل الخمود او الخمر بعد الجمود ومن زبرجد كاطراف الآس نضارة
او ورق الاقحوان غضارة ومن قطاع الماس في المقادير والاوزان
كحبات الرمان واجتمعت وفود الاطراف على ادراك ما لم يروا في
كتب الاوائل اجتماع مثله لاحد من صناديد الروم وملوك العجم
والروم وحضر ذلك المجلس رسل طغان خان فرأوا ما لم تره العيون
ولم يملكه قارون ولم تبلغه الظنون صنع الله الذي اذا اراد امرا
ان يقول له كن فيكون

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان
لآل فريغون ايام آل سامان يتوارثها كابر عن كابر ويوصي بها اول
عن آخر اشراف النفوس والهمم كرام الاخلاق والشيم وطاء الاكناف
لنزاع الاطراف خطاب الرجال لوفود الآمال دابهم اجلال قدر
الآداب ورفع درجات الكتاب وافتراض حقوق الاحرار واغلاء اسعار
الاشعار فكم من غريب آواه احسانهم ومن اديب اغناه سلطانهم
ومن كسير جبره انصافهم ومن حسير انهضه عطفهم والطافهم و
كان ابو الحارث احمد بن محمد غرة تلك الدولة وانسان تلك المقلة و
جمال تلك الحلة ما يوفي من كرم حسب وكنف رحيب وشرف رغيب

ومن بقي همه لبعيد ومستقى نائل قريب وقد كان الامير سبكتكين
خطب اليه كريمته على السلطان ثم اوجب لولده ابي نصر احمد بن
محمد كريمة له فاستحكمت اللحمة واشتبكت العصمة والتحمت الوثائق
واستحكمت الاواصر والعلائق ولما مضى ابو الحارث لسبيله وورثه
ابو نصر ابنه فاوجب السلطان اقراره على ولايته ايثارا له بفضل
رعايته وعنايته الى ان قضى نحبه في شهور سنة احدى واربعمائة
واقرأني ابو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني البديع كتابا له
اليه جعله مقدمة لوفوده اليه فقال انه من رغاب الايادي ما ملأ
يديه كتابي وان البحر لم اره فقد سمعت خبره والليث
وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم اكن لقيته
فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف اثره فقد رأى اكثره وما ان
اسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحيب اناؤه الكرم
آباؤه وانشد من هذه الحضرة ضالتي والعوائق تمنعه وتسرة
تثني خنصره والزمن العثور يقعد ويثور فكم من عام عزمت
وابت المقادير ونويت وعرضت معاذير والآن لما وقفت
لهذه الزورة اختلفت على اخبار الملك العادل في مستقره
واختلفت بي [illegible] مرة في قوس الظرف ومرة في وتره متعقبا

اثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الي الشيطان بقدر مقدر
اني اقصد هذه الحضرة طامعا في مال او طامحا الى نوال
وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن درك
الحظ من طلعته ولم ابعد ما القاه في خلدي ان يكون وانا انشد
الله الظنون لن يتصرف في قصدي الا الى معرفة او نفعها وخدمة
اودعها ومدحة اسمعها ورجعة اسرعها ثم ادخر هذه
المكرمة لمملكة اعضها او راية انصبها او كتيبة اغلبها
او دولة اقلبها فاما الدرهم والدينار فقد نفعهما الي ونزعهما
من يدي سوا الدي لا اشكر واهبهما ولا اشكوا سالبهما ان لي
في القناعة وفنا وفي الصناعة لحنا لا يبعد منال المال اذا اردته
ولا يحوجني الى ركوب العقاب وسلوك الشعاب مهما قصدته
بل يجيني فيضا ويتطفل على ايضا وهذه الحضرة وان احتاج اليها
المامول ولم يستغن عنها فان احب الي ان اقصدها قصد موال
لا قصد سوال والرجوع عنها بجمال احب الي من الرجوع بمال
قدمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان ينشط الامير لضيف
ظله خفيف ورضاه انه رغيف فليوجز له بالاستقبال طاير
الاقبال والسلم ه وله فيه لما صدر عن فنايه منتقلا بنعمايه

الم تر اني في سفرتي لنيل الغنى والمنى والاميرا
ولما براني شممت التراب وكنت امرا لا اشم العبيرا
لال فريغون في المكرمات يدي اولا واعتذار اخيرا
اذا ما حللت بمغناهم رايت نعيما وملكا كبيرا

ولابي الفتح البستي فيهم

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما العلى وسنا السودد العالي
كانما خلقوا من سودد وعلى وساير الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا اجلهم قدرا واسخاهم بالنفس والمال
يا سايلي ما الذي حصلت عندهم دع السوال وقم فانظر الى حالي
الا ترى ان حالي كيف قد حليت بهم الم تر حالي عندهم حالي
فان اكن ساكتا عن حق انعمهم فان ذاك لعجزي لا لاغفالي

ذكر القادر بالله امير المومنين وانتصابه منصب ابايه الراشدين عليهم السلام واستقرار الامامة عليه وانعقاد البيعة له بعد الطايع لله وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وضيا الملة ابي نصر بن عضد الدولة

قد كان بها الدعوة له

انتقل من الطايع لله امور الصدر فيها عن غير وفاته وعدد له
بها عن حكم استخلافه قد عاه ما توالى عليه من خلاف رضاه الى من راعاه

مصلحة الدين والملك باختيار من يدعي حق الامامة ويتولى
حياطة الخاصة والعامة ويعدل هوى النفس في اتباع الحق
واستشعاره ونصرة الدين واظهاره وحماية الملك من اقطاره
وجعل يتلطف بالتدبير عليه الى ان تمكن منه فخلعه واحتوى
عليه وعلى ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة احدى وثمانين
وثلثمايه وارسل الى البطيحة وبها القادر بالله ابو العباس احمد بن
اسحق المقتدر بالله فاستقدمه دار السلام لعقد البيعة له سدا
للثلمة ونظرا للامة وارتياحا للالفة واجتلابا للمصلحة
الجملة فقدمها في شهر رمضان من هذه السنة وتسارع الناس الى متابعته
واصفقوا على طاعته وتراضوا عن طيب النفوس بامامته وشاهدوا
شكر الله على ما اتاحه لهم من بركات خلافته بغية بما اشتهر في الافاق
من مناقبه الغر وضرايبه الزهر وفضايله المسطورة على صحايف
الدهر فقام بما قلده الله من طوق الامانة مفوضا اليه امره ومتوكلا
عليه وحده فلم ير في مفرده من سرير الخلافة اوقر منه حصاة
واصلب قناة واصدق تقاة وارضى سيرة واذكى بصرا وبصيرة
وازكى علنا وسريرة واتم جلالة وجدا له
داعم بسياسة وحراسة

وحراسة نعم ولا اقوى منه جنانا واندى بنانا واجرى
لسانا واعدل عنانا واحسانا وعطفته عاطفة القربى على
الطايع لله فاستخصه لمنادمته واجتباه لمصاحبته والحفه جناح
رعايته وحمايته ببغداد بابن غضاضة تلحقه في زمانه او نكبة
ترهقه في ظل سلطانه وجانب امانه الى ان فرق بينهما الدهر
المولع بالتفريق واخذ الرفيق عن الرفيق ورثاه ابو الحسين محمد بن
الحسين الموسوي بقصيدة منها

ان كان ذاك الطود خر فبعد ما استعلى طويلا
موفٍ على القلل الذواهب في العلى عرضا وطولا
قوم تبدد لحظة فيرى الغروب له مثولا
ويرى عزيزا حيث حل ولا يرى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلا على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا
غر اذا نسبوا الى الغرر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعدما طابوا وقد عجموا اصولا
نسب غدا ورّاده يسحبون له الحجولا

كما

يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي فُلّت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان اعجلك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت مفقودا جزيلا
لهفي على ماضٍ مضى ان لا نرى منه بديلا
وزوال ملك لم يكن يوما يقدّر ان يزولا
ومنازل سطر الزمان على معالمها الحؤولا
من بعد ما كانت على الايام مرباة نكولا
والاسد تركز القنا فيها وتربط الخيولا
من منتج الامال يوم تعود نابا للنار حولا
من يسبغ النعم الجسام ويعطي الجزيلا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا
ونراه يمنع دوننا وادي النوائب ان يسيلا
عقّاد الوية الملوك على العلى جيلا فجيلا

وانشاد خطباء العراق وشعراؤها كاعراف الجياد على مجلس الخلافة في امتداح القادر بالله امير المؤمنين وذكر مآثر ايامه ومفاخر اسلافه ومرابيع الكرم ينابيع الحكم مصابيح الظلم مجاديح الامم ليوث

النعم غيوث العجم والمعنى ان مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور ونظم وشذور فلا حاجة بنا الى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها وحكى لي ابو محمد عبد السلم بن محمد بن الهيثم احد اعيان الائمة بنيسابور قال كنت في مجلس القادر بالله خطيبا بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد واعيان الحجيج فقلت ٥

الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم المتظاهرة الذي عم احسانه ودام سلطانه ولطف شانه فلا رادّ لقضائه ولا لعطائه ولا معقّب لحكمه ابتعث محمدا صلى الله عليه من خير ارومة العرب مولدا وافضل جراثيمها محتدا واطولها نجادا وارسخها في المكرمات اوتادا فايّده احسن تاييد واكّد امره افضل تاكيد حتى استقلّ الدين ناهضا واضمحلّ الشرك داحضا وظهر امر الله والمشركون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى وما طلعت عليه شمس الضحى وعلى اله الطيبين ثم تبين الله تعالى من بعده الخلفاء الراشدين الممهدين للدين وتوهين كيد الملحدين فبسطوا للاسلام بساطه ونهجوا لاهل الايمان صراطه الى ان تادّى الامر الى ذويه من ال رسول الله صلى الله عليه وبني صنو ابيه فاقاموا الاسلام عن اوده واسندوا الامر الى مستنده معتصمين

كمانع

بنصر الله صادعين بامر الله معظمين لحرمات الله هلم جرا الى ان
تاكدت بيعة الخلافة بامير المومنين القادر بالله فبهر نوره العالمين
وشفى ذكره على المنابر صدور المخلصين من بعد التوا من اظهر العناد
وانزوا من قصد الفساد وابى الله الا نصرة الحق واهله ودمغ الباطل
واذل اهله ولقد حدثنى محمد بن الفضل الحلوانى قال حدثنى
الصولى عن المبرد ان العباس بن ابى عبدون حدثه ان سعيد الخطيب
لما بايع الفضل بن مروان المعتصم بالله امير المومنين قام فى الناس فقال

بايعت منبسطا ولو لم ينبسط كفى لبيعته فقطعت بنانها
من ذا اليه لا يمد يمينه قطع الاله يمينه فابانها

ولو الذى خدمة امير المومنين ما يقارب هذا اذ بيناه كله وذلك
انه اظهر بيعته لو اردكتابه على حين التواء من التوى بناحية
بلخ وقال فيها

سبقت يمينى لحق بيعة قادر بالله لما حالفته يد الغدر
ماضر بيعته التوا من التوى والله مبرمها بكون الوتر
ولقد اتاه احق من وطى الحصى بوراثة الشم البهاليل الغر
فلاخلعن القلب منى ان ابى ولاقلعن العين ان زاغ البصر

وها انا قد ساعدنى توفيق الله حتى وطيت بساط امير المومنين

شاكرا لما انعم الله علينا بولى امير المومنين محمود بن سبكتكين
فانه فى رسمه كاسمه والله نسأل ان يديم سلامة امير المومنين
وان يبلغه امله فى الامير ابى الفضل ولى عهد المسلمين الغالب
بالله ابن امير المومنين ويمتعه بسعادة ابائه الراشدين واسلا نه
الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين قال فامر القادر بالله
امير المومنين بان تنسخ الخطبة فى جملة اخواتها المسطورة المخزونة
ولما ارجعت منابر خراسان بذكر القادر بالله امير المومنين
على ما اوجبته طاعة السلطان يمين الدولة لامر الله فى افتقار
محبته واتباع خليفته وحجته كاتبه بما راه من الافضا الى ابنه
ابى الفضل بعهده فى ولاية امور المسلمين من بعده وتلقيبه
بالغالب بالله ورسم توفيته واجب حقه والحاق ذكره
على المنابر باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه فاوجب
السلطان يمين الدولة مطاوعته فيما امر ومتابعته فى جميع ما رسم
فتقدم بذكرهما فى الخطبة ثم اثبت اسماهما على صفحات الفضة و
الذهب وسعد الى ذكرهما الدولة وضيا الملة من لدن اسلافه
الله بعضد الدولة ابى شجاع فنا خسره الى ان افضى الامر واستقر اليها
الملك عليه وفيما نطق به كتاب الصابى المعروف بالتاجى من وقايع

تاج الملة

عضد الدولة مع نخبتها الى ان اظفره الله به فقضى عليه بحد
حسامه وجرعه كاس حمامه واحتال على ابي تغلب ناصره
بعد انهزامه الى ان امكنه التدبير عليه بابن الجراح احد
المتغلبين من الاعراب على حدود الشام فنصبه لاقتناصه بمبار
اهداها اليه واطماع اكدها له حتى تغفله وقتله وحمل
اليه علاوته ما يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة
لسبيله وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة عند
اشتغال اخيه مؤيد الدولة بمحاربة حسام الدولة تاش وعميدها
ثابت في عساكر خراسان اجتمع اتباع دولته على ابنه صمصام الدولة
وشمس الملة فتابعوه متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين
واتاه الطايع لله امير المومنين في حراقة على ظهر دجلة بتعزيته
عن ابيه وقد ثار عوام الناس بنظارته حتى اذا قرب منه برز
اليه صمصام الدولة فخدم وجهه رسم الطاعة وحق الخلافة
وقال له الطايع لله نضر الله وجه الماضي وجعلك الخلف
الباقي وصير التعزية بعده لك لا بك والخلف عليك لا منك
فاذرى على خديه دموع عينيه وبادر الى الصعيد شكرا
لما من به عليه ثم انتصب منتصبا بيه فاجرى الامور على استقامة

وتدبيرها بسياسة عامة وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس
شيرزيل بن عضد الدولة غايبا الى مدينة واشهر من ارض كرمان
فلما بلغه نعي ابيه كر راجعا الى فارس وقبض بها على نصر بن
هرون النصراني وزير ابيه فاستوفى عليه حواصل اموالها وبقايا
اعمالها وامتد منها الى الاهواز فملكها على اخيه ابي الحسن احمد بن
عضد الدولة وغلب على البصرة معها وذلك في رجب سنة خمس وسبعين
ثم استعد لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه واستضافة لما في يد
اخيه الى ساير ما يليه ويحويه وسار حتى اذا وافاها تلقاه
صمصام الدولة بما اوجبه حق سنه عليه اجلالا ومهابة ومداراة
ومقاربة تفاديا من ضرر استيحاشه وعدوى شيطانه غير عالم
بان غمدا فردا لا يسع سيفين وقطرا واحدا لا يضم سهمين فقبضه
ابو الفوارس ورفع محله ثم خلعه وكحله وامر به الى قلعة
كيرستان من ارض عمان واستولى على المملكة ولقبه الطايع
لله بشرف الدولة وزين الملة فبقي على جملته سنتين وتوفي رحمه الله
تعالى في جمادى الاخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة وقام شاهنشاه
بها الدولة وضيا الملة ابو نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرد لضبط
الامور المايرة وتلافي الاحوال الحايلة وتكفل بالملك كفالة

خبيرا بالتجارب بصيرا بأعقاب العواقب وما لأ الأتراك بفارس
صمصام الدولة فأبرزوه من معتقله وحمله غلامه المعروف بسعادة
على عاتقه متحدرا به فملك فارس وما والاها وتتبع أموالها
فجباها ثم تنكروا له من بعد وقدموا أبا علي بن أبي الفوارس
عضد الدولة للرياسة عليهم ولقبوه بشمس الدولة وقمر الملة وجردوا
للدفاع عنه والدعاء إليه فانتدب لمواقعتهم إلى أن هزمهم أقبح
هزيمة وغنّمهم أقبح غنيمة فخنسوا إلى بغداد صاغرين خاسرين ازد
وتحرك بهاء الدولة لقتال صمصام الدولة فتناوشا الحرب وصالا
كلعوب الرماح ما بين المساء والصباح حتى جرت البصرة وتلاها
في الخراب أكثر كور الأهواز وقد كان أولاد بختيار محتبسين
في حصار بناحية فارس فاستنفر لهم طائفة من الأكراد الخسروية
عن معتقلهم موججين نار الفتنة باستنفارهم وفك عنا لسهم
فناصبهم الحرب مستكشفا شرهم ومستدفعا بأسهم وضيرهم
واختلفت به الوقائع بين تلك الفتن الثائرة والأحن الفائرة
فكانت عقباها أن أجلت عنه قتيلا وتدمر بهاء الدولة للحادثة
عليه فانتصر الجناة بطائلة حتى شردهم كل مشرد وطردهم كل
مطرد وألجأ أولاد بختيار إلى الجلاء عن تلك الناحية

وزعيمهم سالار بن بختيار الملقب بنور الدولة وكان من أمره
أنه اشتد عنها مدحورا مثبورا فاضطرته الحال إلى خفارة
التجار في تجاراتهم وإجارتهم على مراصد القطع ببضاعاتهم
على خرج يستعين من جهتهم به على مؤونة معاشه ورياسته وابتغى
بهاء الدولة جيشه وابتعوه بواسهم فغلبوه ووصلوا إليه فقتلوه
وحمل غلام منهم رأسه إلى بهاء الدولة فاستعظم الرحم الدانية
واللحمة الحانية من تسرعه على ملاقاته به فأمر بالغلام
فسلخ من قرنه إلى قدمه عبرة لمن أقدم على ملك بسفك دمه
وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب إلى بغداد لمراعاة
تلك الأعمال واستيفاء حقوق بيت المال فاستدت سيرته وحمدت
في العدل بصيرته وعم رفقه حجيج بيت الله الحرام فانطلقت
بشكره ألسنة الخاص والعام إلى أن قبضه الله إليه فسد مكانه
بوزير الوزراء فأربى على عميد الجيوش في الإحسان إلى
الكافة إصلاحا لهم ورفقا بهم وطرحا عنهم وصفت نواحي
فارس وكرمان لبهاء الدولة مضافة إلى سائر أعماله وتعذب العيش
القائمة عن سوقها في زمانه فعم الأمر والسكون وشمل الرفق
والهدوء واستراح عباد الله مما كان يقدحهم من وطأة الجيوش

وتخلصهم من معرة اختلاف السيوف وقد كان ابو علي بن الياس
قد ملك كرمان ايام عضد الدولة لال سامان واقام بها مدة
من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدافعه عنها مدافع وكان حبس
ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا من معرته للوثبة راها
في رايه واضطراب تبينه في وجوه شمايله واخايله ولبث عنه
مدة وهو يكابد بينها صبرا وشدة فاتفق ان اشرف سرب من نسا
ابيه وجواريه في بيت لصيق مكانه ودبرن له وجه خلاصه وعمدن
الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض وخلصنه بها عن معتقله وتسامع
اهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا عليه وانعطفوا بجملتهم
اليه مما لاقوه من ابيه من الجفوات بعموها بينه وبلغ ابا علي خبر
الحادثة فارسل الى ذوي المحارب والمثالب باعيتا عماد عاهم
فاظهروا الضجر بمكانه والبرم بطول زمانه وساموه مفارقة
كرمان ليستقر الامر على ابنه اليسع بطاعتهم له وتوجههم بموافقته
فعرك ابو علي قولهم بجنب المداراة والاحتمال في عاجل الحال ثم
جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال وكر عايدا الى بخارا مخليا
بين اليسع وبين تلك الولاية واقام بعقبه تتوين بن مهدي وبرس الحاجب
على خرمة اليسع وكفالة امره اذ كانت حداثته تقتضي استخلاف

الشيخ فتح حفظ على الشريعة ماها وعلى السنة ذماها وعلى
النفوس دماها وعلى الاموال نماها وعلى الحرم غطاها اعاد الله
به البلاد خلقا جديدا وانشا الناس نشا حديثا وعقد الملك
عقدا طريفا فما اولى يومه ان يتخذ عيدا ويجعل في المعرفات
تاريخا وليس العقد مع الله بانشوطة فاوفوا الله عهده كما صدق
وعده وانما عهده عند السلطان ان يحسن النظر وعهده عند
الشيخ الوزير ان يخلص المحضر وهراة من البلاد شيعة هذه الدولة
وعيبتها فان حط عن حملها العلاوة وازيل عن عنقها الزيادة
فلله هذا النظر ما احلى ثماره واكرم اثاره ولما وضعت هذه
الحروب اوزارها واناخت غرة النصر بوادرها سنح للسلطان
ان يكبح اعنته الى جانب الهند للايقاع بالمعروف بنواسه شاه
احد اولاد ملوك الهند كان نصبه ببعض ما افتتحه من ممالكهم
خليفة على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها اذ كان قد
استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك وانسلخ عن جلدة
الاسلام وراطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين والانصار
عن عروة الحبل المتين فعن من ثورده اليه وصب سيوفا تقطر
من دما مخالفيه عليه وركض اليه ركضا بادر افواج الرياح

قلم

واحتضن اوثان الاظلام والاصباح حتى نفاه عن مثواه وملك
عليه جملة ما حواه واعادها الى ملكها لبقاع بهجة ملكه وسلطانه
وحصد نجوم الشرك عنها بحدّي سيفه وسنانه فذلك برهان
من الله في اعلاء دولته واشاعة دعوته واعزاز نصرته وابلاج حجته
ويسّر الله له الانقلاب الى غزنة ظاهر اليد بنصر بيّن يجاذبان
فخامة وجلالة وتبيان نباهة وجزالة ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ه ذكر قلعة بهيم نغر
وقد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد ان فتح الفتحين
وافتتح الفتحين عرّج على غزنة للاستراحة والفراغ لشكر الله على النعم
المتاحة قام بها شاحذا عزيمته لغزوة اخرى يرتفع بها حدود
الاسلام ويتعفر لها خدود الاصنام وينكس عندها راية الشيطان
في رجل الغواية شدّه وحبل الضلالة مدّه اذ كان تقدمته
بنو منه خلاف الطباع البشرية في استخشان المضجع الوثير و
استحباب الشوك على الوثير واختيار قرع الاسنة والعوالي على
نقر المثالث والمثاني وترجيح صرود البيض القواضب على خدود
البيض الكواعب كل ذلك لمجد يبتنيه وصيت يعتنيه وعز يحويه
وسعي يتقرب به الى الله به وربه حتى اذا انسلخ شهر ربيع الاخر

لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا ومعتصما فخشي من هذا
المقال منه وامر به فنفي الى خوارزم وبلغ ابا علي بن سيمجور
حاله ومقاله فبعث الى جوبن من قبض على غلمانه واموال
فقتلهم واياها اليه غنيمة خالصة عن اذى الاعتراض والاشر اك
واصاب التبع بناحية خوارزم رمدا اقلقه واكمده واستنفد
وسعه وجلده وحمله الضجر بالالم على ان فقأ عينه اليمنى
وهي الرمدة بيده فسالت على خده وكان ذلك سبب هلاكه
وحينه ولم يخطر من اعقاب الاياسية بحدود كرمان احد بعده
وازداد باع عضد الدولة طولا وعزه وارتفاعا وسموا الى
ان ورثه بها الدولة وضياء الملة فاجرى امورها مجاريها المور ونه
في حفظ الاطراف وبسط العدل والانصاف ولما ملك السلطان
يمين الدولة خراسان وافتتح سجستان وحصل بين ولايته وبين ملك
الديار ذمام الجوار فاتحه بها الدولة بكتبه خاطبا لكريمة
وده على صداق قلبه المعمور بموالاته المقصود على تطلب مرضاته
ووصل ذلك بهدايا ومبار لا تفي بر حب صدره وعلو همته
وقدره فاجابه السلطان يمين الدولة الى ما خطبه واوجب له
مثل ما اوجبه واتحفه بما رمز الوداد واكد الاتحاد وقضى حق

المكافاة وزاد وتشوف الحال بينهما الى زيادة عصمة تحرزها
البيوت والمرابع وتشترك فيها الاقارب والاباعد فسفر مشايخ
الدولتين في تشبيك اللحمة وتوشيح اسباب القربة الى ان اتاح
الله من ذلك ما عم القاصي والداني فايدته وشمل الحاضر والبادي
نفعه وعايدته **ذكر وقعة نارين** فكان السلطان
يمين الدولة وامين الملة في سنة اربعمايه نشط للغزوة في ديار الهند
ينكا بها الشرك نكاية تقربا الى الله واحتسابا للمثوبة من
عند الله فنهض نحوها يجتث الحبول ويخترق الحزون والسهول
الى ان توسط ديار الهند فاستباحها واذل طغاتها ونكس اصنامها
وعرض على السيوف اعتامها وسار على هيئته نحو مقصده ووافق بعظيم
العلوج وقعة افاء الله بها عليه اموالا واعمه خيوله وافياله وحكم
فيهم سيوف اوليائه يحشونهم من كل سبب وقذفو وجردو ونهز
عند كل مهبط ومصعد ورد بهم الى غزنة فيما حواه من تلك
الغنايم الموفورة سالما غانما وامرا ظاهرا ولما راى ملك الهند
ما صبه الله عليه وعلى اهل مملكته من سوط العذاب بوقايع السلطان
يمين الدولة ونكاياته في نواصيهم ودانيهم وايقن انه لا قبل لهم
بثقل وطاته وخشونة جانبه ارسل اليه اعيان اقاربه وقرابيه

ضارعا اليه في هدنة يقف فيها عند امره ويسمح له بماله ووفره
ويجرد اوقات دعاية لنصرة على ان يقود اليه بادي الامر
خمسين فيلا يعد آحادها بامثالها على اجسامها وخفة اقدامها
ويحمل معها مالا عظيم الخطر كثير القدر مما يضاهيه من نفايس تلك
الديار ومتاع تلك البقاع وعلى ان يناوب كل عام بين الفين عسكره
في خدمة بابه بالفي رجل رادين وعايدين الى اتاوة معلومة يلتزمها
كل سنة يتمسك بها من بيت مملكته ويقوم في كفالة الملك
مقامه فاوجب للسلطان اجابته الى ملتمسه لعز الاسلام بذل طاعته
واعطايه الجزية عن يده وبعث اليه من طالبه بتصحيح المال ويقود
الافيال فنفذ ما وعد وقدم الوفا بما شرط وبعث من ضمن الجيش
الى بابه من خواص رجاله على جملة الخدمة واقامة رسم الطاعة
فانعقدت تلك الهدنة ودرت تلك الاتاوة وتناوبت القوافل
بين ديار خراسان وبلاد الهند في ضمان الامان وجوار الحيطة والحياطة
ذكر غزو غور اتفق للسلطان يمين الدولة فكر في جبال الغور
وتمرد اهلها وتمنعهم على عظم عن جلبة الدروس بنيان الاسلام و
المسلمين وحصولهم في المعقلة من غير حوزته والمركز من دائرة
مملكته وتاذي المارة والسابلة بعيث اوصادهم وعيث قطعهم

واسنادهم لاستطالتهم بمناعة جبالهم الشواهق وعجائب مسالكهم
المتضايقة فانف للدولة القاهرة ان تخليها على غلوائها وشدة
رتاجها فصمم العزم على تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع نعرة
الاستطالة من رؤوسهم واستلال وحرة العصيان من صدورهم واجلب
عليهم بخيله ورجله معوّلا على صنع الله وفضله وقدّم امامه
والي هراة التونتاش ووالي طوس ارسلان الجاذب وسارا متجشمين
مضايق تلك المسالك الى ان افضى بهم الدروب الى مضيق قد
غص بكماة الغورية ممن لفظتهم الذرى الناصية والجبال
المتباينة فتناوشوا الحرب تناوشا تباطلت فيها العوامل الا الصوارم
في الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان على حر الارهفة
حتى سالت نفوس وطارت عن الهام رؤوس وبلغ السلطان خبر
الفريقين فاقحمهم في خواص رجاله وجعل يلجيهم الى ما وراء ظهورهم
شيئا فشيئا ويملك عليهم ملاجئهم شعبا شعبا الى ان فرّقهم
في عطفات الجبال الشوامخ واخذتهم بقلل الراسيات البواذخ
واستفتح المجال الى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري فغزاه
في عقر داره واحاط به من جوانب حصاره وهي في قصبة تدعى
آهنكران وبرز في مائة الف او يزيدون رجالا كانما خلقت قلوبهم

من حديد واكبادهم من جلاميد يستانسون باهوال الوقائع
استيناس الظماء بماء الشرائع فصافوا عسكر السلطان من غدوة
بالبطش والباس ومبرزين بصوارم الاسياف وجعلوا يهرّون في وجوه — همهم
هرير الكلاب اغباها الغراز واحرجتها الاحجار فامر السلطان
بمداركة الشد عليهم على ما اوجبه حكم الاحتياط اذ كانوا
مستندين الى معاقل وثيقة ومعتصمين بخنادق عميقة حتى اذا
انتصف النهار علا وفاحشهم في مغامسة الحرب ومصابرة
الطعن والضرب اشار بتوليتهم الظهور على وجه الاستدراج
والاغتيال فاغترّوا بخدعة الانقلاب وانضوا عن مواقفهم
الى فسحة الفضاء لاغتنام فرصة الانهزام فكرّت عليهم الخيول
بضربات غيبت بذواتها عن اخواتها فلم تنقع منها واحدة
الا عن دماغ منثور ونياط مبتور وصرع في تلك المعركة الوا — حدة
رجال كهشيم الحنظل او اعجاز نخل منقعر وملك الاسر عظيمهم
المعروف بابن سوري بابنه وذويه وسائر حواشيه وافاء الله على
السلطان ما اشتمل عليه حصاره من ذخائر الاموال والاسلحة التي
اقتناها كابرا عن كابر وتوارثها كافرا عن كافر وامر
السلطان باقامة شعار الاسلام فيما افتتحه من تلك القلاع والرباع

فاصبحت بذكره منابرها واشترك في عز دولته باديها وحاضرها ورجع
بعد ذلك عن وجهه على نجاح البشر والنجاح والظفر المتاح وحين
رأى ابن سوري حصوله في ذل اساره واستباحة السلطان ودايع
حصاره من مخبوءه واستراح الى يدي دفائنه فامتص سما كان اودعه
فص خاتمه فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران
المبين *

ذكر القحط الواقع في سنة احدى واربعمائة

وقع القحط بنيسابور في هذه السنة خصوصا وفي ساير بلاد خراسان
عموما فهلك بنيسابور ونواحيها دون غيرها مايه الف او يزيدون
وعجز دون مبيتهم باطمارهم لضيق الامكان بهم وعجز الغسلة عنهم وكان
الناس ما بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون الخبز
الخبز ويذوبون على انفسهم حتى تفور اعينهم وتجب للموت
جنوبهم وراعوا نبات الارض حتى استحكم الياس عن الزروع وانقطعت
الاطماع عن الربيع وضاق بهم الامر فجعلوا ينبشون زبايل العظام
على رؤوس الكناسات تعللا بها ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع
عليها الفوج بعد الفوج عليها يتقاسمون جميعها بالكيزان والخزف
تسكينا لحرة الجوع واحترازا عن الموت ولم يزل منه احد
الا سقط لجنبه وجاد عن كثب بنفسه وعهدي بهم يتنازعون

الاقوات طمعا في سنابل حب الشعير وهيهات ان الشعير
لا عيا الانام فكيف البهايم والانعام ثم ترامى الامر الى ان اكل
الام ولدها والاخ اخاه والزوج زوجته فظل بعضهم يختلس
بعضا من شوارع الطرق الى الخرابات فيطبخ منه ما شاء من الباجات
وحرمت الاسمان على الناس لكثرة ما ظهر عليها من لحوم البشر
فبيع في اسواق البدو والحضر وقبض على اقوام بلا عدد كانوا
يتناولون السابلة فيصفونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم
ما يعجز العد من رؤوس الناس قد اكلت لحومهم وصهرت شحومهم
ط فاما الكلاب والسنانير فلم يبق منها الا العدد اليسير وهاب اوساط
الناس وارباب الحرف ان يختبزوا وان ينالوا العيش بمحلة ناجية
عن واسطة البلد الا في عدد وسلاح حديد واذكر ان فقيها
وجيها من اصحاب الحديث دخل على الامام ابي الطيب سهل بن محمد
الصعلوكي فسأله عن تطاول غيبته فقال لياخذ الامام عني اخذة
عجيبة رد الله علي بها روحي فضلا منه جسيما وصنعا كريما
اني تجعلت امر بعض العشايا وحيدا في شارع اشار اليه فلم ير غير
الا وكمند صار في عنقي وجذبت به جذبة ضيقت علي مختنقي
فبينا انا ممتد بمواتاة الجاذب ومداناته للسلامة على ضيق المخنق

اذ وثبت الي من بعض تلك الابيات امراة فضربت انثيي بركبتها
ضربة سقطت منها مغشيا علي فلم اشعر بعدها بشي من مصارف
اموري الى ان افقت عن الحس بعدما رش من وجهي وراني
فنظرت الى قوم اجانب يخادعوني عما دهاني ويكاتموني صورة
ما عراني فاذا هم ساعة دخولي الحجرة اذ ادركوني عائدين الى منازلهم
فهرب منهم من اشفق على قتلي واستباحة دمي وتركني برمتي
وخلي الموثق عنقي فصبرت ساعة الى ان استوفيت الافاقة
واستعدت القوة والطاقة وعدت الى المنزل وسقطت من
هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مدهوشا مبهوتا
وحرضا مسبوتا الى ان من الله تعالى علي باوايل الافاقة وزوال
اكثر ما كان مسني من الم الاعتلال فبكرت يوما احسست خفة
الى المسجد لاقامة الفرض وصعدت المئذنة على الرسم فلم استتم
التكبير حتى اختطف عمتي من راسي وهو زاد صاحبه فبقي
فاخطاها لما اراد الله تعالى جده من انساء اجلي واستبقاء مهلي
فعدلت عن الاذان الى الصياح بطلب الامان وجعلت لله علي
بعد ذلك ان لا اخرج مدة هذه السنة من داري الا والشمس
بيضا نقية ولا ارجع اليها الا وفي النهار بقية

وهذه هي التي ثبطتني عن الخدمة واقعدتني عن الرسم
في مشاهدة الجملة فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية و
سالوا الله حسن السلامة والعافية ٥ وحكى لي عن الاستاذ ابي سعيد
عبد الملك بن عثمان الواعظ احد الصالحين من عباد الله الموفقين
والساعين في مصالح المسلمين بانه نزل الى دار كان يسكنها
المرضى والزمنى من الفقرا وابنا السبيل في يوم واحد من ايام هذه
السنة اربع مايه ميت عن مرج الجوع والمخمصة على ان يوعز بتكفينهم
ودفنهم فاتاه حفاره الذي كان يقيم جرايات المذكورين من
جهته وهو في حيرته يذكر انه بقي في هذا اليوم لعينه مما كسد
على البيع اربع مايه من الخبز افسبحان من يقضي على من يشا بالفنا
مع امكان الاقوات ووجود الكفايات واكثر الناس في ذلك
الغلا والبلا منه قول ابي نصر الزاهي الكاتب ٥

قد اصبح الناس في غلا في بلاد نداولوه
من يلزم البيت يودي جوعا او يشهد الناس ياكلوه
لا يخرجن من البيوت لحاجة او غير حاجة
والباب اغلقه عليك موثقا منه رتاجه
لا يفترسك الجايعون فيطبخوك سكباجه

ولابن نجم العبد الكاتب الدوري من ترثم

وأمر السلطان يمين الدولة بالكتب إلى عماله ببث الأموال على
الفقراء والمساكين فاستبقى الله بها مهجات قوم قد أشرفت على الهلاك
وانتشلهم من بين حنك الاحتناك وبقيت تلك السنة على حالها
إلى أن أدركت سنة اثنتين وأربعمائة فمنّ الله بإزالة تلك الشدة
وأطفأ تلك النائرة المتقدة وتدارك عباده بعد استحكام البأس
بالغيوث الهامية والربوع الزاكية النامية ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم

ذكر ما أفضت إليه أحوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد انكشاف عسكر
الترك يراعي ما يتسع عنه تدبير ايلك الخان وأخيه الكبير
طغان خان إذ كان أخوه يمالي السلطان عليه لإيمان يزعم لزومها
إياه ومواثيق يدعي انعقادها عليه ويظهر البراءة على ألسنة
رسله من فعلات ايلك في منابذته ومكاشفته والتخطي إلى حدود
مملكته ويورك ايلك الذنب عليه في إغرائه بما أتاه ومكاتبته
في البعث على ما جناه ولما ظهر لايلك أن أخاه طغان خان قد جعله
عرضة للجنايد وقلده طوق تلك المكاشفة براءة منه وخذلانا إياه
وشفاء للعصاة واستلاما له بما كسبت يداه رأى أن يشتري به فيحسم

داء أخيه ويغسل بالسيف وضر جنايته فجمع جيوش ما وراء النهر
لقصده واستنفد أنواع مكره وغدره وسار حتى جاوز أوزكند
نحوه فسقطت ثلوج سدت عليه مسالك العقاب المفضية إليه
عائدا على آثاره لعنت المسير موهنا بناره وكان وردت رسلهما
في التنازع الذي تقدم ذكره فتراجعا القول في البراءة عن
جناية العبور وإحالة بعضهم على البعض في نقض المواثيق والعهود
فحلاهم السلطان في لغط القول حتى وصلوا آخر النهار إلى
برد الاشتفاء وأراد السلطان يمين الدولة بعد ذلك أن يراهم
فأمر بتعبية جيوشه وتغشية فيوله وترتيب العسكر سماطين عن
جنبتيه في هيئة لو رآها قارون لقال يا ليت لي مثل ما أوتي محمود
إنه لذو حظ عظيم وصفة مقامه أنه اصطف من غلمانه
بج على التقابل قرابة ألفي غلام من عقائل الترك في ألوان الديباج
من بين سود وبيض وحمر وخضر وكحل وصفر ويما يقرب من
موقفه خمسمائة غلام من خاصته على ترتيبهم في مثقلات الزرد
بمناطق من ذهب مرصعة بالجواهر وأعمدة من جنسه فوق الأكتاف
داه والعواتق وقد طاف بهم من عظام الفيول أربعون فيلا على المحا
غواشيها ديباج الروم بعصائب ومعاليق من الذهب الأحمر مرصعة

بكل جوهر ثمين وياقوت رزين ووراء السماطين سبع مائة فيل في
تجافيف مشتهرة بالالوان مشدودة بالحراب والمزاريق وعامة العسكر
في سرابيل قد حدث الشقوق وردت عن اجتلائها العيون وترتب
الرجالة امام الخيول في الترسة الواقية والجنن الحامية و
السيوف المرهفة والعوامل المثقفة وقام بين يديه حجابه كالبدور
في ظلم الدجون فانصب على قبايع سيوفهم هايبين قدره وناظرين
امره واذن لهولاء الرسل على هذه الهيئة حتى تلوه واقاموا من
رسم الخدمة ما افترضوه ثم عدل بهم الى الموائد في دار قد فرشت
بالمجلد غير الخنة مزينة للمتنعين معرفة للعارفين وفي كل
مجلس دست من الذهب الاحمر بين جفان واجوام واطباق كبار
قد نضدتها من صدره الى قدميه بما يشاكله من الاواني الفائقة
والالات الفاخرة الرايقة وهي الخاص مجلسه طارم قد جمعت
الواحه وعضاداته بصفائح الذهب وصفائحه وسقف بمسامير
من جنسه وفرش من الديابيج المثقلة ما لا تدرك الابصار منه غير
حمرة الذهب وفي الصدر مثقلة منسوجة ببيوت مضلعة ومسندة
يشتمل كل منها على نوع من الجواهر التي اعيت امثالها
اكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند واقيال العرب

وحوالي المجلس اطباق تجاوز من الذهب مملوءة من المسك الاذفر
والعنبر الاشهب والكافور العطر والعود العتق وهلم جرا الى
ما يملأ الانواع والايدي من ازجاج مصوغة وبرانيات مصوغة
وما يشبه الفواكه من عقيان وبدخشي وبهرمان الى اوان لم يسمع بمثلها
رقة اجسام ودقة صنعة واحكام وطاف على الرسل ولدان كانهم لدن
المنثور واللؤلؤ المكنون براح كالماء المعين ورضاب الخرد العين
الى ان اشفقوا من عثرات العقول فاستأذنوا للقفول وصرفهم السلطان
يمين الدولة بعد هذه المادبة وراهم بما اوجبته همته من تحقيق امانيهم
ورعاية حق الملح بينهم وبين الاخوان على جملتهما في المنافرة والمنا فرة
والمكاوحة والمكافحة الى ان توسط السفرا بينهما ففصلوا الامر
على ما كف كلا منهما عن صاحبه على ما سنورد ذكره في موضعه
ذكر فتح قصدار قد كان السلطان يمين الدولة يراعي ما يتجدد
من اخبار الاخوين ايلك وطغان خان فيما نشأ بينهما من الامر فلما بلغه اشتجار
ذات بينهما استخار الله تعالى في قصد قصدار اذ كان صاحبها
قد مال الى جانب المجانبة واخل بحمل مال المقاطعة اعتزازا بمناعة
مملكته واعتدادا بحصانة الطرق المفضية الى حلته وفصل السلطان
عن غزنة في سنة اثنتين واربعمائة الى بست موريا بقصد هراة حتى

استسرّ الاخبار بعزمه واستفاضت الاحاديث بظاهر امره ثم
ركض الى ناحيته قاصدا في الغلب الغلب من رجاله ركضة طوت
تلك الجبال الوعرة والمسالك الصعبة فلم يشعر صاحب قصدار
الا بغلمان السلطان حول داره قبل ان يكتحل بسواد نهاره او يحفل
لشدّ ازاره فنادى الامان الامان وبهذ بخدمة السلطان والتزمه
السلطان عشرين الف الف درهم من جملة ما كان لطابه من اموال عمله
فالتزمها ونقد اكثرها وقبض السلطان على عشرين فيلا ضخاما ما ليه
كان اعتقدها ليوم باسه وبوسه ووكل به من استوفى المال عليه
ورجع عنه بعد ان زعم حق طاعته وضراعته باستخلافه على ما كان يليه
وبسط يده في اطراف عمله ونواحيه ورجع عنه الى غزنة ظاهر
الحجة فاير القدحة غالب اليد وايادنه صنع من الله تعالى لمن
يجتبيهم من خيار خلقه لعمارة ارضه واقامة حقه والله يعطي ملكه
من يشاء والله عزيز حكيم ٥ ذكر الشار ابي نصر والوالد ابي نصر
محمد بن اسد والشاه بن محمد اسد وما افضى اليه امرهما هو
قد كان يلقب كل من يلي امر غرشستان بالشار سمة مصطلحا
عليها ينبئ عن معنى التمليك ورتبة الاجلال والتعظيم وكان الشار
ابو نصر والمعالي الى ان ادرك ولده الشاه وفيه لوثة مشهورة

فغلبه على الامر سنانه واستظهاره بمن شايعه من اصحابه فاعتزل
ابوه مخليا بينه وبين ما كان يليه ويبدو منه بالنظر والتدبير فيه وتشاغل
على دراسة الكتب ومطالعة الادب اذ كان بهما مولعا وبلذتهما
دون سائر اللذات مستمتعا وكان ينتجع الافاضل من اعماق البلاد
بغنائه منهم كل مبدع خطا وبيانا او مبدع بالهوى واحسانا
مما انتسب بغداد بغنائه ويشهد بابه حتى يستخصب جنابه ويستجزل
بره وثوابه وكان صاحب الجيش ابو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما افتتح
باب الاستعصاء على الرضي نوح بن منصور رام ان يستضيف ولاية الغرش
الى ما يليه وان يحمل من جانب الشارين طاعة لدى اوامره ونواهيه
فاظهر التمرد عليه كراهة لاختياره على ارباب الملك الذين اعطوهم
المقادة قديما وسلموا الطاعة لهم تسليما وادلالا بحصانة صياصيها
وقلاعها ومناعة حواشيها واشياعها ومحاماة الرضي على صون
طاعتهما وسوابق حرماتهما ان همّ ابو علي بمنازعتهما ملكا وراثة
وطمع في فضل مال اقتناه فلم يهنه ابو علي ان جرّد اليهما اناس
الفئة احداث دولته واركان دعوته في جيوش كثيفة وحول
على الآلاف منيفة فناهضهما في عقر دارهما وسوقا لاليهما وادع قضا
السماء شوامخ يناطح الجوزاء وسوغ للخادم تمرد على الملوك مرد

نخ

السموم على غلواء السلوك بتاجرهما في تلك المقامات التي تهدر عندها
بالرؤوس وتعشي على النفوس ويلجيهما من مضيق الى مضيق ويخعهما بزبوق
بعد فريق حتى اجلاهما عن قرارة بيتهما الى قلعة وردناها اسلاهما
في احريات هاتيك الجبال تزل عن اعاليها اقدام الفيوت وتخلق
دون مباينها اجرام الطيور وملك عليهما صحو رحباتهما وسهول
ديارهما ومحالهما بجميعها وتتبع ما ينسب الى كل واحد منهما بها
الى ان صدر الامير ناصر الدين سبكتكين صدر ابي علي واسترد ابا النصر
العتبة شغلا بالبادل القوم عن الشي وبالعقاب المنقض عن الكركي
وعلم ان قد اتى الوادي فطم على القري وانضم الشاران الى الامير
سبكتكين في نصرة الامير نوح فانتقما من ابي علي حين ولى هزيما وتولى
عما تولاه وانشاه حديثا وقديما واحتفل لجرجان لا يملك درانا
ولا عزيما ولم يزل بعد ذلك حالهما على جملتهما في الامنة والسكون
والجاه المصون الخان وورثا السلطان يمين الدولة خراسان حكما
لله في ارضه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما
اذعن ولاة الاطراف للطاعة والتزام حكم المبايعة واعطا
صفقة البيعة ورفع المنابر باقامة الخطبة وكلهم سمع واطاع
وبذل في الخدمة والقربة المستطاع انهض الى الشارين

في اخذهما باقامة الخطبة اسوة امثالهما من ولاة الاطراف وضمنا
الاعمال فتلقيا في تبوء الطاعة والحرص على الاقتدا بالجماعة
وامرا بالخطبة فاقيمت باسم السلطان بكور الغرش في شهور سنة تسع
وثمانين وثلثمايه وورد على الشارين كتاب المختار بن ابي مختار
عن هزيمتهم ويذكرون انهم على الاستعداد والتجرد للعاد فليظاهرهم
عن قرب ليأخذ من الانتصار ودرك الثار بنصيب فبعث الشار ابو نصر
بها الى درج رقعة افردني بها لتأملها وانفاذها باعيانها
الى السلطان ليستقر حاله في الموالاة ومخالفة ذوي المباراة
بالمعاداة فكتبت اليه في جواب رقعته تاملتها اطال الله بقا
الشار فوجدتها تدل على حدود قد عمد فيها سبيل الوقاحة بجدل
يتوعد صاحبه بان ينصر فكيه ان لم يكف عنه كيده وما احرى هذا
المعنى وبما اولى الله مولانا السلطان من الحسنى الا كما قال المتنبي

ولله سر في علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان

فان اقولهم انا على الانتصار وطلب الثار فتلك اما بينهم فهاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين على انا سواء

لئن كان اعجبكم عامكم فعودوا الى الحرب في القابل
فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القاتل

فان قالوا ان الحمد احمد فذاك ولكن لمن حمد البدى لا لمن حمد ذم ثم صادف
فيه ما سر الا ما ساء اعم وقد راوا في بذلنا بهم كيف شرقت السيوف
بدمائهم وخصمنا لسور في اشلائهم فان يستطوا ثانية فهاتيك
الصوارم ماضية والقشاعم ضارية وما اشبه حال القوم بما قام
به الاشعث خطيبا في قومه فقال يا قوم انه ما بقي من عدوكم
الا كما بقي من ذنب الوزغة تضرب بها يمينا وشمالا ثم ما تلبث الا ان
تموت وكذا المصباح اذا قارب انطفاوه توهج قليلا ثم لم يغن
ذلك من حينه فتيلا فالحمد لله الذي جعل سيوف مولانا تخطب
على منابر الرقاب اذ جعل السنة اعاديه تخطب فوق اسرة الاذقان
واليه الرغبة في ان يطيل بقا مولانا ما طلع نور من حجاب امس
وطلع شمس من قرار نفس منصورا على من نابذه وناواه ليودعه
من بطن الارض لحده ومثواه وعن كثب يرى النشار كيف
يفعل الله بالفاجرين ويلبسهم خزي الباغين ويردهم اسفل سافلين
وقيل وبعد فالحمد لله رب العالمين فكان الامر على ما حدث
وتفرست فان ابلك الجند اليهم فملك عليهم دار الملك بخارا
واخذ معظم القوم اسارى وشرد الباقون في الارض حيارى
ثم وطا الحضرة بصورة امر النشارين في الطاعة حتى دخلها

من الاكرام ما توقعاه وحليا من الاعزاز والايثار ما تطلعاه
وحضر الحضرة بعد ذلك الولد المعروف بشاه شار فصادف ما استحقه
من ترحيب وترتيب وحظ من الايجاب والايثار رغيب وغبر
مدة على هذه الجملة وهو بين الاعزاز بسمة الملك والتوسع
في الطبع ما يسلم امثالها عند الملوك على الهلاك وهو على
كل ذلك محتمل وبلطف القبول والاقبال مشتمل واستاذن من
بعد الانصراف وراه فصادف اذنا بالمبار الكريمة مشفوعا والى
الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا وعاد الى افشين قراره
بينه ومثابة عزه الى ان عنت للسلطان غزوة احب ان يحتشد
لها فضل احتشاد ويستظهر فيها بما حوله من قوة وعتاد وامرا
جيوش وقواد وامر بالكتاب اليه في استنهاضه اسوة امثاله تبعة
بخصوص حاله لثمرة ما افاض عليه من سجال افضاله فلم يره الخذلان
على المكان ولعنته مقادير واهية الاذكار وظل يتردد بين
الحران والاذعان الى ان حقت عليه كلمة العصيان فاعرض
السلطان عند ذلك عن تدبيره واقبل على ما اهمه من امر مسيره
حتى اذا دان له ما قصد وظفر بمن كند انثرد عاد بالفتح
خافقا لواوه والنجح شارقا ضياوه وجدد مكاتبة ايمانا له

من جبينه أن أوحشهما وأبا نصر وحشة أن لا يسهلوا استئناف الصنيعة
عنده من أن يخلد إنشاؤها أو ينقطع دون الماء رشاؤها فلم يزدد
إلا كفورا وإلا نفورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وعند ذلك جرد
السلطان حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش وفتاه والي طوس أرسلان
الجاذب فيمن ضمهم إلى جملتهما ورسمهم بالمسير نحو رايتهما المناهضة
الشارين واستهلاك الغرش عليهما وإحاطة وبال العصيان وكفران
الإحسان بهما فنهضا في العدة والعديد والبطش الشديد واستخلفا
أبا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ لمكانه من العلم بمعاطف تلك
السبل ومخارم تلك الشعاب والتلد فسارا إليهما في رجال قد كدمتهم
التجارب ونبتتهم النوائب يعجمون بأطراف القنا على الزرد بدل خلوق
ولو حوت الأبرود دما على الشارين تلك الناحية فأما الشار الكبير
الوالد أبو نصر فاستشف أسرار العاقبة واغتنم شعار العافية
ولاذ بالأمان إلى الحاجب التونتاش مظهر البراءة من فعل ولده
وصار علما بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه وتمرده وحمل
بشفاعته إلى السلطان في ملاحظته بعين من لم يرتكب جريرة
ولم يتعقل سريرة ولم يبدل في الطاعة والإخلاص سيرة فحدره
إلى هراة بين مرفهة اقتضته طاعته واحتياطا أوجبه خلاف الابن

وثمة أمنه وكتب بحاله إلى السلطان يورد في الجواب ما أمنه
رهق المؤاخذة وعنت المعاقبة وأما ابنه الشاه فتحصن
بالقلعة التي آواها أيام السيمجورية وهي التي سبق وصفها
في عزة الجوانب ومناعة المناكب وصعوبة المصاعد والسمو على
متون الغيوم الرواكد واستصحب إليها خواص غلمانه وخزانته
وسائر حاشيته وبطانته وقصداه أبو سعيد التونتاش وأبو الحارث
أرسلان الجاذب في الجم الغفير من أعيان القواد وأبطال الأفراد
وتقاسما أركان الحصار ثم قابلا المجانيق المنصوبة والعرادات
الموضوعة ومناوشة الحرب من جهات كادت حشاشات
النفوس من هول المقام أن تذوق كؤوس الحمام فتبادروا بوقع
السيوف والسهام وواصلا صبوح تلك الحروب بالغبوق حتى
هدما أحد أسوار الحصار فوضعاه بالحضيض من وقع الجلاميد
وصدم المجانيق وتسلقها أهل العسكر يحيز على سائر الأسوار
كالعصم عاقلة في شم الهضاب والأرانب هاربة من غضف
الكلاب واشتبكت الحرب على تلك الحال ضربا بالسيوف القواضب
وأخذا باللحى والذوائب حتى سالت المذانب من دم النجود و
احمرت المتالع من علق الصدور ورأى الشاه عند ذلك من هول

المطلع ما لم يكن ثم كان فدعا الامان الامان هيهات ان غضب السنور
اذا صاد دون نجح المرام ووجد المشتفي بالانتقام لم تورد الاذان
او يفعل افعالها وينال من ذلك الثار بمثالها ومازالت تلك دعواه
وهذه حالهم حتى اخذوه اسرا واستنزلوه عنوة وقسرا
واستبيح ذلك الحريم بما حواه من درهم ودينار ومال واستظهار
واخذ حاجبه ووزيره بل نديمه وسميره بل قليله وكثيره فوضع
عليه الدهر حتى اعنى بما عرفه من ذخايره وخبره من ودايعه وجلب
عامة اوليايه وعماله والمتصرفين في اموره اموالا حتى عروا
عن لباس اليسار وعزت اخلاقهم دون الاستدرار ووطع ابو الحسن
المتبعي عن ارتفاعات الغرش على ما علم ارتفاعاته منه قبل الشار فمكن
منها واستخلف هناك من يتقوى يده في عمله وسحر الحصار بكوتوال
بو ثوبا ماسه وجلده وبعث السلطان بعض خواصه لنقل الشار المأسور
الى حضرته على سبيل الرفق له من جهته فلما سلم اليه حمله في
وثاقه نحو غزنه وسمعت بعض الثقات انه اتفق للغلام ان
يكتب الى اهله بخبره وما لقيه في حالتي ورده وصدره وبشرهم
بمنصرفه فاستدعى الشار في عقاله وامره بتولي ذلك بخط يده
فانعم بتكرمة انه اظهر تشكرا وكتب ما هذه معناه ابيها

الجنبة الرحبة اترين اغفل عما اخذت به بعدي من جنايتي
في الغرائب ويمر بي ما خلفته عليك من مالي وتحيفته بانواع الفساد
لقد انهى الي جميع ما ركبته من فجور وشربته من خمور
وضيعته من مالي في كل منكور ومحظور وها انا عايد اليك
وايم الله لاصغرن الدهر عليك وعلى والديك ولادقن يديك
على رجليك ولاجعلنك عظة لربات الخدور في الدور بالدار
وكذلك ابيات الشتم حتى علم انه قد اكتفى وشفى ثم طوى
الكتاب ودفعه الى الغلام فطير به بعض ثقاته فقامت القيامة
على اهله وحفز عدوا سعى بهن وحرق من صورتهن وتكرن
في امرهن فوجدن اصوب الاراء تفريغ الدار وتقديم الاستتار
ففعلن ذلك ذاهبات على القلق بايتات على الجوى والقلق فلما
وصل الغلام الى الدار فاذا هي كالقاع القرق لا يلم بها نافخ
ضرمة ولا مغلق ودمنة ولقي جيرانه وسأل الجيران فاخبروه
بصورة الكتاب وما جنى من الفضيحة بالعقاب فدعا بالويل
ولعن الكاتب ومن والاه والكتاب ومن املاه واجمال
في زد العيال بضمان اكره واحسان جرده وبلغ الخبر
السلطان فضحك لاحتيال الشار عليه وقال كذا حقا من مثله

الشار كاتباً فوضع حرمته بالامس جانباً ولما حمل هو الى الباب
تقدّم السلطان بتجريده للسياط تاديباً له على ما اغفله من
حق النعمة وهتكه من ستر الحشمة فجرّد لها واخذته عذبات
العذاب فاخذ الضراعة والاستكانة وشكا الذلّ والمهانة
فلما استوفى التاديب حقه دون ان يبلغ التنكير منتهاه
والعقاب امده وملاه امر بانزاله واعتقاله في موضع يصلح
لامثاله وامر بمواساته والتوسيع عليه في اقواته من حيث
لا يشعر باذنه فيه وفيما اتاحه له من الترفيه كرماً سرى
في تضاعيف مزاجه ولا الخمر في عروق البشر او الماء في عروق
الشجر والتمس استعفاءه بغلام كان حظياً عنده فردّ عليه واعيد
بعض ما يصلحه اليه فاما ابو المقيم بهراة فاذن له في ورود
الباب ولوحظ بعين الاعجاب واتباع السلطان منهما خاص
ضياعهما بالغرس جلالها عن عقدة الشبهة واستضافة اياها
الى جملة ضياعه الملكية وامر لهما باثمان ما باعاه نقداً
صيانة لهما عن مسه الفاقة وذلّ الحاجة ورفّ الشيخ
الجليل على الشار ابي نصر جناح الاكرام حتى اتاه الداعي
وقام به الناعي وذلك في سنة ست واربعماية هـ ذكر واقعة ناردين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما استصفى نواحي
الهند الى حيث لم يبلغه في الاسلام راية ولم يتل بها قط سورة
او آية فرحض عنها ادناس الشرك وقشع دونها اغباش الكفر
وبنى بها مساجد يقوم فيها دعاة الله بالاذان الذي هو شعار
الايمان راى ان يطوي تلك البلاد الى واسطة الهند مستنيماً لله
بمجد توحيده ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالى نحده ووريده
محكماً فيه سيوفاً طبعت على غرار الاسلام وسقيت بماء الايمان
وصببت في قراب دين الله واستصحبت باذكى الاخيار الابرار
من اولياء الله منتدب الرجال ومرتزق الاموال واخلص البيض و
استنفر الواجد المعين ونهض في الطم والرم والليل المدلهم
وذلك في سنة اربع واربعماية وجعل المسير في اخريات الخريف
ثقة بطيب الهوا من جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلك
الديار ان سقطت ثلوج لم يعهد قبلها مثلها فسدت مخارق
الجبال وسوت بين الاباطح والتلال وكلح وجه الهوا كلوحاً
اثر في الحوافر والاخفاف فضلاً عن المحاسر والاطراف وضلت
مهايع الطرق فلم يعرف المبان من المباسر ولا المقادم من المآخر
واضطربت الحال الى الانقطاع الى ان ياذن الله تعالى في الانصراف

ولكل شيء حد محدود وامد من المقدور ممدود واقبل السلطان
على استيناف العدة والعتاد واستكمال الميرة والازواد
واستدعى اعيان الغزاة من اطراف البلاد حتى اذا امتدت العدة
والعديد وباهى العقد باخواته المزيد وتضام الناس كزرع
الخريف من كل وجه منشورا وعن كل اوب محثوثا ومحشورا
واقبل الخريف بطيب المقيل واعتدال برد الغداة والاصيل
استخار الله تعالى في الرحيل وسار كالبحر الاخضر تضربه
الاعاصير وللامر الحتم تحسبه المقادير فغدت وحوش الارض
ماسورة وطيور الجو مقهورة ولو احست الارض لرنت من ثقل
الحديد والمشي الوئيد وحث الابطال فوق القب الصناديد و
ساق امامه اذ لا يهتدون اعماق تلك البلاد ولا الشمس عليها
طالعة والنجوم بينها مستقيمة وراجعة وحث الركائب
شهرين بين انهار عميقة الاغوار بعيدة ما بين الاقطار وبواد
يضل في ارجائها اسراب البعائر ويحار في دهنائها الزواج
العصافير حتى اذا قارب المقصد عبى الخيول كتائب ورتبها
كواكب وقسمها مناسر ومقانب ونصب اخاه الامير نصر ناصر الدين
في الميمنة في كماة النواد وحماة الافراد وارسلان الجاذب

في الميسرة في البهم المذكورين والنزل الفحول وجعل اباعبد الله
محمد بن ابرهيم الطائي على المقدمة في مساعير العرب احلاس
الظهور وابناء الصوارم الذكور ورتب في القلب الحاجب
التونتاش وساير خواصه وغلمان داره رجال اذا اصطفوا
فالجبال الشواهق او زحفوا فالسيول الدوافق ونذر بهم
عدو الله ملك الهند ففزع من فاجى الفزع الى من حوله
من تكالوته واعيان جيوشه وناصريه ولجا الى شعب جبل
لجي المدخل خشن المتوغل صعب المرتقى والمتوقل مستعصما
بالاحجار عن البراز وبالاحتراس من الباس وسد ثغر الجبلين وقع
بفيلة له يراها الراؤون هضابا نابتة وجبالا ثابتة وبث النفير
في اقطار مملكته يستنهض من تحمل حجرا فضلا عمن يلقم
القوس وترا ويحسن بالسيف اثرا وهو في طول المطاولة لكي
يلقى بقوة وافية وعدة متوافية او يلجيا اولياء الله الى
الاخلال من فرط الملال او النفور من ضيق الصدور ولم يعلم
ان الله موهن كيد الكافرين وانه عز ذكره من وراء المؤمنين
ولما علم السلطان من نيته في ارجاء القتال وتاخير النزال
دلف الى عدو الله بقلوب قد صقلها التوحيد ونشرها الوعد

واندرها الوعيد وراماهم بالصيلم من رجالة الديلم والشياطين
من الافغانية المطاعين رجال كالاجال مطوحة بالشوس
مدللة للاعين الشوس واللبوث اخرجها الجوع واغناها الى
اشبالها الرجوع يتنادون في الاسداد ثبوت المناكب في الجدران
او كيارم في الحيطان ويبرعون البوارح كالوعول ويتحدرون
عنها تحدر السيول وواصلها عليهم اياما تباعا تجذبهم بصدق
البرار الى البراز جذب النار للسليط والمغناطيس للحديد فكلما
فادبوا تلك المضايق التقطتهم الفرسان كما يلتقط الافراس
بيادق ولم يزل هذه حالهم حتى انضم الى اللعين اكثر من
والاه ولاذ به معظم من دعاه احتشد للبروز مستندا الى الجبل
ومن حوله الافيال كالقلل فخذ المصاع واخذا لقراع وحمى
الوطيس واستوى المرؤوس والرئيس وصار للقاء كفاحا من اخذ
بالتلابيب ومنازل كالعقايب ومضارب ما بين الرؤوس الى
الترائب وكلما اشتبكت الفيلة للتهويل والتخييم والحطم
بالاظلاف والخراطيم مطرتها سحائب الزانات ملتوية كالاراقم
منسابة الى حدق العيون ونغر الحلاقم وراى الكافر
موقع ابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي من العناء وصرامته

بالبسالة الدماما فانتحاه باحشد من في جملته شوكة واعظمهم
شكة حتى الحتوه صدما على الهام وحطما من خلف و
قدام وهو كالحزون الثابت لا يميل شرف مقامه ولا ينكل
دون المضرب بحسامه منشحا بالروح في نصرة الدين وطاعة
رب العالمين وراى السلطان انخاد الكفر عليه فامده
بكوكبة من خواصه واستخلاصه فاستنقذوه الى السلطان
ممشوقا بالسيوف منقوطا بالاسنة كالحروف وامر له بنبيل
يستريح الى سعيه عن الم الجراح بجوارحه فصار ملكا
له يتميز به عن اعيان عسكره ولم يزل الحرب على حالها حتى
اهب الله ريح النصر لاوليائه وادار دايرة السوء على اعدائه
فاخذتهم سيوف الحق تحتهم بين كل مصاد ومنعطف وواد
ومدخل ومغار ومعشب ومنار وملكت عليهم الفيلة التي
اعدوها حصونا وافية فصارت عليهم عبانية باقية وافاء الله
على السلطان واوليائه غنائم رحضت الصدور عن غل الحسد
لاشتراك الكافة في الغنى المقصود واستواءهم في كفاية
الموجود وفتح الله ناردين فخاطر به شعار الاسلام اذ لم يبلغه
راية الحق من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد السلطان

يمين الدولة غزاة كتب الله له على يده وصنعا اتاح له التوفيق
والتيسير من عنده ووجد في بيت بُدّ عظيم حجرا منقورا
ذات كتابة على انه بني منذ اربعين الف سنة فقضى السلطان
من جهل القوم عجبا اذ كان اهل الشريعة الغرّا والحق المنزل
من السما على ان مدة الدنيا سبعة الف سنة وانا نتهاني الالف
الاخير وكل ما تناذرت به الاخبار من امارات الساعة موجود
وبابصار العيون وبصاير القلوب مشهود واستغنى به اعيان
العلما فكل اجمع على انكار تلك المنقور وعلى تزييف مثلها
من شهادات الصخور وعاد السلطان وراه بتلك الغنايم العظيمة
تكاد عدد الارقا من العبيد والاما يزيدون على عدد الدهما
ورخصت فيهم المماليك فصار اصحاب المهن الخاملة فضلا عمن فوقهم
من السوقة يعتقدون عدة من تلك الرزوقة وذلك فضل الله
اعز به الدين واذل الالحاد والملحدين والحمد لله رب العالمين ٥

ذكر وقعة نانيشر وقد كان انهى الى السلطان
ان بناحية نانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب
وان صاحبها غال بها في الكفر والجحود وغير الجهد في الطغوى
والعنود وانه محتاج الى ذوقه من كاسه وحرقه من جمرات باسه

ليعلم ان عز الاسلام عام وان له من سطوة الله سهما كما
لساير اقبال الهند سهام فعزم السلطان على غزوه اليه برفع
بهار ايات الاسلام وبنسخ معها ولايات الاصنام ويدع المكفر
عليها محيوب الغارب والسنام وسارت اوليا الله الذين
قد نشاوا على الفراغ نشا الاطفال على الرضاع وضربوا
بدما الكفار ضراوة الصقور ببغاث الاطيار وقطع الى المذكور
اوديه لم يقطعها قط غير طاير او حيوان عابر وخرق سباسب
لم يطاها نعل ماش ولا نعل حافر وجهدهم في تلك العقاب
علالات الشفاه وبلالات الافواه فضلا عن ساير الاقوات
حتى صنع الله لهم بان بدو امنها الى فضا يفضي الى ناحيه
المقصود ودونه نهر صخاب الدفه طراب وصفاح كخطى
السيوف حداد يلقى بشاطيه شعب جبل قد اسند اليه الكافر
مستظهرا بفيوله ومستكثرا بافناد رجاله وخيوله فاحتال
السلطان لقتال عسكره في مجاوزة النهر الى اعدا الله
الكفرة والفجرة حتى عبروه من طريقين شغلوهم بالباس
من كلى الجانبين ومهما جد اللقاح بين الفريقين امر السلطان
بحملة على الكفار في مخاضات النهر الهايل والما الصخب السايل

يزعجهم عن طرف المناحل وتقحمهم اشداق تلك الشعاب والمداخل
واشتدت الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر وبالقواضب في المناكب
واولياء الله في كل حال ظاهرون والكافرون هم الصاغرون
حتى اذا كاد يهزم شباب النهار حمل المسلمون من جميع الجهات
حملة اوجرت بهم لهوات تلك المخارم مضطرين تخلفوا الفيلة
التي كانوا بها مغترين وتبعها اولياء الله بدون الاعظم
فالاعظم منها الى موقف السلطان فلم يثنهم الا ما جد به في
الهرب او ضاق دون اقتناصه مجال الطلب وصب من دماء
اولئك الارجاس ما نجس به النهر الحاجز على طهارته وامتنع
من الشرب على غزارته ولولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم
الويل اكثرهم صنعا من الله لدين بعث به رسوله المصطفى
صلى الله عليه وعلى آله الذين ارتضى مظهرا له على الدين
كله ولو كره المشركون فهو على الازد باد الى يوم التناد
وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا وظاهرا منصورا
ومحمودا كاسمه ماجورا وقد غنم ما يكل عن ذكره انامل
التحرير ويضيق عن اثباته ادراج الاضابير وتطايرت البشاير
به في الافاق وخفقت عليها اجنحة الغروب والاشراق

والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين
ذكر الوزير ابي العباس وما انتهى اليه حاله الى ان مضى لسبيله قد كان الوزير
ابو العباس الفضل بن احمد من خاصة فايق الملقب كان بعميد الدوله
ومن كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على البريد بمرو ايام سالا رية
السلطان بنيسابور فتمنى الى ناصر الدين سبكتكين خبر قوته وامانته
فكتب الى الرضي يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله
وتدبير امواله ورجاله فاوجب اجابته الى ملتمسه وخرج طب بالبدار
الى نيسابور على مقتضى مثاله فاعتمده السلطان للوزارة
واستكفاه مهمات الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل
شمس الكفاة ابي القسم احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة
واصالة واصابة وصرامة ودرابة وحماية وجباية اذ لم يكن
على طراءة شبابه بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى
ذكاء وادهى دهاء غير ان الامير سبكتكين جنى عليه في ابيه
عند اعتماده لوزارة بست وتدبير اعمالها واموالها جناية
سبق السيف فيها العذل صفحا منه الى غدراته فيما شفعوه فيه
من رفيعه ولفقوه عليه من سعايته ووقيعته فاستوحش منه
استيحاشا من بادرة فعله والمسيء نفور القلوب عن ذوي الاساءة

صدور وكره السلطان الاستبداد على ابيه في ايقضائه حسب
ارتضائه واستكفائه دون المحذور من وفائه طاعة له في اختياره
واتباعا للفلك رأيه تحت مداره وقضى الله ان يكون ما يليه حتى
تعترف خراسان بانه عذيقها المرجب وجذيلها المحكك بتتبع
ما يفسده الغير بالاستصلاح ويستدرك ما اخرضته يد
الاجتياح ويداوي كل حال بدوائه ويرد غابر الماء الى
حاله فاجرى الوزير ابو العباس الامور مجاريها على جملة لم يعرف
فيها غير الجباية والاستدرار وقصد التوفير دون الاستعمار
حتى جنى ما لا عطيما سنين عدة اذ كانت خراسان بعد
مكسوعة باغبارها لم تشرف منها دواعي اللبن ولم يترع عنها
كوابي السمن فلما احتلبها اشرافا واستنفد ما في ضروعها
اسرافا ومن قبل ما قد حال بينها وبين خصب المراتع وبرد الموارد
والمشارع وضعفت لما على ما في ظهورها من فضول دسم وسحت
بما وراء اعطانها من نقي مقتسم حتى صارت من فرط الهزال
والعجز كالاهلة المحنية بل الاخلة المبرية وتداعى بالخراب
معظم الضياع ودفنت المنى بين القصور والانقطاع وشرد
في البلاد اكثر الاكرة والزراع بعدها اخذ الجار بذنب

الجار والزم القار مؤونة الفار حتى نمت البلوى وعمت الشكوى
وشملت نوائب البوس وذهبت حرائب النفوس وصد منهم سنة
القحط بعقبها فصار الغني محسودا والمتوسط مفقودا والفقير
مقبورا وكان امر الله قدرا مقدورا وبقيت في رقاب خراسان
بقايا كل متعذر ومنكسر وتاو ومتحير لو اذيبت على
اخر نقرة منها لم تف ببعضها فضلا عما جمعته اقلام الاستيفاء
منها فاظهر السلطان ضجرا من تحير الاموال وتراجع الارتفاعات
وطالب الوزير منها بما اقتطعه والغواه وضيعه وهو يرجع
القول على سبيل الدالة من البراءة والاحالة بما هما عظة العتب
بثقافة اظهر الاستعفاء وجلب الى نفسه البلاء واسلم النفس
اختيارا واثر الحبس قرارا وتوسط الملا بين السلطان وبينه
على ان يجبر بعض المنكسر من خاص ماله مما استفضله طول الايام
وذاته بين مرافق اعماله فابى ان ينزل عن درهم الا بعزله وحبسه
الى من قلاعه صنيع المتبرم بالعهد المنتقض بالامل المستسلم
للبلية المحكك بالمنية واختار عند ذلك السلطان
الدهقان ابا اسحق بن محمد بن الحسين وهو اذ ذاك رئيس بلخ لصحابة
الديوان واستنظاف البقايا على العمال والسكان والنهض اليها

سنة احدى واربعمائة فانحدر الى هراة وجبى من الاموال
ما درّت اخلافه ولانت على المس اعطافه ولم يلبث الا يسيرا
حتى حمل حملا كثيرا والوزير ابو العباس يغدي صدر الوزارة
والشيخ الجليل ابو القسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل
السفارة ويروم استصلاحه اياه كي يشتد به مكانه ويستند
الى عرض لاستيفائه شانه وهو يابى سوى اللجاج في الفار
التولع عن حد المزاج حكما من الله لم يسع ردّه وقضاء سابقا اعيى
العالمين صدّه وما زالت هذه حاله وما المضدّ على مابه من صيغة
الغدر الى ان ركب نفسه الى قلعة غزنة مستترة وخابر عمه
الى الاعتقال عما تولاه وتشبحا بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع
مثله رجلا يشترى الحبس اختيارا ويستقبل صرف الزمان
وغاظ السلطان ما اتاه فاستبدّ له الخط بغرامة ما جباه على
اموالهم ورعاياه فبذل خطه بمائة الف دينار ثم لم يزل يستبد
الى ان عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه السلطان
لحبوة رايته على ظاهر افلاسه وهو على اعلانه ذمه ان وجد له
على الطلب مال مفرقا او مجتمعا او مدفونا او مستودعا
رتبتى على حملته بتنايه اولاده مغنى عن الارهاق في التعنيف ومصونا
عن التحامل والتكليف

الى ان ظهر الى ما ذكر له مال عند بعض التجار ببلخ وديعة
فاخذ وامر بوضع الدهو عليه لاستيفائه واستخراج ما ورا فاه
بنفسه ود مايه وما بقى من موجاهه ومايه وانبعث السلطان
غزوه حالت بينه وبين مشاهدة حاله واستبرا ما يصدق
او يكذب من مقاله والدهو يستمر به على الدوم ويتلاشى
يوما بيوم حتى اتاه اجله وحاق به ما كان يستعجله وذلك
في سنة اربع واربعمائة ولما عاد السلطان وراه ساه ما سمع
به وهيهات ابن من المساه روح مطموسة ونفس بين اطباق الثرى
مرموسة كذلك من اثر المخلوق على الخالق ولم يعتبر بالماضين
في الزمن السابق وقد كان له ولد في صدر وزارته يعرف بابي
القسم محمد بن الفضل فبرع على ميعة الشباب في وجوه الفضائل
والاداب حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض
نظمه ونثره فمن شعره قوله في ابيه من قصيدة

لقد ارتقى ابو العباس جودا على جود الربيع لمعتفيه
لمن اخرى بذيه بمات فوم ومن في الاخرى الحيوة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا وذلت فقل من في سواه ترتجيه
واثل لحولك الاقبال حتى غدا بصر او انت المرء فيه

فتروا المنبر من سعيد ابن ابي الحدرى عنبر رحمه ه

ولــه احجيه ٥٥

وذخيرة قاصت الى القوم بضيه لتنكحها من كان يعشقها قدما
فقام اليها واحدا بعد واحد ولم يرد بيا وبعلهم لا والا اثما
وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنية انضر ما كان
عودا وابيته عمودا وابهره سعودا واحمده قياما وقعودا وحكى
لي بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروي بيتا تلقفه في المنام وهو

ارى الدنيا وزخرفها تدور على اناس من اناس
فلا تبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاس

نتطير له منه ولما قضى نحبه زاد ابو الحسين الموصلي الكاتب فيه ابياتا وهي هذه

ابعد محمد بن الفضل ارجو امانا لي من الدهر العماس
اساس الفضل كان به فاودى وانتقض الفضل منهدم الاساس
فتى في نثره والنظم اوفى على ابن نوابة وابي نواس
راى في النوم معجزة جرير بقصر دونها ابو فراس
ارى الدنيا وزخرفها ككاس تدور على اناس من اناس
فلا تبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاس
سأحفظ عهده ما دمت حيا وحفظ العهد من كرم النحاس

ورثاه بعض اهل الفضل فقال

يا عين جودك بدمع ساجم على الفتى الخراساني القسم
قد كان ان يهدمني فقده لولا التسلي بابي القسم

ويسد الله مكان الماضين بابي الحسين علي بن الفضل المعروف بالحجاج
بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره وجود
موكل بانتشار امال الاحرار صوره في السن حصانة الكهول
جبار الراي في شجاعة السيول ادهم الباس في غرة السماحة
قدم الجبائي في ذلك الفصاحة يدرب لاعمال الجوزجان فدرت
على ابساس ولابنه ونزل الى اعمال نسا فضاقت عن فضفاض
كفايته بصون الاعمال صيانة عرضت عما بصدنه ويحيي الاهوال
احياه شرف ابيه ويميت بدع الرسوم اماتته ذكر اباديه

يسمو الرجال باباء وفيه تسمو الرجال بابنا ويزدان
كم من اب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

ذكر غرائب الشيخ الجليل لابي القسم احمد بن الحسن قد كان
الشيخ الجليل ابو القسم احمد بن الحسين يلي ديوان الرسائل للسلطان
ايام سالارية خراسان وهو الكريم نسبا العظيم حسبا العريق مجدا
وحريته الموثق رايا وروية تنادي عليه اقطار الارض بفصاحة القلم

وسماجة الشيم ونفاسة المشيم واحتقار الدينار والدرهم ودرجة
وناوه للسلطان على تضاريب الاحوال الى ان ولاه عرض عساكره فى اقطار
ممالكه وزاده اعمال بست والرخج وما والاها باموالها وارتفاعاتها
علاوة على ما ولاه فقام بجميع ما تولاه قيام من وفقه الله وحدا عليه
جوده بنى الامال من اطراف البلاد توسعهم جداه وتغمرهم نداه وكتبت
له امانا من الفقر براءة فاقتام روقته فما يومن بالمعجزة الصادعة الصادقة
الا من شاهدها عيانا واستغنى عن دلائل احسانه عليها سبرا وامتحانا
وكان الوزير ابو العباس لا يصدر عن رايه ولا يحتشم غيره فى تصاريف
عزماته والخابه لفخامة شانه ومكانته المعمورة من سلطانه
ووساطته بينهما فى معظم ما يزجيه ويرجيه ويجنبه وينفيه
ويذره ويأتيه ويقدره ويفريه ولما وهت عليه قوة امره وانكسرت
سورة جمره اتفق للسلطان ان يرحل نحو ناردين فى الغزوة التى تقدم
ذكرها استخلف الشيخ الوزير على مهمات بابه وامداد صاحب
الديوان فيما يليه ويجبيه بصواب رايه ويعينه على مواصلة الحمول
عن مطارحه ومغانيه وهو متسم بالوزارة غير متسمى بها الى
ان اتفق للسلطان استدعا صاحب الديوان فى عمال خراسان لرفع
الحسابات وتقرير المعاملات فنهض اليه كل رئيس ومرؤوس

وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول وسمين ومهزول قد اتخذ
الطعم والقضم حراما ووضعوا الارواح على الراح توكلا واستسلاما
ووافق وصولهم ركضة عزمها السلطان الى الهند بسبب عليهم
لاذناب عسكره بما راه ووكلهم باستخراجه فى مدة يومين لاهمام
الركض وضيق رقعة الوقت فعصبوا عصب السلم وسلخوا اسلاخ
الغنم واقيموا على جمر الظلم الضرم ونكسوا على الهام والقمم
حتى اعتصر وهامنهم عن تضاعيف اللحم والدم وعندها صب السلطان
على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات الامارة وامره
بمحاسبات العمال ومطالبتهم بما صار فى ذممهم من الاموال محكما
فى الحل والعقد مخيرا بين الاخذ والرد وسار السلطان نحو
مقصده واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب الامور و
نظم المنثور ووظف الاموال وصرف العمال ورد صاحب الديوان
ابا اسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما يلزمهم من حاصل
وباق وعتيق وناض وقعد فى الدست كالبدر المنير والسيف
الشهير منفردا بالتدبير محتشدا لروعة الملك وهيبة السرير فلما اتفق
عود السلطان الى قرارة عزه وشاهد الامور فى كنف وزارته منظومة
الفتوق مضبوطة الحدود والاموال وافرة الربوع حافلة الضروع

ورسم له ان ينحدر الى خراسان مستنطقا ما هي او وهو صاحب
الديوان في جبايته واستيفائه وتقصيرا وقصر عن بره ضه وامتزاجه
فانحدر الى هراة وهيبته تأخذ النفوس بمخنقها وتختلج القلوب
عن معلقها ويكاد ينطق لكل مال محرون ويلفظ اليه
كل درهم مدفون فجمع عن نسخ الشرس ما جمعته واستكراهها
عما سعته ما لا لم يسمع بمثله محمولا من خراسان اذهابا واوراقا
وعصابا وفانا وعلما نارشا فادا فرأى اساعثا فانا وتلاف الرتابع على
صاحب الديوان بما ناله من صنوف المنافع ووجوه المطامع فسامه
السلطان بصحيحها شيئا وحملا الى بيت المال فرتبا باعتز له
العمل ونزله عن كل ما حصل ونزع من بعد الى خاص املاكه وضياعه
ومواشيه وكراعه وجملة اثاثه حتى حلى اثاثه فحل ما اعتقده
فيها على مال مصادرته وما جمع عليه من نقايا عمله وكان الوزير
ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعرفها في سالف
الايام ولم يرض بنانه بخدمة الاقلام فاستقلت المخاطبات
مدة ايامه الى الفارسية حتى كسدت سوق البيان وبارت
بضاعة الاجادة والاحسان واستوت درجات العجزة
بالكفاة والتقى الفاضل والمفضول على خط الموازاة ٥

فلما اسعدت الوزارة بالشيخ الجليل اسعد الله به جدود الاماني فصل
ودرديمكانه حدود الفضائل ورفع الوية الكتاب وعمر
ابنية الاداب فجزم على دساجه ديوانه ان يتنكبوا الفارسية
الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه عن فهم ما يعرب به
عليه وطارت توقيعاته في البلاد ولا شوارد الامثال وابكار
المعاني من القصائد الطوال ففي كل نادي تديا بالحانها وفي كل
مشهد شهادة باستحسانها فاما الشعر فقد نشر عليه لجوده
واسعد به جدوده ونشر بالعذب الروا صحوده فارباب الاعادب
تغريدا بمناقبه والقماري تسجيعا على الطرب المادي من ضرائبه
فهو بعدله في الناس غياث ورحمة وبفضله لاهل الفضل نعمة
وعصمة وانفرد بتدبير البلاد والعباد بناء على الاساس وطلبا
على الابتسار واحالة على الايمان ونكاية بالاساءة والاحسان
واسوا الخراج القلوب بمراهم الترغيب وانكار المعروف العمارة
سابق التخريب واشارة على السلطان في امور مملكته بما يفيده
عاجل التوفير واجل الثواب الغزير لاجرم انه اسندت الامور
بعنايته واشرفت المعقود على ارائه وكذلك من كان
على العلم ابداده واصداره وعلى البصيرة ايراده ومداره ٥

ذكر شمس المعالي قابوس وما تم عليه من الخلع وانتصاب ابنه فلك
المعالي منوچهر منصبه ووراثته ملكه

قد كان ذلك الأمير على ما خص به من المناقب والرأي البصير بالعواقب
والمجد المنيف على النجم الثاقب مر السياسة لا تستساغ كأسه ولا تؤمن
بحال سطوته وبأسه يقابل زلة القدم بإراقة الدم ولا يعرف
في أدنى درجات العثار وإن تصدى له مراد ولم يشترك في كسبه
اعتقاد غير حز الانتقام بحد الحسام والفلق عن مركب
الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف معنى السوط والخشب
ولا يرى الحبس إلا ما بين الصفائح والترب وهلاك على خشونة هذا
المرء وصعوبة هذا المطمح فيام من حاشيته لو استقام على جفة
أجرامهم لكان أليق بالإصابة وأعدل فما زالت هذه حاله حتى
استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه وتحنت الصدور
عليه ومالت عنه الأهواء المائلة إليه إذ كان أحد لا يأمن العثرة
ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب يلحقها بالخطأ اليسير صارت
النفوس بجملتها والأرواح مستباحة والمرء بالشر لا مرتزوف
الشجر نوازلات مرفات وليس كما يعود إذا أعري العود وأسبق
ان حاجبا له كان يعرف بحاجب نعيم وهو أحد الكراجلة في خدمته

بقيه

جرجان عدم الغاية والعادية سليم الناحية من بين أشباه الحا
وكان اعتمده لضبط استراباذ وسياسة رعاياها فرفع إليه أنه طمع من بعض
رعاياها في مال وطمح إلى الاستيلاء منهم بمال فأمر بقتله وتعليقه
عن خط رقبته وهو يستغيث متنصحا ببراءة ساحته ونقاء جيبه
وراحته وزاد ذلك في إيغار الصدور وإضغان القلوب وتوازر
عند ذلك أعيان العسكر على خلعه ونزع الأيدي عن طاعته ب
كفاية النفوس شغلها بثقل وطأته وخشونة سياسته ووفق
هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان إلى المعسكر بجناشك اسبند
اسبيد الأهواء بها عن لفح الحرور وعند طلوع الشعرى العبور فعمي
عليه وجه الصورة وشذ عنه علم تلك المشورة فلم يرعه ذات
ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم
أفراسه وأمواله وبغاله ومرامهم قشره واستنزاله فهم في وجوههم
من كان من ولاة بقيامه فحامين من ورائه حتى اكتفوا عنه
صاغرين ولولا على أعقابهم داحرين ومالوا إلى جرجان فملكوها
فملكوها عليه معلنين شعار العصيان لابسين عار الكفران
وبعثوا إلى فلك المعالي منوچهر بن قابوس وهو بطبرستان
يستحثونه على الورود لعقد البيعة وزفاف الملك إليه فطار

اليهم بقوادم العقاب استعظاما للحادث بابيه واكبارا لما نفذ
من المكيدة فيه وطمعا في تدارك الخطب وتلافيه فلما دنا منهم
مضربه توافقوا على طاعته ان خلع اباه وابتزازه رداء الملك اذ اباه
لم يجد في عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما استمر ورشا على
ما استعر وصونا لستر الحشمة من الانخراق وابقاء على سلك السداد
من الانبتات واشفاقا على البيت من الضياع وعلى الملك من التخطف
والانتزاع وقد كان شمس المعالي لما سمع بنبا القوم واجتماع كلمتهم
على الخلع عطف بمن كان معه من رجاله ومال الى ناحية بسطام
ناظرا ما يسفر عنه عاقبة التحزب وينتهي اليه ثائرة التقلب و
التوثب فلما تسامعوا بنبايه استكرهوا منوجهر على قصده وازعاجه
عن مكانه او رده فسار معهم مضطرا او دافعا بالشر شرا اكالجم
لما ان قد استاد الريح على صخرة استناخ فلما وصل الى ابيه
اذن له دون من يليه من اتباعه وحواشيه اذ قام دونه من خاصته
رجال يرون الموت دون خذلانه والروح وقفا على شكر احسانه
فلما وصل اليه كفر طاعة وخضوعا واسال اودية الشؤون دموعا
وتشاكيا صورة الحادث وتذاكرا حق الموروث والوارث
وعرض الامير منوجهر ان يكون حجابا بينه وبين اعاديه وان ذهبت نفسه

فيه ورأى شمس المعالي ان العارض قد صار امره وختام عمره وانه
احق بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلم خاتم الملك
اليه من يده واستوصاه الخير به ما دام في فسحة من امده وتواضعا
على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة الى ان يأتيه
يقينه فيسلم له نفسه ودينه وان ينفرد منوجهر بتدبير الملك فريا
وتقديرا وتقديما وتأخيرا وقد مت اليه عمارية على هذه الجملة
فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته على ضروري
مصلحته وعطف منوجهر الى جرجان فتولى الصدر وضبط الامر واخذ
يداري القوم ترغيبا وتطميعا ويمنيهم الاحسان جميعا وهم على جملة
التوحش والنفور ما دام شمس المعالي في فسحة البقاء وزمرة الاحياء
وما زالوا في الاحتيال عليه حتى فرغوا من امره وسلموا الكاس عمرو امر
عادية شره ولم يرضوا به وهو في صوان الاموات حتى لينتزعوا عن
محياه رداء رداه وطابوا نفوسا حين عدموا مولاهم شمس المعالي
فابوسا وواروه في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظهر جرجان
على سمت خراسان وغدا الناس في معناه كما قال ه

نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وعقد الامير منوجهر المأتم ثلثة ايام على رسم الجيل في حسر
الرؤوس وضرب الناقوس ورفض المنام وهجر الطعام ولما انقضى ايام
المعزى نسي المفقود واستوثق على البيعة المسروره

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر ه

ولما سمع القادر بالله امير المومنين خبر شمس المعالي واستيثار
قضاء الله به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك المعالي
مشرفا ومحليا وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد في
ايثاره ففزع الى السلطان يمين الدولة معتصما بحبله مغتضرا بظله
مستظهرا بطاعته مستبشرا الى متابعته مستغشيا رداء عنايته متلافيا
وهن المصاب بقوة اشباله ورعايته وانهض عدة من ثقات بابه بمبار
موفورة ونفايس مذخورة ورسائل على صدق الاخلاص وصفو الامحاض
مقصورة فصادف ما رجاه رغبة في موالاته وحرصا على تقمص مرضاته
وترددا لسفرا على رتابة هذه الحال وتوكيد عقدة الوصال
واحتكم السلطان عليه في اقامة رسم الخطبة على منابر ولاياته
امتحانا لمصدوقية عقده في موالاته وانهض اليه ابا محمد الحسين بن
مهران احد ثقاته بما راى اصحابه من نفايس خلعه وكراماته
فصادف منه قريبا مجيبا وسميعا مطيعا وامر باقامة الدعوة

باسمه على منابر جرجان وطبرستان وقومس والدامغان والتزم
في السنة خمسين الف دينار اتاوة وعلى عليه الطاعة والاعلا ص
علاوة واستدعى السلطان على تقفيه ذلك وقد عزم غزوة نارين
انجاد حشمه بطايفة من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق
ويغنون غناء الكماة البطارقة فسرب اليه الفي رجل من خلص
الجيليين ان راموا الوعر وعوا او قصدوا السهول فسيول وقد
امر باراحة عللهم في اعطياتهم ونصب لهم من يقيم اود حاجاتهم
ويطلق لهم مدة الحاجة الى غنائهم واجب ارزاقهم واستحقاقاتهم
ولما استحق على السلطان بايثاره في القربة مزيدا لمزيته وتمسا عبه
في الطاعة قضاء الحاجة انهض رئيس جرجان ابا سعد الشولكي المقدم
فضلا وادبا المحتشم حسبا ونسبا لاقتضاء مزيد الحال بوصلة تقوم
الكفاة لخطبها عنه والطاعة لاستحبابها له فنهض في خفارة
الادب بهديه وكفالة الرفق بمبادرته وبابه ولم يزل ياتي الامر
من بابه ويستطلع المراد من حجابه حتى استخف قرونة السلطان
لما استدعاه واوجب الاسعاف بما توخاه ولما انكفا الفاضل
ابو سعد وراه بصورة الايجاب وما صادفه من هزة المجد للاطلاب
حشمه فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ

العلم ودراية الحديث وتصبغ أخلاق التدريب والتجريب
لنجح النجاح وتأريب عقدة النكاح فنهضا الى حضرة السلطان
متيمنين برسم الخدمة وخاطبين ضم السدى الى اللحمة فرأى السلطان
تحقيق مبذول العدة وعصيان سلطان النفس طاعة لرب العزة
وقلد لملك المعالي جلباب كبده وسمح له بالزهرة الغراء من
نجوم ولده وأي نجم كان فلك المعالي مداره لم يبعد داره أي و
مدار النجوم الافلاك وأزواج الملكات الاملاك وجرى من الاستبشار
باتحاد النفوس والديار وصب النثار وصوب المبار كالغيوث الغزار
ما أرخ به كتاب الدهر ورسم بذكره سالفة العصر وعاد
الرسولان بدرك النجح الموقوف ولا السعدان يقترنان في الحوت و
عندها تكلف الامير ملك المعالي حرمة للقربى وتحلة بين يدي
النجوى ما لا تبين من رآه على اختلاف اصنافه واغراب نفوسه وانواعه
أن له همة الى نمط الجوزاء موقعه وقريبة على صدق الولاء مطلعه
ولم يبق احد من اركان الدولة وحواشيها والراتعين حول مراعيها
من لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك في البر المعقود
بالشرف لا جرم أن السلطان رعى حرمة قرباه وجزاه عما سمحت به
يمناه وأفرد كلا منه ومن قواد جيوشه وأفراد رجاله بخلع علمت

١٨٢

أجانب الملوك كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود وتقتضي
المجد بعفو المراد دون المجهود فأما ما صحب درة الصدف
وياقوتة الشرف من مال طال عهد الدهر بمثله مجموعا في مكان محمولا
من خراسان ولا غرو فالشمس تغني البدر نورا والبحر يدع الخليج
مسجورا وقد كان فلك المعالي بعد أن استتب له أمره واشتد مطا هرة
السلطان ظهره دبر على اعيان عسكره المستركين في دمائه
فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل وانواع العلل حتى أباد خضراءهم
وسقى ظماء الارض دماءهم وأحس ابن خركاش وهو الذيب العاق
السيب المشتاق بالداهية الدهيا فانسل نابها من سمع الارض
وبصرها تاباه الزعان والاباطح وتلفظه الغيطان والصحاصح
فهم من جانب الفرار طلبته هامة الماضي بالثأر تهيم على وجهه
ولا تقيد تقيف بين تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان
أحد من أثار ذلك الشر على شمس المعالي على ما تساندت الاخبار به
ابو القسم الجعفري وكان صاحب جيشه فانحاز الى رأس الحد
كبارا على قفار يرى كل صيحة عليه وكل حسيس يسهم
أقواس حبسه فأمهله فلك المعالي زمانا حتى ظن أن له دون
شؤون الآخرين شأنا ثم أطماه بتطميعه وترغيبه حتى أعلقه حباله

الامتناع وآيسه من الطمع في الخلاص وان لله حكما في امور عباده
معلقة بآماد معلومة وغايات محدودة فليس فيها مستقدم لما
تأجل ولا بعدها مستأخر لما تعجل فاحتال ابو القسم حتى انسل هاربا
واعتسف البيد جانبا ثم جانبا وما زال على حاله واختياله حتى ورد
نيسابور يظن وبعض الظن اثم ان استطاعة الى السلطان على ثقل
دواخله وارتهانه بسالف فعله وقابله مع ما تمهد في ذات البين
من عقود وتأكد من عهود واشترك فيه من طارف ومتلد ذخر
عليه عقال اثامه ويكشف عنه ما حق عليه من ثار الله وانتقامه
كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة مقتول وشر الحجر
ما اومض بالخلاص قبل ابانه واستقامة المنتج على نحر انه ابو هم [?]
المكاك ثم يعقب الهلاك كالهرة تطمع الفارة في الخلاص
حتى اذا كانت منها على غلوة الحقتها بعدوة لا جرم ان السلطان
لما انهي اليه صورة حاله ومن قبل ما سمع بسوء فعاله امر برده
ورآه في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في مقاله شعر

الخير مصنوع لصاحبه متى فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله متى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس قد كان دارا بن شمس المعالي

بعد استيمانه من جانب ابي علي بن سيمجور الى الامير الرضي نوح
بن منصور مقيما على خدمته سهيما في نعمته الى ان فتح الله على ابيه
جرجان وطبرستان فانحاز اليه مستعفيا لخدمته عن خدمة غيره
وصادف من الاقبال والاشبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة
ماما ثم حدره شمس المعالي الى طبرستان فاقام بها سدا دون مخالفيه ور
على اوليائه ومعامليه فاستنهضته نفسها على قرينة [?] الليث اليه
فاتاه وهو باستراباذ يريه صحة اديمه واستواء حديثه بقديمه
فاحسن استقباله وانزاله ثم دعاه في وقت ارتاب به فركب
على قصد حضرته ثم عطف عطف الليث نحو خراسان بين غياض
تشكو الاقدام بينها ضيق المجال والمضطرب وصعوبة المنساب
والمشرب واستصحب من رافقه او وافقه من غلمانه واهل ثقته
به فالى ان عرف شمس المعالي خبره وركب لاقتصاصه عسكره
ما قد طار به الركض وحالت دون منال الارض وما شافه حد
خراسان ورفرفت الامنة عليه بجناحيها الى ان ورد حضرة السلطان
فقبله احسن قبول ولقاه حسن مقول ومفعول وما زال يرفع
منه تنويلا وتخويلا وتحفيا وتجميلا حتى اغتره فضل الانبساط
وعز الانتساب بما هد قرينه [?] وهدم رتبته فاستوحش من عارض

الاعراض واشفق من رهق المغير والاستياس فلاذ بظل الليل
هربا وبات يطوى الارض تغربا وخببا وامر السلطان بطلبه
واتباعه في وجه مهربه فالحق به حيث قامت الخيول تعبا وكلت
السيوف مضربا ففر هو على وجهه ملتجئا الى الشار المعروف بالشاه
لحال بينهما في الصفا معموره واصول ود بالوفا مابوره فلما استقر
به المكان وخبر حاله السلطان كتب الى الشار باسترداده و
خوفه ان تاتى عليه ما بعده فاضطر الى رده واسلامه عن يده
وبقى في الحبس مدة يكابد بوسا وشدة الى ان وجد فرصة
الانفصال عن رق العقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه احد
ولم يكن ليغني عنه لولا المقدور راى ولا جلد وابت عليه
نجاحه المحنة ان يتم خلاصه ويستتب له مناصه فاعترت عليه
حتى اعيد في وثاقه وزيد في ارهاقه الى ان شرح الله صدر
السلطان لاطلاقه فانشاه نشاة ثانية واثبت ريشه قادمة
وخافية واعاد حاله بالاحسان حالية ويده على ايدى
الاضراب عالية وجرده لولاية جرجان وطبرستان معضودا
بابي الحارث ارسلان الجاذب وذوي النجدة من كماة الرجال
وكفاة الابطال لولا ان فلك المعالي سبق تمام الراى باظهار الطاعة

وعرض بما وراء الوسع والطاقة ولما حالت حرمة التقرب دون
الاختيار عليه استرده السلطان الى حضرته مجرى مجرى
اركان الدولة واحداث العشرة لا يفارقه في حفله ولا يزايله
في خلوة ولا يقعد عنه في وقت ركوب ولا ينفرد دونه دون ركون
وركوب الى ان ورد الامير ابو الفوارس بن بها الدوله حضرة السلطان ن
منزعجا عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا به على
معاودة مملكته وارتجاع بيته ونعمته فجمعهم ليلة مجلس دارت
فيها الكووس وطابت النفوس وجرى حديث السلف والخلف و
اعراق الحشمة ووقت الاجتماع على رضاع العشرة وحمله رمز
الانكار عليه على قصد المراده وركوب الحماقة حتى تادى
به الامر الى ازعاجه عن مكانه واستجابة بغضة الملك على
سلطانه وامر به في غد فرد الى العقال وحمل الى بعض القلاع ع
وقبض على ضياعه فاجريت مجرى الجوزيات تستغل اسوة امثالها
الى ان سال الوزير في بابه فامر بردها عليه معونة على مصلحة
حاله ومونة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع واربعمايه

ذكر مجد الدولة ابي طالب رستم بن فخر الدولة

وقد كان فخر الدولة
كتب الى حسام الدولة ابي العباس تاش وهو بجرجان بتحديره

البشائر عن خراسان على لسان الحاجب مبشرة بولادته واجرى الله اياه
في الصنع على كريم عادته وكان مما كتب به وقد رزقني الله تعالى
ولدا كنيته ابا طالب طلبا للسلامة في مدته وسميته رستم لانه
من اسماء اصحابه واروميته فلما اخترمته المنية تابع الناس مجد
الدولة الا ان التي قامت عنه كانت اخت الاصبهبذ بفريم بن سابور
مملكة الجبل وهي في منعة من اهلها وعزة من جانب ارضها
تملكت على الديلم واستاثرت بالامر والنهي والحل والعقد وجرت
بينه وبينها مكاوحات تادت الى استنهاض بدر بن حسنويه اليه
وامتلاك الري عليه وجرت بينهم مناوشات افضت بالديلم اولا
وباهل الري ثانيا الى بؤس وفاقة وذماء مراقة وفتن لبس فيها
قدر تواف من افاقة وعن كل ترتيب بعودة الخلاف جذعا وحمل
الصلاح منتظما فبتح عنه ابادة الرجال واستباحة الاموال
وشرود الصلحاء في البلاد وضراوة السفهاء بالافساد ولما عرض
مجد الدولة بالامر وبما يقدح على الدوام من شرر الشر آثر البر في الاعتزال
على سمة الامارة وحمله الاعتراف له بالطاعة على العقوق المفضي
بمن تحت ولايته ورعايته الى خطة الاحتيال المستغنى به على خطة الاحتياج
والاستهلاك فلزم البيت متفردا بالكتب والدفاتر ومتبصرا وجه الفضل بسواد المحابر

وانفرد اخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين وما والاهما
الى حدود بغداد وورث بدر بن حسنويه اموالا عظيمة طالما
احتوتها صدور القلاع مكنونة وحفتها خطوط الايام
مخزونة فلم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال واستنفد
حقوق الآمال شيمة له في التحقق بالفضل والتخرق في البذل وقد
كان ابن فولاذ قد تقدم في دولة آل بويه امره وارتفع قدره وانتشر
صيته وذكره والتفت عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد
والعرب فسال مجد الدولة والكافلة بالتدبير ان تنزلا عن قزوين
طعمة له ولم تر معه لينفرد بولايتها وحمايتها ركنا من اركان
دولتهما وظهرا من ظهور حوزتهما يذب عنهما بسيفه وسنانه
متى دهاهما خطب وذكى على نارهما حطب رطب فضنا عليه
بها لضيق رقعة الملك وبكور درة الدخل واذنا اليه بظاهر
العذر فقصد اطراف الري على جملة العصيان يفسد ويغير ويقطع
دون اهلها سبل من يمير ويملك عليها ما ولى جانبه من قرى وضياع
ودبع وارتفاع الى ان استعانا بالاصبهبذ المقيم بفريم فاتاهما
في رجراجة فخمة من الجبلية اولى البأس والحمية فناوشوه
القراع وصدقوه المصاع وجرت بينهما في دفعات ملاحم اشتجت

نها

كثيرا من الفريقين واصاب فولاذ نشابة الحشنة فولى فيمن
تبعه على سمت الدامغان حتى الم بها فرم الرث وعالج المرث
وكتب الى فلك المعالي يستمده على عسكر الرى على ان يقيم له
الخطبة ويظهر الطاعة ويلتزم الاتاوة فامده بالى دحل بوزن
احادهم بالاف وافادهم باضعاف بروز الشرف لمن مات تحت المشرفيات في
والترتيب حقا على من حاد عن اليثربيات ووصل جناحهم بما اضحى
به حق انقطاعه اليه واعتماده على ظهر الثقة عليه ونهض نحو الرى
حتى اناخ بظاهرها فاعاد الاغارة ومنع المايرة والممارة وغادر
الديلم بها في ضنكة البلاء وصبغة اللاواء حتى اضطر مجد الدولة
ومن وليت التدبير الى ايثاره باصفهان يعتذر له عليها خلى بينه
وبينها استمالة لقلبه واستعاذة من شره وطارت عند ذلك نعرة
الخلاف عن راسه ورحلت وحرة العناد من صدره واقبل بروض
عسكره على رشاد وسداد وبغل ايديهم دون امتداد الى فساد
وصرف عسكر الامير منوجهر وراهم بذكر صلاح حاله واستغنايه
عن رجاله وعطف الى اصفهان خاطبا لمجد الدولة على منابرها
وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع الى السلطان يمين الدولة فاقامه
على خدمته الى ان جعل ناحية بيار وجومند برسمه فنهض اليها واقام بها

ليستغلها وبنو قر علية دخلها الى ان دعاه مجد الدولة من الرى
فاغتنم البدار اليها اشفاقا من عسكر شمس المعالي ومكايده
وعيون رباياه ومراصده فلما وصل اليها عرف له حق قرابته
وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته وبقي هناك سنين مرجوعا
اليه في الراي والتدبير وموثوقا به في التقديم والتاخير الى ان عثر
منه على ممالاة لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس في قلعة
استوناوند وما زال بها محصورا وفي مخلب الامتحان ماسورا حتى
عفي عما جناه ورد ثانيا الى ما تولاه وواثق ما ابه خلع الديلم
لجام الهيبة لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة في بيته بالدراسة
وانبسط الديلم فيما شاوا من غصب وقطع ونهب وكبس ونقب لا يردع
منهم الا من اشعره الله المخافة واودع صدره الرحمة والرافة
فانبرى نصر بن الحسن لقمع اولئك الضلال فاجتاح منهم فريقا
واوسع الاخرين تغريبا وتعذيبا فلما راى القوم ما دهاهم في
اضرابهم من حصده واستيصال جمعهم اطلق قصده وقتاله واحاطوا
بداره ودافعهم بخاصته مليا ثم انثنى عنهم محزوما وغادر ملكه
في الدار منهوبا ومغنوما وما زال يضطرب في محنته الى اخر مدته

ذكر بهاء الدولة وما افضى اليه امره قد كان بهاء الدولة بعد

ان فتح الله على السلطان سجستان راغبا في موالاته خاطبا
لمصافاته موثرا للمكاتبة حريصا على مقاربته بحكم الجوار الواقع
بين الدولتين والصقع الحادث بين المملكتين ووافق ذلك من
السلطان رغبة في مثله من جهة لمثل نفسه وسلفه ولما
حيز لهما من الكفاة في الملك والملاءة في سعة الملك فسفر
بينهما السفراء على الحمام سدى المرتبة واحصاد قوى المودة
حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتاكدت العهود
وتاحدت الحدود وعندها احب السلطان ان يجعل المصافاة
مجاهرة والموالاة مصاهرة فانهض القاضي ابا عمر البسطامي
شيخ الحديث بنيسابور الى فارس وهو النبيه فضلا الوجيه محلا
والامام علما والخفيف الحسام لسانا فصيحا ورايا وثيقا وصادف
من اجلال بها الدولة واكرامه واظهار التطفل عليه في مراميه
ما اقتضته جلالة من اصدره ومساعدة القدر له في كل ما قدره
واقام عليه منقولا من مجلس الانجاب الى متوسد الاكرام ومن
راحة الاستقبال الى عائق الاكبار غير ان بعيد طلوعه عليه وقف
منه علة احدثها سوء المزاج بين الف الراحة والراح فاعياه
تجرع المراد على العارض الهائل وقد كان فخر الملك مقيما ببغداد

وهو الوزير البصير ومن اليه الراي والتدبير فحشم القاضي الى
ما قبله ليشفاه بما يجب صرف الراي اليه وقارب العقدة عليه
واتفق مع وصوله استيثار قضاء الله سبحانه وتعالى بهاء الدولة
واشتمال روحه الى جوار ربه وبايع الناس ولده ولقبه القادر
بالله امير المؤمنين بسلطان الدولة فاستتب له طوق الامر واعتدل
عليه عمود الملك وجرى له الطير بالاقبال وحسن الفال ولما
عاد القاضي الى ما قبله لم يملك له من ذاته جوابا يغنيه وجوابا
يشفيه اذ كان دونه رسولا الى ابيه فصرفه محملا من رسالته
في وراثة الود والوفا بسالف العهد واشتراط الخلوص بغاية
الجهد ما اقتضاه حكم الابتدا بغرس الوداد واستثمار الوفا على
ظهر المعاد وقد كان الامير ابو الفوارس بن بها الدولة اخو سلطان
الدولة مقيما بكرمان فتشجر بينهما خلاف اقتضى سلطان الدولة
تجريد الجيوش لقصده واستصفاء تلك النواحي منه واستخلاصها
من يده فنهض هو لقاءهم وكثر عادتهم واوقدوا بينهم
حربا انست الرجال الاجال وشربا واجاحت الارواح طعنا وضربا
واستمرت الكشفة باتباع الامير ابي الفوارس فانقلبوا منهزمين
واقبل الامير ابو الفوارس منهم نحو سجستان يوم حضرة السلطان

لمن الدوله ممتطيا رجاه ومستنهضا كرمه لرده وراه فلما
شارفها وتناهى الى السلطان خبر اقباله امر ابا منصور بن اسحق
النايب عن الامير صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن ناصر الدين الحضرة
استقباله وتكلف الواجب من انزاله واقامة انزاله وانزال من
معه من طبقات رجاله ونثر عشرة الف دينار لمن حاميت ماله
فبلغ من ذلك مبلغا يشهد من كان شاهد سجستان من قرابها وطرابها
ان احدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من اولاد الملوك
ولم يخل ان مثله يسمح به تيار البحور فكيف اقطار الصدور والكسب
ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا اعقد بالنجم ضفايره وافاض على الشرق
بعضه وعلى الغرب سايره ولما وصل الى خدمة السلطان اوجب
فضاحق مقدمه بالاستقبال وتلقى عظم قدره بالاجلال وحمل اليه
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام بكل ما ينمى الى
نيل الاكرام ما وقع عند الخاص والعام موقع الاستعظام
ما خلا الهمة التي ترى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة عن ابشارها
وصوفة من اوبارها بل قطرة من امطارها واقام عليه قرابة ثلثة
اشهر ضيفا لا يتميز عن الاديين ارحاما وسحية وانسابا وقربة حتى
اذا نشط للانصراف والتمس معونته على عارض الخلاف ازاح السلطان

لما استدعاه واعطاه فوق رضاه اموالا اعجزت اقلام الكتاب
واوهنت انامل الحساب وافض في صحبته ونصرته واقامة خدمته
ابا سعد عبد الرحيم بن محمد الطاي احد مشايخ بابه وافاضل
كتابه في رجال قد تعودوا النصر منه خدمتوا رايته فلم يعرفوا
وجه الانقلاب الا بالاقبال على الاكفال ه
ثم صهوة اخرى شواكلها من طول ما حملت شيئا على الكفل
وتوجه الامير ابو الفوارس متهجرو في سائر خاصته نحو كرمان
فجلا عنها من كان ولى عليها علما بعجزه عن المقاومة وافتضاحه
ان تعرض للمحاكمة فملك تلك النواحي تملكه اياها من قبل
واقام بها ابو سعد الى ان قرت تلك الامور ودرت للجبايات
السطور ثم كر وراه فيمن كان برسمه وتحت قيادته وانت على
ذلك مدة من الزمان بمنع حشمة السلطان وحرمة الناهضين من
اتباع رايته في امره وسمه بعز عنايته ان يقصد بما يوهم خلافا
عليه حتى اذا عاودت تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير
ابو الفوارس بالتدبير زناش بعد التحسين شرب سلطان الدوله
عسكرا اثابنا لمواقعته واستخلاص تلك المملكة عن يده فتلا
على حرب اشابت القرون تحكيما لظبي الصفاح في مخارج الطلى

وتخوضها لشا الرماح في موارد الكلى حتى تشرقت الارض
من صبيب الاوراد وتمزقت من رشاش الاكباد وعندها زلت قدم
الامير ابي الفوارس فولى كسيرا لا يعرف قبيلا ولا دبيرا واسرى
به الركض الى همذان حضرة شمس الدولة بن فخر الدولة فقضى فيه حق
القرابة اعظاما لقدره واهتماما بامره واغتناما للشكر واستعدادا
لمثله واقام مديدة على هذه الجملة حتى استشعر واستغر انه
مغرور ومقصود الى اخيه سلطان الدولة مردود فنفر نفار
الايم من ضربة القاتل والوحش من كفة الحابل وفارق مظنته
قاصدا بغداد وسنشرح ان شا الله من بعد حاله وما انتهى
اليه امره مما كان عليه اولا ثم ذكر ايلك وما انتهت اليه حاله
قد كان ايلك بعد النكبة التي استمرت عليه بباب بلخ قد ركب
ظهر جيحون وغادروه يضطرب على نفسه غيظا لما دهاه
واسفا على ما اعياه وما زال يعاتب طغان خان اخاه ويستغر
قلة على ما اوهن قواه وفوته مراده ومغزاه والقدر له
معاند والزمان مناكد حتى اراحه العدم على الفراش
وبين جنبيه من الانتقاص فاشبعه التراب بعد ان جوعه الحرص
والاضطراب همه كانت معلقة بالاثير محلقة على ذلك التدوير

غير ان يد القدر فوق يد التقدير ما يصنع المرء بالجد
اذا وافى الجد سافلة البير ه
وهبة رحا تجري لها اليم ما هاو لسرها قطب ما ادبرها
وقد ينهض العصفور كثرة ريشه ويبسط اذا لاريش فيها نسورها
وكانت وفاته في سنة ثلاث واربعمايه وولي مكانه اخوه
قمال السلطان يمين الدولة وامين الملة وهاداه منتلا قيا
لما امله اخوه ومسددا من حيث ركب الخلاف ذويه وجاشت
من جانب الصين جيوش لقصد طغان خان وبلاد الاسلام ومن
ديار الترك وما ورا النهر يزيد عددهم على مايه الف خركاه
لم يعهد الاسلام مثلها على صعيد واحد يرومون ليطفوا نور الله
بافواههم نقيا طال ما صرع اهله واوردهم كما اورد الهدي
محله فاستنفر من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه من رجال الترك
واحرار الغزاة والمطوعة زهاء مايه الف رجل فارتاعت له
القلوب والتاعت النفوس وتناصرت الادعية والاذكار و
استكتب اسماع المسلمين من فظاعة ذلك النبأ الهايل والنبا
الحايل وسار طغان خان مستقبلا من امتثل اليه من جموع الكفرة واقام
الحمرة بنيان مقصورة على الاستقبال واستقبال الاجال او

نصره ويظهر حزبه تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
حيث يقول وقوله الحق انا لننصر رسلنا والذين امنوا والتقوا اياما لياليا عاما
على ملاحم لم يبد من نتق الزحوف وضرب الحلوق وشد الخيول على
الخيول اصواب انوا ام صبت دما ولمع بروق ام وقع سيوف وظلمة
ليال ام رهج قتال وفي كل ذلك يتولى الله عباده بعوائد المنن
والنصر والتمكين حتى وشوا بالصنع المستبين وطلوع النجح مشرق
الجبين وتلا في اليوم منصوص على فيصل الحرب فشد بهرام لها نطاقه
وادار على الفريقين دهاقه فاما اعدا الله فسكروا سكرا استوجبوا
به الحدود بالحدود البواتك فصبت عليهم من لدن لاح جبين الشمس
الى ان ذكت سراجا وهاجا وكادت تضع على قمم الرووس تاجا
واما اوليا الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام والعبث
بطلا يبع الحمام لاجرم ان الله حماهم ونصرهم واواهم واظفرهم فغادروا
من جماهير الكفار قرابة ما يسد الاعنان صرعى على وجه البسيطة
عن نفوس موقوذة ورووس مشدوخة وايد عن السواعد محذوذة
نهبى للضباع بل جفلى للوحوش الجياع وافا الله على المسلمين سبايا
الاتراك غلمانا كالبدور واللولو المنثور وجواري كالحور العين
والبيض المكنون وسوايم غصت بها اقطار البيدا وضاقت عنها

اطراف الدهنا وشرد الباقون ورام تشلهم السيوف شل الانعام
وتختطف ارواحهم بايدي الحمام وتطايرت به البشارات
في ديارات الاسلام فنضرت لها الوجوه وضحكت لها القلوب وعم
السرور وتوفر الشكور وتباشرت الدور حتى القصور والخدور
لطفا من الله تعالى لدين ارتضاه ووعدا ان يصل بيد التاييد قواه ولم — يشب
طغان خان بعد ان فرغ من هذا الحرب العظيم باسها الشديد مراسها
ان استاثر الله به فنقله الى جواره وبواه مبوا الصديقين من دار
قراره ختما عليه بالشهادة وختما له بالسعادة وورث مكانه
اخوه صنوه في النسبة وتلوه في الامور الاهلية ثبت المقام في دين
الاسلام لا يعرف له جاهلية ولا يتهم منه عنجهية ولا عجرفية يقيم
الصلوات جماعة ويفترض العدل سمعا لله وطاعة وعمر الحال
التي كانت بين طغان خان اخيه وبين السلطان اظهار المصافاة
واستشعار المواخاة وايثار الاشتراك على تصاريف الحالات
وخطب السلطان اليه والى اخيه ابلك كريمة له على ولده مسعود بن
يمين الدولة فاحسنا الاجابة واغنما القرابة وتردد بينهما السفرا
في ذلك مدة على جملة التهادي ورص الحال بافتتام الايادي الى
ان حقت الحقيقة وثبتت العقدة الوثيقة وانهض السلطان من اخاذهم

من نقاب بابه لنقل اليتيمة الكريمة فجهزت وديعة نشاح عليها
ملكان هذا اصيد الملك وذاك ملك الترك تخصصهما الشبل ابن
الليث والوبل ابن الغيث والتيار ابن البحر والصباح ابن الفجر الامير
ابو سعيد مسعود بن محمود ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من ثقات
تلك الدولة واعيان رجالها من عدول ائمة المشرق والمنطق ما اذا دوا
اماني الهدو واللسان على ما احمت الحال بين الجانبين ورفضت الحشمة
في ذات البين وامر السلطان اهل بلخ بتيل الموصول بعقد الاين و
تكليف التجديد والتزيين فبلغوا من ذلك مبلغا لم يسبق اليه
من الوسع مذخور ولا من الرسم مذكور ومسطور وراى السلطان
بعد ذلك ان يرفع من قدره فعقد له على هراة سرة مملكته وتاجها
وسيره اليها بعد ان وصله بمال عظيم يعد ذخيرة ويوسعه تجملا
وزينة فنهض اليها رشيد السيرة حميد السريرة عادل الطريقة فاضل
الخليقة خليقا بالملك على الحقيقة وذلك في سنة ثمان واربعمائة

ذكر الامير ابي احمد محمد بن يمين الدولة وامين الملة جملة ما يمكن
الافصاح به والايضاح عنه من حاله وذكر خصاله قول القائل

ان السري اذا سرى فبنفسه وابن السري اذا سرى اسراهما فقد جمع الله
له من النبل الى خصائص الادب والسعي لمعالي الرتب ما دل على انه ابن ابيه شرفا

سمقت على النجوم شرفاته وكرما تفرقت لاهل الفضل عرفاته
خرج من حضن الكفالة خروج الابريز من جمرات السبائك والهلال
من تحت الشعاع المتشابك لم يعرف له طول ايام الايفاع غير
الارتفاع الى اليفاع نظرا الى كرم الطباع وتقييد الماثور
بالسماع ومدلا لما لفطنته بين الطباع وارتياضا باداب الثقافة
والمصاع حتى اذا نزع برداه برد الحداثة ولبس رداء طوق
الشهامة راى السلطان ان يوفيه حق النبوة ويوتيه شرط المروة
ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه واستدعته العناية
به والمراعاة له فزوجه كريمة الامير ابي نصر الفريغوني والي
الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى الكفاية لفاة
والى النعمة همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما عقد للامير
الجليل ابي سعيد مسعود على هراة وهي التي وليها آل فريغون
وهم الذين حكوا في العز افريدون وفي الهمة المجنون وفي الغزارة
والسماحة جيحون وولى ابا محمد بن الحسن بن مهران كفاية اموره
وولاية تدابيره فبرز اليها بروز المستفرد الصائل وهمى على
اهلها همي السحاب الهاطل فاحياهم بندى العدل الشامل وعدل
في العطف عليهم بين الاباعد والاداني فعلقته قلوب الخاص والعام

وكفته المؤونة مؤونة الاستخدام ولما راى السلطان يمين الدولة
وامين الملة حميد آثاره ورشيد تخيره ازداد شغفا بآثاره وحرصا
على اصطناعه وايثاره فلم يخل من جديد انعام ومزيد حفاوة
واكرام وسيأتي خبر الاخوين الجليلين في موضعه بعد ان شا الله تعالى

ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان
يمين الدولة وامين الملة منذ نجده الله عزمه لغزوات الهند محييا
سنة ابيه ومقتفيا نهج آثاره ومساعيه وباحثا على طريق النظر
وسبيل الجدل عن سنن الاسلام والبدع المعترضة عليها في سابق
الايام استبصارا امنه في الدين واستظهارا على قمع الملحدين فقرا
الكثير وسمع التاويل وتتبع القياس والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ
وخبر الصحيح والموضوع وتلقن من اصول الدين ما لم يستجز معه
في الدين بدعة وراى كل مخالف ظاهره نكرا وشنعة واتفق
ان بدأت في عماد الدعاة بخراسان اقواما ينتحلون مذهب الباطن المنسوب
الى صاحب مصر وظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض بتاويلات موضوعة
تؤدي الى رفع قواعد الدين وحل معاقد الحق وابطال معالم الشرع
وتتبع احكام الله بالرفض والنقض فامر بوضع العيون عليهم والصاق
الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا بين المذكورين واوليائه

والملبين لدعايه يعرف القوم بسيماهم واسمائهم فنص على عصابة
منهم من مختلف البلدان والاوطان فشخصوا الى الباب ورجموا تحت
الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك باضرابهم ومن كان
يخرج له ذكر بالقائهم حتى اقتطعتهم حجارة الرجم والرض
عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق بن محمشاد زعيم
ابي عبد الله بن كرام غزير الفضل كثير المحل مذكورا في الناحية
والدراية بالديانة الوافية والامانة الوافية والفطنة على
الفرق الغالية والبدع الخافية فوافق راي السلطان يمين الدولة
على اجتياح من ركب ثنيات الطريق وعدم في العدول عن
مثل مخارق النعم مساعدة التوفيق ونبهه على عدة زعموا
انهم ضلال ولهم في فضول القول وهذر المحال مجال فسلكوا
في اصفاد الاخرين ونصبوا عبرة للناظرين وزاد الاستاذ ابو بكر
فيما يتقرب به من ظاهر المحاماة على دين الله والمراماة دون حوزة الله
وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذي ريبة بعيدة او قريبة
حشمة اطمعت فيه الرجال وامالت اليه الامال واية حشمة
وضع الله عليها طابع الدين فهي في جوار النجوم علو مكان
وسمو شأن وكفاك بها فخامة ما ورد في الخبر المروي ان الله تعالى

قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاتعبيه اوفا ستخدميه
واتفق بعد ذلك ان طلع رجل من ديار العراق ينتسب الى الشجرة العلوية
يذكر انه رسول صاحب مصر الى السلطان يمين الدولة بكتاب يحمله وسر
يؤديه فورد نيسابور مدلا بسبب النسب ومدليا بصلة الشرف
فاستوقف الى ان انهى الى السلطان خبره ووكل الى ما يرد من
مثاله صدره ونهض من بعد ذلك الى هراة متوجها الى الحضرة
فامر برده الى نيسابور ليقرر بها ما يحمله على رؤوس الاشهاد ويمنع
ويمنع من كل حاضر وباد صيانة لخاص مجلسه عما عسى ان يضاف
اليه من احالة وسخف رسالة فلما ورد التاهرتي وفسر عما
صحبه عثر على تصانيف الباطنية واغاليط في الشريعة الحنيفية
اصح منها في الاسماع خباط المجانين ووسواس المبرسمين لا يوجد
في محصول ولا يوجد في معقول ومنقول وناظره الاستاذ ابو بكر
على امور من جهة مرسله تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد لها على
نار الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات
وما زال يتردد اخماسا في اسداس الى ان تبين انه اخطا في حمل
تلك السفارة وحرم التوفيق في تقلد تلك السفارة وقضى الله تعالى
ان احضر الى حضرة السلطان فيما وراءها استحضر مجلس حفله

غص باعيان الاسلام ساداتها وكبرائها وقضاتها وفقهائها
وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوي ومن قصته ان جده
مسلما لم يكن في الطالبية من اولاد الحسن الاصغر رضي الله عنهم
بناحية مصر اوجه ولا انبه ولا اغنى ولا اثرى منه فلما استقر معد
ابو تميم المعز بمصر خطب اليه بعض بناته لولده ابي منصور الملقب
بالعزيز وسبب ذلك انه وجد في داره رقعة فيها

ان كنت من آل ابي طالب فاخطب الى بعض بني طاهر
فان ذاك القوم اكفاؤهم في باطن الامر وفي الظاهر
فام من سفه خوزية يعرض منها النظر بالاخر

نسبهم الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر لان من كورها
خوزستان وهي ام محمد بن عبد الله بن ميمون واغتاظ مسلم عليه بان
لبس واحدة من بناته الا وهي في حباله وتحت عقده تفاديا
من اجابته وتحرجا من مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه
عنه ونفورا بنسبه دونه وضع عليه يد الاستصفا بعد ان اودعه
الحبس سنين وحطه حبط العصا ورق السلم والبسه عن قضاض
الغنى علالة العدم وهلك من بعد على يده فقال قوم غيب
عن محبسه فما يدرى كيف صار امره وان جعل قبره وزعم اخرون

انه هرب من الحبس على طريق الحجاز فاختفى في الطريق وعند
ذلك لجأ طاهر والد الحسين المذكور الى مدينة الرسول صلى الله
عليه وسلم متأمرا على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابي علي بن طاهر
وهو ختنه على اخته ولما مضى طاهر لسبيله ورث ابو علي
مكانه من الامانة الى ان لحق به وورثه ولداه هاني ومهني
دون الحسين لاستضعافهما اياه وتفوقهما بالحال والمال فرحل
نحو خراسان ملتجئا الى السلطان من الدولة سنة ثلث وتسعين وثلثمائه
فلما ورد الباهرتي برغمه رسولا صغر للشريف الحسين شانه
ووضع فيه لسانه وابى ان يكون له نبات على دوحة الرسالة
وانتساب الى نبعة النبوة وادعى عليه فساد الدين واستخفافه
ضروبا وبين فخلى السلطان بينه وبين ما يستجيزه لنفسه ودينه
فيه فقام الى جيده بضربة غرقته في دم وريده وقد كان
القادر بالله امير المؤمنين قد كتب الى السلطان بما رأى اليه
من خبر الرسول وما يستضيه الدين من المثلب عليه والانتصاف
للاسلام والمسلمين منه فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى
الى مجلس الخلافة صورة الحال كعم السيف افواه العذال
وقبل من القبول منتهاه وجرى الخبر على ما اتاه وتوخاه

١٩٥

فكان مثل الباهرتي في ذلك كما قيل

ومن شرب السم الذعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهس

ذكر ابتداء امر ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه وما ختم به امره

قد كان ابو الحسن علي بن مأمون لما ورث اباه ما — موتا
مملكته وقد كان استضاف خوارزم الى الجرجانية خطب
الى السلطان احدى اخواته تقوية لعصمة الحال وتسديدا
للحمة الوصال فاوجب اسعافه بما استدعاه استكفاء اباه
وتوخيا لرضاه وزفت اليه من خطبه ووصل ما اسبابه سببه
ودرت المهاداة بينهما حتى صارت الديار واحدة والاسرار
ح — لغير الاخلاص جاحدة وعبرت الحال على جملتها في الائتلاف
والامتزاج الى ان قضى خوارزمشاه نحبه ولبى باعتراض الاجل
ربه وورث ابو العباس مأمون بن مأمون مكان اخيه من قبل فهو
تاليه في الطاعة بل اتم اخلاصا وتاليه في القربة بل اشد
اختصاصا فشفع السلطان فيه داعي الكفاءة واستحق للحال
رونق الطراة وعقد له عليها عقدا خلطه فيه بنفسه وفرغ
له قريبا من قلبه وخلبه وما زال الامر على جملة الاشتراك
والاشتباك الى ان دعى السلطان داعي الاختبار الى سومه

إقامة الخطبة باسمه وانهض رسولاً يتنجّز العمل بما تقتضيه ظاهر
حكمه فصادف ذلك منه حرصاً على الإجابة وإشرافاً على الطاعة
غير أنه عرض الحال فيه على من حوله من أعيان أشياعه وأتباعه
فأظهروا إباءً وأصرّوا واستكبروا استكباراً وقالوا نحن
أتباعك وأطواعك ما سلم لك الملك على الاستبداد فإذا وضعت
خدّك للطاعة وضعنا السيوف على العواتق خلعاً لك وتمليكاً
عليك وجهاداً فيك فعاد الرسول إلى السلطان بما رآه عياناً
وسمعه بغياً وعدواناً وأحسّ القوم بحمرة الدم من زواجرهم
على ولي نعمتهم بالقول الفظيع والرد الشنيع فأوجس خيفة
وتوامروا على الفتك به غيلة وما زالوا في التدبير عليه إلى أن
دخلوا ذات يوم إليه على رسم السلام فإذا هو صريع كأس
الحمام لا يدري كيف قُتل ومن أي وجه إليه قد وصل وبادروا
العقد لأحد ولده وبسطوا أيدي الأصفاد لبيعته وعلموا أن
السلطان متعرّض للحادثة به ومتصدٍّ بصدد الانتصاف للوراثة
فتمالؤوا على مغارته أن غزاهم في عقر دارهم وجزاهم عن
سخوط آثارهم ولما انتهى إلى السلطان خبر صنيعهم بولي
نعمتهم وهو متيّم شقيقته وحامي حقيقته أزعجته قوة الحفاظ

للانتقام من أولئك الغدرة الفجرة والمردة الفسقة فجاش
بمناهضتهم على عزيمة مسجورة وحفيظة على انتقاد آيات الله
منصورة وكانت سعادة أيامه قد لقّنت أولئك العتاة
البغاة ما أتوه استحقاقاً للنقمة وبراءة من العصمة وتمهيداً
لعذره قريباً وبعيداً في استخلاص مملكة كانت إلى عز أيامه
نازعة ولباب الإقبال برفق سياسته قارعة فجرّ الجحافل كالجبال
ل
ناهضة والبحور فائضة حتى أناخ بعقوتهم مستعيناً بالله
على قتالهم واستنزالهم إلى مناهل آجالهم وثار صاحب
الجيش الخوارزمي البخاري عامة قواده في ركضة على
طلائع السلطان بياتاً بعضهم بأسباب الحديد إلى أن يسلمهم
للتشديد والتبديد وطار لخت حوالي الليل حتى اشتمل على أبي عبد
الله
محمد بن إبراهيم الطائي وهو طليعة السلطان من كماة العرب
حين أنفض الكرى رؤوسهم وشغل برد الصباح نفوسهم
واختلط البعض بالبعض ضرباً بالسيوف النواصل وطعناً بالرماح
الذوابل وطار الخبر إلى السلطان بركض القوم فزحف
بجيوشه إلى معترك الحرب وثبت الخوارزمية من لدن طلوع
الشمس إلى أن حمي وطيس النهار جاهدين في القراع مجاهدين

دون المساكن ذات الرباع يظنون ان يظفروا وقد غدروا ابن
ربابهم في حجور الانعام واغذواهم من ثدي الاكرام هيهات
ان الغدر قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار وثانيه اجل
النار ولم تزل شمس النهار على التكبيد حتى اصحفت الجيوش
ثم الجيوش رجالا احكوا حبالا قد قصرت اصلابهم وانهبت
اسلابهم وفلقت بالسيوف هاماتهم ونصبت [illegible] اجسامهم وانهزم
الباقون في حمر العياض على شاطي جيحون والمرادم من ورايهم
تخطب ازواجهم حتى اذا وقعتها تحليها الطلاق صداقا
واستاسر [illegible] الله دماهم عبرة للنظار وعظة
لامثالهم من الغدرة الفجار وركب النجاري ظهر الماء والا
في الهرب ومقدرا خلاصه من العطب ولم يدر ان فعله الشؤ
تخزيه واقدامه على ولي نعمته يرديه وان حاير البير لاجبه
ساقط لا محالة فيه وجرت في الزورق بينه وبين بعض اصحابه
منافرة حملته على الاستيثاق منه وبعث الملاح على استقبال
المعسكر بوجه الزورق فلم يشعر الا به اسيرا حتى حصل في يد
السلطان اسيرا واحضره السلطان مجلسه في ساير القواد
الماسورين يساله واياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير

داعية واجترائهم عليه من غير وطاة عائبة فرد جواب
المتبسل المستقبل واما الباقون فسقطوا في ايديهم لا يدرون
ما بهم دون وامر السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه
مقبرة صاحبهم ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وصلبهم
اجمعين عليها مع عدة ممن اتهمهم بالدين وعدهم من الناكبين
عن قصد السبيل وامر بالكتابة على جذرات تلك المقبرة بان هذا
قبر فلان بن فلان بغي عليه حشمه واجترا عليه على دمه
فقيض الله له يمين الدولة حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع
عبرة للناظرين وآية للعالمين وامر بعد بالاسرى فوضعت
الاغلال في اعناقهم يقادون الى غزنة دار الملك زوجا بعد
زوج حتى اذا حصلوا بها وقد امتلات منهم العيون وغصت بهم
المجالس والسجون من عليهم بالافراج وفرقهم في جملة ساير
الحشم والاجناد ووضعهم مواضع امثالهم من ديار الهند
رابطين [illegible] افظاظها وينفضون عن عيون الفتنة منابعها
واطوارها وولى خوارزم حاجبه الكبير اباسعيد التونتاش
فقام بها قائما [illegible] المساد ومانعا عيون البغي والعناد
الى ان نضب ماؤهم واذعن للطاعة امثالهم واستقرت تلك

الاسباب ودرت الاحلاب وذلك تقدير العزيز العليم يفعل الله
ما يشاء ويحكم ما يريد ه ذكر فتح مهره وناحية قشمير
ولما فرغ السلطان من مهم خوارزم وقد انضافت كاحدى اخواتها
الى ساير ممالكه الموشحة باثار ولايته الموشحة بانوار عدله ورعايته
راى ان يختم صحيفة العام بطابع الاستمرار اجماما للركايب و
الركب وتثليثا لراى الغزو بين جوارح القلب فعدل الى بست
كالشمس قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالدنيا
بها حواشي المطارف او عواشر المصاحف او عقود الحقائق او نهود
المعصرات العواتق يدبر اعمالها ويروى فيما صار احمى لها الى
ان اذن الله له في معاودة غزوته متشيّا سحاب المنكر في غزوة
تحقق اعجاز القران بما تضمنه من وعد الله المنان في اظهار دينه
المرموم سيد البشر ومولى البدو والحضر محمد المصطفى تاج
الانام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى اله البررة الكرام
على الدين كله وان سخطت نفوس وضرعت خدود ورغمت
معاطس وانوف بعدما زكات النفقة قد بعدت عليه وعلى اعوان
دين الله السايرين تحت رايته بنور هدايته اذ كانت الهند قد
خيفت من سواها واطرافها سيبا وانهابا وملكت على اهلها

فولى امورهم برأى صليب وعزم عجيب واهتمام شديد وقيام
بمصالحهم حميد ولم يزل يركض بهم على اطراف الهند مجاهدا اعداء الله
الكفرة بها ومفتتحا قلاعها ومستخلصا ديارها ورباعها ومحكما
سيوفه في اهلها مؤمنا من اسلم وشهد وقاتلا من اشرك وجحد وجرت
بينه وبين عساكر الهند حين عثروا بامره وتصافوا على مدافعته واستنفاد
عادته حروب لبس فيها جلد النمر وادت نارها تاريث المنذر
وعض في معاناتها على جذم الصبر وجافى الجنب عن الضجعة
واقنع النفس بالطوى والمخمصة وانضى تحته مركب الحمية وحث
اصحابه ورفقاه على لذة الامنية او راحة المنية كانما عناه
عمرو بن الاطنابة الانصاري بقوله ه

ابت لي عفتي وابى بلائي واخذي الحمد بالثمن الربيح
واجشامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

وحكى رحمة الله عليه في غمار ما كان يذكره من مواقفه ومقاماته وآثاره
في العدو ونكاياته انه وافقهم في بعض وقايعهم هؤلاء الرتنا
ونحن في العدد اليسير وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة
الحروب حتى انفذ الناس من الزاد وعجزوا عن الامتيار والاستمداد

ولم يكن امامنا الا السيوف القواضب وورانا الا المهامه والسباسب
فصرخوا الي بما دهاهم وسالوني حيلة الثبات على ما عراهم فعرفتهم
اني لست استصحبت لخاصتي على سبيل الاستظهار صدرا من السويق
وهو الان قسمة بيني وبينكم عدلا سوا بالغا ما بلغ من قدر الكفاية
الى ان يمن الله بالفرج وكشف هذا الضيق والحرج فلست اجنح
اياما عدة لكل منهم او لاولي من بعدهم اخرا قعبا صغيرا منه
فنجتزي به طول النهار والليل ونحن على ذلك من معالجة
المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة السيوف والسهام بنحر الوجوه
والصدور الى ان وهب الله النصر واهبت الظفر واحاق سوء العذاب
بمن كفر فولوا الادبار من قتيل مرمل وجريح مزمل وعفير مرهق
واسير بالقد موثق وسمعته رحمة الله عليه يذكر ذات يوم ما كان
من حسن تدبيره وتقديره عند افضا الامر اليه واقتصار الامارة عليه
ورزاحة حاله عن التوسع في الانفاق والتخرق في البذل والاطلاق
وانه كان كاحد رفقايه في الحال والمال واحتاج مع ذلك الى ان ياخذ
لمؤونة الزعامة عليهم من نفقاته الراتبة فكان يدخر منها ما يبقي بضيافتهم
في الاسبوع دفعة او دفعتين ولم يزل على هذه الجملة الى ان اتسعت
حاله فزادهم بحسب الزيادة الى ان استكمل اسباب السيادة فكان كما قال

سهوبا وشعابا فلم يبق الا ما اجنه ضمير فسمير ومن دونها
قياف تقصر عن كل غريب وصفير وتضل بينها وفود الرياح
الا الخفير واتفق ان حشر الله من اداني ديار ما وراء النهر الى
اقصى حدوده زها عشرين الفا من مطوعة الغزاة وقد
وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد متدينين في ذات
الله للاستشهاد يخطبون الجنان بصداق الارواح ويساومون
الغفران بحدود الصفاح فحرك من السلطان تغيبهم ودمر
نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى رايه ان يزحف بهم الى قنوج
وهي التي اعيا الملوك الماضين غير كشتاسف على ما ينطق
به تواريخ المجوس وهو كبش اقرانه وملك الاملاك بزعمهم
في زمانه فسار وبين غزنة دار الملك وبين خطة قنوج مسيرة
ثلاثة اشهر سير الركاب القود والجوانف السود واستخار ربه
وسار وهجر النوم والقرار واستصحب من شهد انصار دين الله
واعوان حق الله رجالا يقتحمون اشداق المنايا شوقا الى السعادة
بالشهادة وحرصا على الموعود من الحسنى والزيادة وعبر
مياه سيحون وجيلم وجندراهه وسنلدر سالما في سالمين وهذه
الاودية يجل اعماقها عن الاوصاف وتمنع اطرافها على الاطراف

منها ما يعجز غوارب الفيول فكيف كواهل الخيول وتدهده اثقال الصخور
فكيف خفاف المطايا والظهور صنعا من الله لمن والاه وعز من حمى في
اسنداء رضاه ولم يطا مملكة من تلك الممالك الا اتاه الرسول واصفا
حد الطاعة عارضا في الخدمة كنه الاستطاعة الى ان اتاه جنكي بن
شهني صاحب درب قشمير عالما بانه بعث الله الذي لا يرضيه الا الاحلام
مثبولا او الحسام مغلولا فاظهر العبودية من خاطر التوفيق وضمن
الارشاد باقي الطريق وجعل يسير امامه هاديا في حرج واد بواديا
وكلما انتصف الليل اذن بالمسير خفوق الطبول واستوى اولياء الله على
ظهور الخيول يجشمون تعب الركض والسلوك الى ان تجنح الشمس من
غد للدلوك وما زال ينتسف الصياصي والقلاع مبثبتة على ربود
الجبال بحيث تاكل منابع الاعناق متى شخصت اليه نواظر الاحداق
الى ان شافه قلعة برنه من ولاية هردب وهو احد الرايات اعني الملوك
بلغة الهنود فاطلع على الارض اطلاعة وهي تموج بانصار حق الله
مسومة من فوقها الترايك ومن حولها الملايك فتزلزلت قدمه واشفق
من ان يستباح دمه فراى ان ينجو بالاسلام باس الله وقد شهرت حدوده
ونشرت بعذاب العذاب بنوده ونزل في نحو عشرة الف منادين بدعوة
الاسلام متنادين عن ولاية الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن ...

استعدادهم واستعادة نعم وامتدت الوجيف به بعد الى قلعة
كلجند وهو من اعلام الشياطين واعيان اوليك الملاعين يدل على
الملوك بعز انفسه ويرنو الى القرم بطرف اشوس قد قضى في
الكفر معظم عمره وعني بهيبة الملك وبسطة الامر عن تجشيم بعضه
وسمره لم يقصده احد الا ارتد عنه مفلولا وعاد عنه عليه مجلولا
عزة حال وكثرة مال وقوة رجال وعدة افيال ودنافه
معاقل وحصون وملك عن مطامع الايام ومطامح الوهن والاسلام
مصون فلما راى السلطان قد قصد قصده وجرد لمجاهدته جهده وربت
بنوله وخيوله ورجال غياض لو رميت بافراد الابر لا تمسها الارض
باوراق الشوك والشجر اغرى السلطان بعض طلايع جيوشه
فبادروا اليهم يخترقون تلك الاجام خرق الامشاط منابت الشعور
بل الاشافي مخارز السيور واعرضت للسلطان طريق من فوق
القلعة المذكورة فلم يزع اهلها الا البحر الاخضر والسيوف الابيض
ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقتلين وتواصوا بالمنايا مستبسلين
والسيوف تاخذهم من فوق ومن قدام وتبضعهم ما بين لحوم وعظام
وحملاتهم بينما تنضل اقتال القلوب وضرباتهم تتوالى توالي الغيث
المصبوب غير ان الله منزل الحديد ذي الباس الشديد هو الذي

اذا شا قطع واذا شا بنا وانشع ه
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط القلايد
فان مالك منا ولنا الله فلاجر الاستشهاد وثواب المعاد وان نبت فلانجاز
العدة واظهار العبرة ليعلم ان الحكمة له في كل مخذول ومعصوم
ومحروس ومقصوم وظل المخاذيل يتناسون بينهم وقد عاينوا سيوفهم
نابية وسيوف الحق عليهم ماضية دخلت بهم الدواهية وحلت اهل الدين
اولي وثانية ماهولا من جنس الانس ولا من زمر البشر هيهات ان وقع الحديد
ليجري في الجبال وكلامه الي هولا الابطال حتى اذا شال لهم شخص الطغيان
في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ما وراهم من المياه يظنون انها
تنجيهم باس الانتقام وتحميهم كاس الحمام ولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله
وان الله يردي بكثير ما تخبي قبيلة لا جرم ان صفايح الماوات صفاح
الدهنا فاوسعوا قتلا واسارا واغرقوا فادخلوا نارا ولعل عدد القتلى
والغرقي تزيد على خمسين الفا اصبحوا طعاما للنسور والضبعان واقواتا
للتماسيح والحيتان وعمد كل الجند الى قتاله فاهلك بها عرسه ثم كر عليه
فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان مايه وخمسة وثمانين راسا من الفيلة
الضخام مضافة الى ساير ما اطرد عليه حكم الاغنام من نعم الله العظام
وقسمة الراجحة بالاقسام ولما وضعت تلك الحرب اوزارها

وحلت له الغنايم اوزارها عطف عنانه الى سمت البلد الواقع
عليه اسم المتعبد وهي مفخرة الهند فطالع اسنها التي يزعم اهلها
انها من صنع الجان دون الانسان ابداع اساطين وسقوف واعجاز
اوساط وحروف فراى ما يخالف مجرى العادات ويستغرق ايامها
الى الشهادات بل المشاهدات بلدا مبنى السور من صم الصخور وقد
شرع بابان منها الى الما المحيط به موضوعة ابنيتها فوق شواخص
التلال صيانة لها من مضار سيول الما ومعار غيوث السما وعن
جنبتيها الف قصر شبيهة بساير الابنية في الوثاقة مشتملة
على بيوت اصنام قد هندمت مفاصل اعراقها بمسامير تساوي
سطوح البنا وتواري ما وراها من الجرو تحت الحفا وفي صدر
البلد بيت اصنام يحكي احواته واحسن ويجري مجرى امرائه وبش
لا يهتدي الكتاب باقلام الدوات ولا المتفننون باطراف الخطا نمات
امثالها حسنا وزوبقا وتنويشا تخطف الابصار بريقا وكان
فيما كتب السلطان به انه لو اراد مريد ان يبني ما يعادل امثال
هذه الابنية لعجز عنه بانفاق مايه الف الف دينار في مدة مايتي سنة
على ايدي عملة كملة ومهرة سحرة وفي جملة الاصنام خمسة
من الذهب الاحمر مضروبة وعلى قدر خمسة اذرع في الهوا منصوبة

وقد قومت عينا واحد منها بياقوتتان لو سيم مثلهما على السلطان لاباعهما
لخمسين الف دينار استرخاصا ولم يستشر فيه دركا ولا اخلاصا وعلى اخر
قطعة ياقوت ازرق ذبابا من ريق الماء ورونق البها وزن اربع مائة
وخمسين مثقالا وخرج من وزن قدمي احد الاصنام المذكورة اربعة
الاف واربع مائة مثقال فكانت جملة الذهبيات الموجودة على اجرام الاشخاص
المنصوبة ثمانية وتسعين الفا وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات منها
على مائتي قطعة لم يمكن وزنها الا بعد انفصال العرض على كنف المعايير
وامر السلطان بعد بساير الاصنام فضربت بالنفط والضرام وجعلت
سقوفها مواطئ الاقدام وسار من بعد قدما يوم قنوج وقد اشتق
الفال له من تحجيبه قنوجا وعده صنعا من الله تعالى ممنوحا وخلف
وراء معظم العسكر تطميعا لراجبال ملكها في الثبات لحفة الزحام
وتنبيجا اليه قبل اللقا صورة الانهزام اذ كان امراء الهند على
غلب ديانتها اطواعا لراى قنوج اعتزازا بمكانه واعترافا بفخامة
شانه ولم يعثر على قلعة من تلك القلاع الا وضعها بالارض وعرض
اهلها على الاسلام او السيف وحاز من السبايا والنهاب والنعم الرغاب
ما يعجز انامل الحساب ووصل ثامن شعبان الى قنوج وقد فارقها راجبال
حين سمع باقدامه فرار من لا يرى الهزيمة عنه عارا ولا يعتد المفضحة

به شنارا وعبر الما المسمى كنك وهو الذي يتواصف الهنود قدره
وشرفه ويروون من عين الخلد في السما مغترفه ان احرق منهم ميت
ذرت فيه بعظامه وظنوه طهرة لاثامه وربما اتاه الناسك من
بعيد فغرق نفسه فيه يرى ان ذلك ينجيه وهو في العاجل يرديه وفي
الاجل يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع
قنوج فاذا هي سبع موضوعة على الما المذكور كالبحر المسجور وفيها
قريب من عشرة الف بيت للاصنام يزعم المشركون انها متوارثة
منذ مايتي الف سنة الى ثلثمائة الف سنة كذبا وزورا وقولا موزورا
وعتوا ولا عن سنن الهدى وكفورا وبحسب قدمها عبادتهم كانت
لها واجماعهم بالدعوات اليها وقد تردد عنها اكثر اهلها خيفة
الايم والبتر وحلول العقاب والتكبير بالهتهم الصم البكم فمن بين ناج
اعانه نجاؤه وثاو ابارة ماؤه ولم ينج من سيوف الحق ارضه
اوسماؤه فتحها كلها في يوم واحد ثم اباحها اهل عسكره يناهبونها
طلقا حلالا وسباء يونها وقتلا واذلالا وركض منها الى قلعة
منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم حي لقاح وعتاة ما لهم عن الفساد
في تلك البلاد براح فتثبتوا للقراع اشباه العفاريت عارجة والشيا طين
ماردة او مارجة حتى اذا اعوزهم الثبات واعجزهم النجاة

وعلموا ان ليست لهم بالمسلمين طاقة وان دماءهم لا شك مراقة فهاووا
من غرفات الجدران وشرفات البنيان على شبا الرماح وظبى الصفاح
استخفافا بالنفوس والارواح واستسلاما لامر الله المتاح لا جرم ان السيوف
اشربت الارض دماءهم واطعمت النسور اشلاءهم كذلك المنايا اضهاد
من خطب البهائم لم ير له ردا ولم يجد من انكاحها بدا واخذ على تعبية
ذلك نحو قلعة اسى وصاحبها المعروف بجندال بهود احد ابناء الهنود
وارباب الجنود ولم يزل ذا منعة بالملك وسعة في الملك لم تعرض له
راية فتوح منازعا ومادة الحرب مكافحا ومقاذعا فلم يرد على ان العب
اولياءه ونكل على الخيبة وراءه وقد احاط بهذه القلعة غياض
متكاثفة كاعراف الجياد ومتداخلة كاشعار الجراد لا يسحب
الافاعي فيها المرقاة ولا يستنير البدر عندها المسراة قد احاطت
بها خنادق وغيران الحفاير فسبحان الدواير احاطة النور بالثريا
فما له عنها انفراج ولا لها دونه انفراج فلما شعر المذكور بزحف
السلطان اليه في كواكب دولته ومواكب عملته فقد قلبه فرط الحذار
وجن بنفسه وكان ذنبا للفار ورأى الموت فاغرا فاه فلم يملك الا ان يولي
قفاه فامر بقلع قلعته من اصولها وتغويرها على من بها انفا لحلوها ونفى اثاره للعفاريت
انصاره يعمهون ويعمون ويضلون ويابرون حتى علم الكافرون انهم الخاسرون

وكان المخذول يرى ان اعوانه من كماة المقانب وحماة الاشاهب
ورماة الكتائب حتى رأى عسكر السلطان بين تلك المشاعب
وآثارهم بالقنا والنواصب والقسي المواطر كالسحائب فعلم ان ضرب
اللاعب خلاف ضرب الثائر الغالب وان قوس المحلج غير قوس الناشب
ولما فصل السلطان امر جندبال واذاقه في مهربه الذ العقال
عطف على جندراي احد اكابر الهنود في قلعة شروه وهو يظن
بنفسه ان القائل يعنيه بقوله

عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

فذهب بها عن ان يعطي غيره مقادة او يالف غير التقزز عادة
وكانت في غابر الايام بينه وبين تروجبال منافسات تحاحش
عن خيوط الرقاب قد امت حتى استلحمت رجالا واصطلمت ابطالا
فابطالا ثم دست الحرب بينهما فاضطر الى التوادع والتكاف
حقنا للدماء وصونا للاطراف وخطب تروجبال الى ابنته على ابنه
بهيال استدامة للالفة واماطة للفرقة واستدفاعا للفساد
واستبقاء للسيوف في الاغماد وسرح ابنه اليه على نحره عقد
الوصلة وشرط الانتاج في اللحمة والاشتراك في البيت والنعمة
فلما حصل الختن في يده جعله تحت قيده وقيده وطالبه بعوض ما ذهب

له على يده فحجز نروجيبال عن قصد قلعته واقتباض بيضته واستخلاص
ابنه من اسار محنته غير ان المنازعة لم ينفك قايمة بينهما الى ان طلعت
رايات السلطان على تلك الحدود وسفر صنع الله له في المقصد
بعد المقصود فاما نروجيبال فلحق بهوبدر احد المتعززين بحصانة
المعاقل وحزونة المداخل وخشونة المواقل خلاصا لمهجته و
اعتياصا بزعمه على من هم بانتصاص اثره واما جندراي فانه
استعد للمدافعة واحتشد للممانعة اعتزازا بوثاقة قلعته ولو ثبت
لقلعته واذا لالامتنعته ولو وثق لاختلعته فراسله هيبال بان
محمودا ليس من جنس اكابر الهنود وامراء رجالهم السودان السلامة
من مثله بغنم والجيش باسم ابيهم يستفزهم وقد رأينا من كان اقوى منك
حملة واعلى الكمة لم يقم لضربة من ضراب جنوده ولم يف لهضبة من
هضاب جنوده فان اردت الافتضاح فشانك او الخلاص فعض ما استطعت
مكانك فتعلم ان الزجر مذ نصحه وانه ان خالف الحق فضحه فسرب اثقاله
وانياله وخزائنه وامواله نحو جبال شاهق كواكب الجوزاء واجرام
توارى خضرة الارض عن عين السماء وزوى بوجه مقصده فلم يدر ابن سار
وبن ان الانقطار طار استبطن الليل ام استعد النهار وكان غرض الصبح
المظلوم في تغريبه وتقريبه اشفاقه من حبالة الاقتناص وبينا هو

من كلمة الاسلام بما سيم اعمامه واقاربه قبل حين اضطروا الى
الاستيمان والاستسلام فلما احاط السلطان بتلك القلعة وافتتحها
على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومصاعدها وتوسع منها
في علق كثير ومال على اختلاف اصنافه خطير لم يغنه الموجود
وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون طلبه واتباعه
من بذ مهربه فاقتص اثره ركضا نحو خمسة عشر فرسخا بين منابت
اشجار تصك الوجوه قدامها وسنابك احجار تصدم الحوافر
تحت جنيها ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وقد العتمة دهم
بطنان مجاهل الارض هبوطا وصعودا ولا طى المخابر لحصر
موت بزرود اذا هاب الى اولياء الاسلام وابناء الصلوة والصيام بانتضا صح
وادراع الظلام في اقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضي على
الكفر بتوهينه فكم من قتيل هناك قبل ان تمسه حرة الحديد واسير
تعبد قبل يد التعبيد فاما الاموال فباتت مجتازة دون الادواح
وستر ادون حد السلاح وحر الجراح فلا يعبؤا بها او يستغني النفوس
من عبدة الكفار وعبدة الشمس والنار وظل الاولياء يتبعون طرايح
المخاذيل ثلثة ايام بنا غاشقة لا داعيا ما وحلالا بعذر ان جمعها
الكفار حراما وامات الفيلة فمن بين مشهور ومردود ومنطوح

بالعود الى السلطان محمود لطفا من الله تعالى يبيح له غنايم الاموال
حتى يسوق اليه بهايم الاقبال لا جرم انها سميت حذاى او رد شكرا
لله تعالى على الهام ما لا يمسك بالمقامع ولا يملك في المرابع الا بالحبل الخوادع
ان ياتي طوعا فتهجر الاصنام وتخدم الدين والاسلام ولقد احسن
من قال فكانما عنى به السلطان وقد اتاه الله هذا الاحسان

قل للامير عبيد نحن مذ اتاك النيل عبدا
لو شئت اعطاك النجوم جرين في التربيع سعدا
او شئت انوء السما لانبتت زهرا وردا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا

وبلغ ما ورد من خزائن المسارب الهارب ذهبا وفضة ويواقيت محمرة وفرايد
مبيضة قرابة ثلثة الف الف درهم فاما السبي فالمشاهد على كثرة
عدده ووفور مدده وقوع الاستيام على الواحد ما بين درهمين الى
عشرة دراهم ذلك فضل الله الذي ادخره لايام السلطان يمين الدولة
وهو المليء له بتمام الثواب يوم قيام الحساب والحمد لله خير معبود و
محمود وله الشكر على ما اقر به عين محمد عليه السلم بمحمود و
حسبنا الله حل وعلا المعين

ذكر المسجد الجامع بغزنة

ولما عاد السلطان يمين الدولة
على هيئة النصر الموكل بقمع الكافر المفتري المحلل بسعدي السما

الزهرة والمشتري الى دار الملك بغزنة وقد كاد ان يفيض
سيحها على عدد الارقا من العبيد والاما حتى استرغب عليها
اكياس التجار الصادرين اليها عن نوازح الديار ونوازع الامصار
فحصل ما وراء النهر الى مرابع العراق ومبادي الاشراق منها ما خلط بيضهم
بالسود وعدل التمليك بين المسود والمسود احب ان يشفق ما آتاه
الله عليه من نفائس اولئك العلف الاغفال في عمل بر يستبيح جدواه
ويربح الى امن الاحتساب مغناه وكان قد اوعز باختطاط صعيد
من ساحة غزنة للمسجد الجامع اذ كان ما اختط قديما على قدر اهليها
حيث عدت من زمعات البلاد بخطوط دار وشطون مزار فوافق عوده
من مضربه حصول المراد من تقطيعه وتوسيعه واقامة الجدران
على تربيعه فصبت بدر المال على الصناع كما صبت دما الابطال
يوم القراع ونصب لمشارفتهم احد الزعما لحضرته فهو يطوف عليهم
مطالبا بصدق العمل ومعاتبا على رم الخلل حتى اذا نور سدف
الشمس فلك الجبل اقام الالسن المواربين ناطقة بالانصاف وادنته
بالجزاف يمسون بين اجر عاجل على السلطان منقود واجل
على الرحمن موعود ونقل اليه من اقطار الهند والسند جذوع توافقت
قدودا وزكانة وتناسبت نذورا وحاله كانها اسود عث

ارحام الارض لآن معلوم وفجعت باعمارها ليوم محتوم فجاءت
ولا الحق كمالا ولا العدل استقامة واعتدالا تبنى عليها الملاسة
والسداد وكأن بها صمما فهى لا تصغى ولا تنكاد وقد فرشت
ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضروب بسحيق على تقطيع
التربيع اشد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرآة وعقدت
عند منتهى الابصار طاقات كما تنعطف الدوائر على نقط المراكز
فلو عاش سنمار لعد فى جنبها معدا لواهن العاجز فاما الاصباغ
تطالع من روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف
الابصار وتستعبد النظار فاما الذهب فحسبك منه ان صناع
الرصافة قد عزت عليهم الحقاق وصح لهم تكليف ما لا يطاق ولبس
صفائح الزرياب فقط لكنه صبابات الذهب الاحمر فرغت عن صور
الاصنام المجذوذة والبردة المأخوذة فطفقت تعرض على النار بعد
ان كانت الهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت بالخدود
والمفارق والبس الذى يبقى على جدران مساجد الله عبرة للموحدين
وغيظا على الملحدين اتم سماحة واكرم راحة بمن تفرغه معبودا
وينصبه للنفع والضر مقصودا اعوذ بالله من رب شواره عار وهو
محتاج الى شعار وجزى الله عن الاسلام

ملكا هذا افعاله واعماله وامتهان الروح والممنوح فى سبيل الله
دابه واداابه نعم وقد افرد السلطان لخاصته فى المسجد بيتا مشرفا
عليه مكعب البنا موسع الفنا متناسب الزوايا والارجا فرشه
وازاره من الرخام كررت عليها الظهور حتى نقل من ارض
بنيسابور وقد احيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الاحمر
مكحلا باللازورد فى تفاريج من الوان المنثور والورد من يرها
بعينه يقل بلسانه لاستحسانه لان هذا الاستاذ ممتعا ببنائه
الامر راى مسجد دمشق فراعه مرآه وشاقه المنظر حتى شاه
وقضى بان ليس يوجد شرواه دونك هذا البيت بلى منك المثوبة و
ينعكس عليك الفضة ويثبتك ان الحسن بعض صفاته والابداع احد
سماته وان غاية الهند من قدام نفوسنه والهمة العليا قد طمحت بعو
نعم وامام هذا البيت مقصورة بتفاريج عليها منصوبة تسع ثلثة الف
غلام ممن شهده الفرض اخذوا اماكنهم منها صفوفا واقبلوا على
انتظار الاذان عكوفا واضيف الى المسجد مدرسة يتحا بتشيد
بنوبها من بساط الارض الى مناط السقوف على تصانيف الايمة الماضين
من علوم الاولين والاخرين ينفق له عن خزاين الملوك الصيد بعد واعز
ديار العراق ورباع الافاق حتى امنوها بخطوط كهار بمنوط

مصحّحة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد وبين بابيها
فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين على الكفاية
ذوي الحاجة منهم ما يعمّهم جراية وافرة ومعيشة حاضرة
وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف طريق يفضي اليه في
أمن من ابتذال العيون اللوامح واعتراض الرجال بين صالح وطالح
فيركب اليه على وقر سكينته وشمول طمأنينته حتى يقضي المكتوبة
ويقتضي الاجر والمثوبة فأما سائر دور الحجاب وقصور القواد
مما بنى بحقائق الانفاق عليها الأمن أتاها اعتبارا او شاهدها اختبارا
يرى ملء الاباطح ابنية تشرف على الهضاب شرفاتها وتكاد تعترف
من نهر المجرة غرفاتها وناهيك من بلد يحتوي على مربط الف فيل
يشغل كل منها بسائسه وما يرتبه دارا كبيرة وخطة وسيعة
ان الله تعالى اذا اراد عمر البلاد وكثّر العباد وهو على ما يشاء
قدير ه ذكر الافغانية ولما قضى السلطان وطره
الغبيط بغزوته وانثل الحرب بتشقيقه وسمح الوقت بحاضر ريعه
وقد كان طوائف من الافغانية المستوطنين قلل تلك الجبال
الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا بفعل القطاع لذنابى حواشيه
منصرفه عن غزوته فتوخى اغزاءهم بمناعة اماكنهم وحصانة مسالكهم

اذ تخطيا خفا افعالهم والتباسهم بمناكير امثالهم فرأى
ان يشفي منهم بركضة يتيح عليهم اوكارهم وملاجيهم وتخضب
بدماء النحور جباجبهم فعزم على ما دبّر وصمم على ما قدّر وورّى
بنهضة نحو اخرى اقطار مملكته ثم ركض عليهم ركضة صبحتهم
في مراقدهم فلم يشعروا الا بحر الصفاح على برد الصباح ه
صرعى الى صرعى كأن جلودهم طليت بها الشيان والعلّام
ضربات كالبرق تقطف الرؤوس عن النحور وتنزع النحور على الحجور
فيالها بهمة أتت عليهم الرقود وآلت حلفة ان لا يعودوا ويشهدوا
اليوم الموعود فكم من جثث فوق الاعلام ورؤوس تحت الاقدام حتى
اذا استلحمت السيوف اجسامهم ولم يبق الا ايتامهم وايامهم
كف كف الانذار وعلا ذروة العز بالانحدار وعادت تلك
الوعور سهولا وكان امر الله مفعولا وعطف الى غزنة مميلا
للرأي بين ان يشتو ببلخ مستجما ولغابر السنة في القرار مستتما
وبين ان يركب نيته بهمته في غزوة يفتتح بها في ضبابات الكنود عه
عن ديار الهنود ويجهز اعلى من كان يضرب بذنبه في مغربه كالوتد
المحنة لا يلبث ان يموت فأبت عليه حمية الاسلام ان يشبع على
القعود جريضه او يستقي في مجالس الاغماد بيضه وبي عنانه

نحو الهند في رجال يرون مشتهى الشهوات صهوات الخيول وقصوى
اللذات ملاقاة الخيول ويجتزون بالظهور اسرة مرفوعة
وبالاكوار وسايد موضوعة وبالسموم رياحين منطوفة وبالهواجر
الطرق صحفا موصوفة وبالعرق السايل ماء وردٍ وبالقسطل الثاير
نثار عبير وقيان تحدو بالليل سكنا ووراداً وبالنجوم ندامى
وسمار القمر ثمه نسبت فان اباهم المشرفيات بواتك والزاعبيات
فواتك واعمامهم القسي جوارع واخوالهم النبال قوارع ومازال
يخوض ابحارا هايجة واودية هادية لم يمض قطاع عزم فاهادية
وعين الله ترعاه في كل سعي يسعاه حتى اقتحم مغارات اوليك
المغاوير بلد بارات اوليك المدابر فظلت رذايا الملك يضجون
بالويل والثبور ويصيح النوح رواجع بيت الله المعمور ومازال
السلطان يمنح من امن واطاع ويفضح من اظهر الامتناع لتغدان
اصاب غنايم لا يضبطها حساب ولا يطعمها ما ولا تراب حتى انتهى
المسير به الى ما يعرف براهن غابر الخاص جمن القرار كالخضخاض
قطران يبتلع الخف والحافر ويبتلع الدارع كما يبتلع الحاسر فاذا
بروجبال من تلك الحيرة في رجال كالصرم وافيال كخف الادم
تداحضهم فاجهى المكضة جدره واسند الى راحل النهر ظهره

٢٠٨

ورام ان يمنع السلطان عبوره ويشغل عن اقتحام النهر جمهوره
حتى اذا اكتحل الليل بنهاره مر في ذمة استاره مرور مروان
على حماره فلما علم السلطان ذلك من قصده وراى استعداده و
احتشاده لصده امر بالاطواف فهيئت للعبور واهاب الى عدة
من غلمانه للركوب فامتثل الامر ثمانية منهم ينشدون القدوة النضو ى
ويلزمون كلمة التقوى فلما راى بروجبال استقلال الما بهم
بينا دون العدوة القصوى رماهم بخمسة من فيلته المحققة ويفوج
من رجاله المصففة فاراد الله تعالى ان يحقق لنبيه الامي ثم الامين
ورسوله المويد بالتمكين حيث قال زويت لي الارض فاريت مشار قها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فالهم تلك العدة
ان استوقفوها عن مطاياها خرز الاطراف هاتيك الاحقاف بالنبال
وعز الهابطين في وجوه تلك الضلال بمعجزة لم يسمع بمثلها قبلها
تمنية تجرع سيلا ويدفع فيله وحيلة ويدرس لقط السلطان
عند عيان ذلك البرهان ان قال من يزيد على السباحة فليسبق اليوم
الراحة فاذا الخاصة ومعظم العامة خايضين ولصفف الماء ابيض
فزارة يسبحون بالاطراف واخرى يسبحون الى الاعراف حتى
لفظهم النهر سالمين لم يبخس لهم حسيبة ولم يعطب جريبة ولم يذهب

بحمد الله سبحانه وحمل السلطان بهم وقد برزوا على الظهور حملة
فرق عنهم بين عفير سكرًا من عقار الحدود واسير حيران من
اسر القدود وطريد خائف دمع النواصب وقتيل يرى النجوم الثواقب
وصار ما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتان وعشرون تمثال الاجسام
كتمثال الغمام كأنها صدع الجبال عند طارقة الزلازل وقطار الكلام
هزما لا يملك عزيمًا ولا يقدر تأخيرًا ولا تقديمًا وقد كان السلطان
قبل ان لقي الكافر ولبس جوشنة الدروع والمغافر اخذ فالًا من
كتاب الله تعالى يهديه عاقبة ما ينوبه فخرج له قوله عسى ربكم
ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فلما
حقق الله وعده ونصره بفضله وحده ضمن على نفسه ان يفي بواجب
عمله عدلًا يرفه الانام رعيةً ويؤيد الاسلام وشكرًا يقيد الانعام
لا جرم ان الله كالئه وحاميه ومصيبه به اغراض آماله وامانيه والذي
يدخر الله له من ثواب المعاد ارجح مقادير وارجح مكاييل ومعايير ه

ذكر القاضي ابي العلاء صاعد بن محمد وابي بكر محمد بن اسحق بن محمشاد وما
انتهى اليه امرهما بنيسابور قد كان ابو بكر من مرموقين بالنباهة في صدر هذه
الدولة لمكان ابيه في الزهادة وقصره الاوقات على العبادة واستقبال
نهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ناصر الدين سبكتكين يرى

من عصابته في التزهد والتعفف والترهب والتقشف ما قل وجود
مثله في كثير من فقهاء الدين واعيان المتعبدين فحلا ذلك في قلبه
كما حلي بعينه والمجاهد في الله تعالى حده محبوب وقد يكرم
اهل الشفاعة من له ذنوب واستمر السلطان بعده على وتيرته
في ملاحظتهم بعين الاحترام وايثار طوائف الكرامية بالاكرام
حتى قال ابو الفتح البستي فيما شاهد من نفاق اسواقهم ه

الفقه فقه ابي حنيفة وحده ... والدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يؤمنوا ... بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه لما تورد
جيوش الخانية خراسان عند غزوة السلطان ناحية الملتان
قصدوا نيسابور على ابي بكر احتياطًا لانفسهم من شيعته واحتراسًا
من غامض مكيدته ونقلوه في جملتهم حين طلعت رايات السلطان
من مغاربها وانتضت سيوف الحق عن مضاربها الى ان وجد فيهم
فرصة الافلات والسلامة على من تلك الآفات فاعتد السلطان ذلك
له في سائر مواتّه واوجب له حقًا بعين مراعاته ونبغت من ارباب البدع
الباطنية على ما نسبت به الملاعنة والله اعلم بما تجنه الضمائر وتعالى
والنيات قيام وافقت تصلبًا من السلطان في استيصالهم وتعصبًا لدين الله

فى احتناك امثالهم محشر وامن اطراف البلاد وصلبوا عبرة
للعباد وكان ابو بكر احد اعوان السلطان على رايه حسن الجلية
ونصوبا للرای عليه فصار البرى كالسقيم مذعورا وعاد البلا
فى عارض الخطب شورى وراى الناس ان ربقة السم القاتل
ومدية السيف الفاصل تخضعوا له بالطاعة وفرشوا له خدود الضراعة
وانعقدت له الرياسة فى لبسة الصوف وحظته الخاصة والعامة
لعين المرجو والمخوف ووجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة
الابتداع فاستزلوا الناس واستفحى الاكياس من الظانهم
بمكاس رمى بفساد معتقده او يعطى الجزية عن يد وعبرت
على هذه الجملة سنون لا مطمع لاحد فى تبديل شكلها وتحويل
فادح الحال عن اهلها ولا علم بان الزمان بتغير الاحوال ضمين وبالخلاف
المعتاد رهين ومن صبر على الايام راى الرضيع وضيعا والضليع ضريعا
وشاهد عن سموم المنتظر اكالحا وصفيعا وتوق القاضي ابى العلا
صاعد بن محمد ان حج بيت الله الحرام سنة اشر وهو الامام الموثوق والزاهد الموصوف
والفاضل الجزل والبازل المحل قضى اكثر عمره على الحظ النفيس من الدرس و
التدريس يتطفل عليه الاعمال تنالها وتصبا اليه الاغراض ويرى الحال
بما عداها ومن حاز شرف العلم لم يستشرف بمنافسة ولم يعد به حظا وان كان جليلا

فلما حصل بدار السلام وانهى الى القادر بالله امير المومنين خبره فى
حجه بيت الله الحرام قوبل بمقتضى حقه فى الاسلام من واجب الاثرة
والاكرام وظاهر التوقير والاعظام وعضد بالكتاب الى حضرة
السلطان فيما يعز من حاله ونحى مهمات اوجب الاحتياط شرحها
على لسان مقاله فلما عاد من وجهه تحضر الحضرة السلطانية بغزنة
فعرض ما صحبه وقرر ما تحمله وادى من حق الامانة ما لزمه وبها
الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق يجرى فى مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم
القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى بما لا يليق بذاته الكريم فانف
السلطان لهذه الشنعا من مقالهم والفور من نحوى جدالهم ودعا
ابا بكر سايلا عنه وباحثا صورة الحال منه فانكر اعتقاد ما نسب
اليه واظهر البراة عما احيل به عليه فسلم مع الانكار عن مس العتب
والانكار فاما الباقون فان الكتب نفذت الى العمال فى تقدير
الاستقصا عليهم ثم اظهر البراة عن قوله التشبيع واعتقاده الموجب
للتبديع برك وشانه من عقد المجالس للتدريس وشرف المنابر للتذكير
ومن اصر على دعواه ولم يختر لنفسه سواه جعل مغناه عليه حصيرا
وكدّ لسانه دون الفضول قصيرا وخلع السلطان على القاضي
خلعة لا فت خيلاله قدره وزخارة فخره ورعاية امير المومنين لحقه

وإبعاده بتمهيد أمره وصرف كلاً منهما على جملة الإيناس والتفخيم
على أعين الناس ولم يزل غصة التوسل بالتجسيم ناشبة في صدر أبي بكر
بتتابع الأيام على هزة المكافأة بها إلى أن استتب له الأمر
في عقد محضر على انتحاله مذهب الاعتزال وتحرر خطوط قوم من
الأعيان سلكوا فيه طريق المساعدة وتنفسوا به عن وغرة المنافسة
فغيظا ما الإبطاء دا دخيل وهم على سر التنويس بزيل واحتيل
في عرض المحضر على السلطان استفساد الصورة لديه فوقع التدبير
موقعه من الاحتياط ورأى أن يبحث عن صورة المرفوع في أصناف
من صور أو إبطال من زور فأنهض قاضي قضاته وأوحد ثقاته أبا محمد
الناصحي من لم يشركه أحد في اصطناعه والجذب إلى القلائد بباعه
فإنه استخصه على طراءة شبابه بالخلتين قلما يوجد في فرح الإنسان
فضلاً عن أحداث الفتيان والشبان وهما الورع أخوان دونهما
الدر بالياقوت والصحة بلمعان الموت وأقعده بعزته دار الملك
للتدريس والفتوى وإصباح الناس من ساطع نوره في التقوى حتى
إذا بهر كماله وطمح بالفضل كماله وولاه القضاء على القضاة
في عامة ممالكه ثقة بقوته وأمانته وورعه ونزاهته فتولاه
بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء أو روضة الحزن ديمتها السما

عشاه نعم وأمره بأن يستحضر القاضي أبا العلاء صاعداً وأبا بكر
الأستاذ في وجوه الذوات وأعيان الشهود ويطالب بإقامة
الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤوس الملأ من غير
محاشاة أو جنوح إلى مداهنة ومحاباة فقابل الأمر بالامتثال
وتجافى عن حرمة العلم لحشمة المال وهيبة الجلال وسأل أرباب
الخطوط عما عندهم من قضية الحال وجلية المقال فأما أبو بكر
فإنه أراد أن يتلافى ما غير الخطب فزعم أن الاشتراك في رتبة العلم
أحدث بينهما منافسة شاع معها مذهبي التجسيم والاعتزال
فلا يصح ما ينسبني إليه ولا أقرر ما ادعيته عليه وأما الآخرون فمن
جار على حكم المساعدة في المحاباة والمهاودة ومن حادر
لتأثير الاحتشام في التصريح وإطلاق الدعوى باللفظ الفصيح
مكاشفة عدل الشهادة إلى التعصب وسيء لذلك وجوه أهل
الرأي حتى كادت تثور فتنة لولا أن هيبة السلطان أخرست
الألسن الطوال وضربت على القلوب النطاق والاختلاف وتلطف
قاضي القضاة لعرض الحال وتقرير صورة المحال واتفق أن تحسس الأمير
الأجل أبو المظفر نصر بن ناصر الدين في مجلس السلطان قصة الموقف بباب
القاضي أبي العلاء فنبه على سمته وسيماه وإبانة ورعه وتقواه والتمس

على سبيل التلطف أن يقع تلافٍ للمقاصّة به وتداركٌ للمهانة الطارئة
عليه بعزله من تصدّى لمكاشفته وتعرّض لاستفساد مكاتبته فوق
به السلطان فيما فاته وحرس من أن تصاعد أجلّ من أن يعتقد الاعتزال
وأمر باستخلاص من انتدب لمراغمته ومقابلته بما اقتضاه حكم وما جنته
واستخلص القاضي فزاره بيته فلم يكن يبرز إلا لغرض بعينه أو علم
بمثله مختبر بالله تعالى من جدّه عن غيره ومستغنيًا بما أدرّه عليه
من خيره ورأى أن بقيّة العمر أعزّ من أن يضاع على المتبذل والقال
وخدمة فضول الآمال ومن أولى ما يضم قدر العلم بالابتذال و
أسباب ولدين له كالفرقدين والنيّرين أبا الحسن وأبا سعيد شريكي
عنان في المروءة والفتوّة رضيعي لبان في أمر النبوّة وأحكام
آيات الله المتلوّة في قضاء المواجب واحتمال النوائب
فعني له عن حقوق الناس وفرغ لعلم النظر والقياس وحظي
بمثل ما أنبأ عنه أبو الفتح البستي من حاله بقوله

قد جمع الله تعالى فيهنّ عزّي وحسن حالي
بلاغ علمٍ مستساغ مشربٍ رفاغ عيشٍ فراغ بال

نعم وأطلق نادي الأيام على نباهة أبي بكر وارتفاع مكانته

واتساع حشمته ومهابته وانبساط أيدي حاشيته في أموال
وأعراض أهل ناحيته واستمرار الفساد بينه وبين أعيان الأشراف
في جيرته السنّ الجمهور بحضرة السلطان بما طغا من حاله وبغى
من حرج نبا له إدلالًا بما قاء عليه واعتمادًا بزعمه على ما سبق العلم
به من خلوص الضمير ورشاد سبيله فتداركه الاحتمال مدّة من الزمان
مديدة محافظةً على الصنيعة من الانتزاع والعارفة من الارتجاع
وإبقاءً على المحل المرموق في الله من أن يلمّ به انحطاط أو يحلّ له رباط
حتى إذا جاوز الاحتمال حدّه وامتنع المستمر ذبعده عقد
السلطان رياسة نيسابور لأبي علي الحسن بن محمد بن العباس وقد كان
جدّه في دولة آل سامان محدودًا وفي جملة الأعيان والمشاهير معدودًا
وآثره فيما بين آثار الرجال محمودًا ووافق أبوه أيام السلطان أول
مقدمه خراسان وانتصابه منصب أصحاب الجيوش لآل سامان فاختلط
خاقاهما على مناسبة الشباب وعرف السلطان له حق الخدمة و
الاصطحاب عند أنه اغتبط في شبابه فعاد كما بدا وكل امرئ
يومًا مرداه إلى الردى وكان يقرب أبا نصر أحمد بن ميكال بقرابته وأواصر
مسحابه فتشأى جملته نشأة المقبل وخرج خروج القدح فرح من
مقبل وأحدثت له شكر النعمة يحمه وصفو الخدمة إذ بادهه فلما

مضى ابو نصر لسبيله انتهى الى السلطان حاله في كيسه وذلاقته
وظرفه ولباقته فاستحضره لتجربته فوافق اول النظرة قبولا وطرفا
بمورد الاعجاب مكحولا وازداد على طول الخبرة وفاقا وعلى
سوق الخدمة نفاقا فمتى نمو الاشيا اصلحها التدبير وتنجحها
التاثير والما التميز حتى سمت به المراتب وتوجهت اليه الرغبات
والرغائب وقابلت حشمته حشمة ارباب الجنود وسادات
الاقلام والجدود وكان غرض السلطان نعقد الرياسة له ان يتبع
به من انعقدت له بالة النالة والتعبد وسابقة الزهد والتزهد
فقدر ان الذي حظي به معقود بالدين فلا سبيل الى حله ولا
يخاف ابدا المستنهله ويرجع به الى ما يوجبه حكم النية من رفض
المراتب العلية والمطامع الدنياوية فلما وردها ساس
اهلها سياسة لو عاش البهار باد لعاد على سياسته يعين استزادته
تحنق عليه حتى صبر الجنادب وسكن حتى دبيب العقارب
وهدا حتى شغب المراتب وسكن حتى دوي المذاهب فكانما
ابل به شفيقة الشتا فلكل سامة او حامة في الوجار الجاذ
وقد بث عبد الله حوف اسامه على الليل حتى تاذب بعماريه
ما ان هيبة السلطان هي التي خطبت الهمايم وخطمت الافا ايهم

فلو وكل بعض همته برواسي الارض لاصبحت منسوفة او بطوامي
البحر لعادت منزوفة فما خطر خطة يتيه بها عن الرشد نابه
ويعمى عندها عن قصد الصواب نبيه او نابه ومن احسن في حسب
مثاله فعن عون القدر وحكم الفلك الدوار على البشر ابى الله
ان نجم على ذمم المريد شهاب او يهدج على سنن المحول ذباب
وتطرق الرتبين حواشي المقصود فنزع منهم بعض ما اخذوه رشى
واحتسوه ترويا لا وكتسى ثم تعلم الى بعض العلاع عبرة لمن
اكل بالله واظهر الزهد ثم لم يتوكل على الله وهم بما حبهم
فاخذ جزيه واوحى من دونه ستره ولم يقصد السلطان قصد
استيصاله ونفضه عن فضول ماله فترك وراء الحجاب على قدم الرها ده
وغصص الفطام عن العادة وعطف من بعد الى جماعة الاشراف
العلوية ذوي الاقدار العلية فاشعرهم ان حشمتهم بالطاعة
موصولة وحرمتهم بلزوم القصد وترك التعدي الحرم مكفولة فتلقوه
بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال علما بانه امر ظل الله في ارضه
فما بقى عنه غير الانقياد والميل على الغلو للاقتصاد واستخلف
على الرياسة عند النهوض الى الحضرة ابا نصر منصور بن رامش وهو بصريه
بتربية ابي السلطان الا قطعها عليه صيانة له من تعبير الكرام

وتزيا الرجال عند ذكر الازحام وطوع له قياد الاحرار والاشراف
الكبار والزمهم ان يخدموه بكرة بكرة وآصالاً ويخضعون
بطاعته جملة وتفصيلاً ومن ورم انفه دون طاعته شريفاً كان او
نبي عن بلده وعزي عما يختص به فتحصنت اليه الاعناق واخرفت
بفنائه الاحداق واستتبت له رياسة لا عهد لاحد بمثلها من رؤساء
خراسان الا ابا عبد الله القمي فانه بلغ مثلها ولكن على عمر مديد
وعز عتيد وباس شديد وخدم وعبيد ومال لا ينادي على العفاة
هل من مزيد وفرش في زمانه بساط العدل بقواعد الاحفاش كرجالات
الثروة والرياش اشتراكاً في الانصاف ونفقت سوق الاحتساب
بالدرر فوق الاكتاف من بزغة مرفوضة ودسية مخفوضة في حدود
على الحق مثامة وعيون دون التصول نيامة وبطلت معها الحانات
والمواخير وخرست العيدان والمزامير وركدت الحان النابحات
والسكارى واستوت في الانجحار والتباد باورا الاستار عوان
النساء بالعذارى فاما شوارع اسواق البلد فقد كانت منذ بنيت
نيسابور فضاء لا تكنها غطاء ولا تظلها دون السماء سماء تخرقها
الاعاصير تارة وتردعها الاهاضيب اخرى فاما التراب فمثار
واما الانداء فلوجاً وانطاراً لم ينظر احد من ملوك خراسان واصحاب

الجيوش بها الحاقها باخواتها من ديار خراسان تسقيفاً لها وتستيراً و
تطبيقاً عن الاقذار وتطهيراً حتى ورد الرئيس ابو علي فطال اهلها
به فلم يمض شهران حتى سمت نحو السماك سقوفها وقامت على ركائز
الاعواد عروقها من بين منقش ومزخرف ومدبج بالاصباغ ومشوف
يفتح منها فرج يقذر ما يلي ضياء النهار على الابصار دون ما يوسع لذرور
الغبار ومكن لدرور الامطار وعن الخبر ان استغراق قدر العمارة
مائة الف دينار عن طيب النفوس وفضل الكيوس لم يتكلف احد عليها
ولم يستكره دون المثال منها بل عمتهم المباهاة وشملتهم المباراة
فانفقوا موفرين ومستنصرين ولا تعشهم على العجز دون المراد مستقصرين
فمن يسوق ناسفا او عاشر البس باديا او ثانيا بارداً الى الكاهل
قذاله ومن ترك على شغل النظر اشتغاله فيالها من سموك شاخص نحو
السماك وزابد فلكاً ثانيا على الافلاك ولما عاد الرئيس الى الحضرة
وقرر حال من تولاه ومن عزله وولاه وافق هوى السلطان ورضاه
فصادف تقريراً وتمكيناً واحماداً ارتعاً مستبيناً وسنورد شرح
من هذه الاحوال ان اراد الله ويسره ه

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما ملك
خراسان واخلاها من زادمة آل سامان عرف لهم موالاتهم اياه وهجرته

فيها اسمعيل بن ناصر الدين اخاه اعظاما لحق الكبر واعترافا
بواجب الفرض فولاه بنيسابور مظنة اصحاب الجيوش الاكابر
على وجه الزمان الغابر سادا مكانه من قبل اذ هو سائس
الجمهور ومدبر هاتيك الامور ومن وضع اخاه موضعا قد سده
قبل بنفسه وراه اهلا لبعض قدره فقد بالغ في البر والتوقير وخرج
من عهدة التقصير فوليها سنين عدة حميد السيرة في الجيرة كريم
الفعال في سياسة الرجال وجرى على يده من رضي الاثار في مطاردة
ابي ابرهيم المنتصر عند ركضاته وكفاية ما كان يطرا من معرته
وشذاته ما تقدم شرحه ثم راى السلطان بعد ذلك ان يجمع به
شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه واهل به مستجمة وبغزاه
فلم يزايله بعد بحاله ولم يفاصله في حالتي حله وترحاله وكان يراه
في مقاماته اول من سمح بروحه في المحاماة على دين الله والمراماة دون
حق الله ووافينا ابناها بمحنته اذ كشف زحامه وعظم على جيوش
حق الله استلحام شعفة الجيش بها لحمة القربى ونجته من
الرحم الدنيا وكان ينصر مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه اعتقادا
ويرى الاستمساك بها رشادا فامر بمدرسة بنيسابور
في جوار القاضي صاعد بن محمد وانفق مالا حتى ابتناها

وحبس حبائس على من اواها ودارس بما لها العلم في ذراها فبقيت
تذكرة عنه تغدى بالعلم وتراح وتمسى عليها الامساء والاصباح
ولم يتمتع السلطان منه طول ايامه فولا تحلا او لنظا دون
الصواب مستحالا ولا اشك احد من الكبار له جانبا وتعالى اشفاق
الرءوس على الاتباع تجانبا وقضى الله ان خانه الشباب ولما استوفى
امده ولا نقص بباقي الامل فيه يده فلحق بالواحد الغفار ان الكرام
قليلة الاعمار وحكيت في مرثيته رسالة سبكت ابياتها في ذكره
فقلت اذ كانت ضمنها ما يفي بشرح حاله وتقرير بعض خصاله وهي هذه

آه من سفرة بغير اياب   آه من حسرة على الاياب
آه من مضجع الامير المفدى   فوق فرشين من الحصى والتراب
نصر بن الامير ناصر دين الله   صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش درة الشرق تاج الفخر   غوث الكرام والكتاب

نعيا يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا اعيان العلوم يا اعيان النجوم
يا شيوخ الاسلام يا عيون الكرام يا احرار الزمان يا انصار السلطان نعيا
الى كل حي تقاضى الكرم احتل ربع البنا اتدرون اي ركن
انهدم واي حد انثلم واي عقد انفصم واي صور انقصم واي روض
ذبل واي نجم افل واي نحر نضب واي طود نضب واي خطب نزل

وأي نصر رحل إذ رحل والله نصر بن الأمير الجليل ناصر الدين بن الأمير
الأمير والشهاب بن الأثير والبحر بن الصبير والحبر بن النحرير في
العنبر بن العبير مرتخ الملك أو عفاره وسور الدين أو سواره وركن
القرآن أو غراره ونور المجد أو عذاره وغارت به نجيرة الأدب التي
استعذبتها الشفاه وحلت قبلة العلم التي ولبت سطرها الجباه
وعزبت دوحة الكرم التي خطبها العفاة وجفت طينة الفضل
التي خدمتها الكفاة وطلقت كريمة البر التي درس عليها
التوحيد وغذي بها اليافع والوليد وأجيبت عليها فواصل النهار
وخليت عواطل الأنجاد واتسعت سماء سام أبناء الدين بوارقها
وخاف أحزاب الكفر والجحود صواعقها فلا نار ولا ماء ولا خوف
ولا رجاء فأصبح به جيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان مشوقا
وبناء العز منقوضا ولواء المجد مخفوضا ودمع الدين مسفوحا
وطرف الإسلام مجروحا وأقبل العلم في صورة المجوع وبزة الخشوع
بقرمط خطوه ويبعث إلى أهله شكوه مغرقا في صعدا تذوب
لها جوامد الدموع ويتيك عليها لواجب الضلوع ٥

فلو غير المنون أتاه أهوى إليه أخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصباح المفاخر
ولكن القضاء له مضاء يذل لعز مضربه المناخر
ألا يا صاحبي سمعكما الذي أركبتما مستعدين وجامعين إلى كلمي البدن
ألما على نصر وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر نصر أنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة موضعا
ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فلما مضى نصر مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين السماحة أجدعا

لئن جاز للموت أن يغصب الأمير نصرا لقد ساغ أن أغصبها معنا
وابن معن من شغف ملك الشرق وساير جمهور الخلق والقاعد
من نعمة المؤيد بن على الشرق سلطان الزمان يمين الدولة وأمين الملة
من ذات لعزه الغرور واستكانت لهيبته الترك والروم ففي بعض
حماله ألف شعتي لم يرق إليه معن بهمته ولم يبلغ له ذكرا في ديوان
نعمته نال الخطرة من سلطان زمانه بانيا إذا الحرب قامت
على ساق ودارت كؤوسها بين حاسر وساق وقد فضحه ابن بيان
في جوده وفضله بالسخاء عن موجوده ثم لم يعرض له قط صيانة
لنعاله ولم يعرف عليه من بعد ذهابا بعز جماله وجماله فهان الأمير

نضرا وورث العز اباه ولم يتخذ مدى العمر الا اخاه ولم يشته
غير فراغ الاكياس عن شغل المواهب وفلول الاسياف عن قراع
الكتائب وقطيعة الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة
السلطان وولي النعم لشأن القرآن والتفسير والايجاز والتذكير
والعلم بالصلوة والصيام والفرق بين الحلال والحرام وسحر الورى
بطرف العنان وسن القلم بحد السنان قد انقسمت ايامه شرايط
السلم باسمة الثغور والحرب ظاهرة الشرور فاما المقام والبواتر
واما الدفاتر والمحابر واما المحاضر والمنابر واما القناطر و
السماط فيوما في جحيم الغضب ويوما في نعيم الادب ويوما بين
ظلال السيوف ويوما بين معاني الحروف رفيقه اذا اخشى
رمح او قبيعة ونديمه اذا احتبى حكمة او شريعة فكم في ديار
الهند له من وقايع انطقت الحديد واخرست الوليد وسكرت
السيوف وخربت العروق وغادرت بيض التاج في قمة الجبل
وحصنت الجرح عن نبلة الكحيل وكم في نوادي الفضل له من
محاسن يلتثم اطرافها الكلم ويعشق اوصافها الامم ويستجد
لاعتابها الحلم ويأوي الى برد ظلالها الكرم قد عنيت بذوب
العقول عن صفو الشمول وتحلو المقال عن كعب الغزال وبعد

البراهين عن نزه الرياحين فالخلد عن ذكره محشور وكان بيوت
من طيب نشره منشور وايبة الهدى عليه عكوف وملايك العرش
حوله صفوف لمن صحيفة الذكر منشوره ومن اخرى باقلام العدل
مسطوره لا للغو ولا تاثيم الا قيلا صوابا وحديثا لخالص البر منذ ابا
نبش عليه الدهر مكانه ان الدهر غيور وعلى عقائل الزمان
حسود فصرعه كيادا للنظار وافجعه عنادا للاحرار شاغلا
عن الجود يمينه وعن السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو
سيفه وسنانه حتى اذا كان يطمع في انعاشه واستمكانه وقد
وزن على مقبار الفدا باضعاف جثمانه فجعه بروحه الطاهرة
ونفسه التي لم تغتذ الا لنعيم الاخرة فتنحى عن العمر انضر ما كان
غصن شباب وانطقه نضر خطاب واكرمه عود نضار واحفظه
حق ذمار واوثقه بالدنيا دار قرار فكم هنالك من ستور
مهتوكه ودموع مسفوكه وجيوب مشقوقه وقدود من محلوقه
وصدور مكلومه وخدود بنعال السبت ملطومه ه

رمى الحدثان نسوة الضر بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

حتى اذا انشر ردا الردى عليه وقربت حموله الملك اليه نازعته

اكتاف الرجال كما سار عنه بل ظهما الآمال فكان الشمس غبرى من خشو التراب والارض غرقى في دموع المصاب والاذان موقورة من رنع العقاير والابصار مخطوفة من نقص الغداير وقد غدت الوجوه مسفورة للنظار والجموع محشورة للاعتبار والعيون من جموم تجرى سواكبه وجمود لا تهدى ما اقبه وودت زهر النجوم لو صادفن ليلا وتدعون وبيلا وتتاوحن على المصاب جيلا فجيلا فاما الليل فقد احسن فيه من قال وان رحب لما ارتحاله ٥

لقد بكت الليالي في دجاها لموتنا الغوم مصباح الانام
فما شخاص النجوم الزهر مما تحشم من مدامعها السجام
وبطل محبرا اكل ناكل ساير وصاير الى موقع الوداع جاير ٥
من كان مسرورا بموت اميرنا فليات نسوته بوجه نهار
يجد النسا حواسرا يندبنه يخمشن حر الوجه بالاسحار
قد كن يخبان الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار ٥

ها انا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركنا القلوب شعوبا وادمعت الاكباد ثقوبا وكظمت النفوس كروبا وسحبت العيون غروبا وتجهمت الوجوه قطوبا وتركت فينا الاصلاب اتراب فانوبا وسارت بشخص العلى الى قرضها المبلى فزيدا وحيدا

لم يغن عنه جوده ولم تجد عليه جنوده ولم يتنازل عنه قبوله ولم يناضل عنه مزده وكهوله خلا انه فاح ذكا مآثره كما فاح حيا كثيا مجامره ووهت على عرشه الرقاب كما وهت حين اثقلها النعم الرغاب ٥

فليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنما ذاك الثنا المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه اصلاب قوم تقصف

ايا ويل العفاة من بعده ما حالهم وما فعلت بهم ايامهم لقد انقصم والله محالهم وانقطع دون ها ئبك خلقهم ومخاطرهم ٥ كان بهم غادين على سدة كانت بالانواع تلتزم وبالافواه تستلم وبعين ركبانها تمسك وبخدمة اركانها تنسك ٥ قد افتقرت للاباب ولا بواب ولا حجاب ولا حجاب يسالون اين الامير وما فعل السرير وابن الحاجب والوزير وابن المنادم والسمير وما هذه الوحشة المستطارة والعبرة المثارة والظلمة الساهمة والغمة الشاحبة يقولون ركب الامير يزور اباه ويحيي بالسلام محياه ويقضي نذر الاعتكاف على ثراه ويعتذر من هجر طال عليه مداه ام من يركب للسلام يخذل ابوابه ويتقدم بوابه ويعزل حجابه ويوحش مشابه

هاانه الركوب نحي المعاد يقولون ميعاده والله المعاد المنز
عروشه بالامس مقدودة وغروسه محضودة وجياده مقلوبة وسروجه
مقلوبة واياماه مجزوعة وايدي بناماه فوق الهام موضوعة
هنالك نادوا ثبورا وعلموا انه الحق مقدورا وعقدوا دون خاصة
البيت مناحة وندبوا عين الورى ادبا وفصاحة وكرما وسماحة
يعتبون على الحجاب وقد غدوا في بيض الثياب اسرع السواد
وتذكرت الحداد الا ان احوج ما كنتم اليه زعمتموه هلا
خالفتم الرسم للوجوب ولبستم لبسة المنكوب وقمتم
وقفة الحجاب للسيد المحجوب ٥٥

يا قوم لبس بياض الثوب زينتكم وقد فجعتم بمولى كله كرم
ردوا عليكم جميعا فضل لبسكم ان الحداد على المفقود ملتزم

فطفقوا ينشدون منهم عتبا على الزمان وندبة للمفضل والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا بك كلما تخشى الرجال سليما
من ذا الذي يرجوا نداك بعدما غادرت نصرا الى التراب رميما
ما كان اعذب شيمة وسجية والذ تكرمة واطيب خيما
ومن العجايب والعجايب جمة ان لا نلام وقد غدوت مليما
يا دهر مالك طول وتناك ترتعي روض المعالي بارضا وهشيما

يا دهر مالك والكرام اولي النهى باذا بهرك لو تركت كريما

لبن سر الامير اباه بلقياه وشفى غلة لو عنيه وصداه لمد سا
اخاه بان عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه وكل من
بعده الى نواهس الارض ولواحس الترب فراه لكنه ما يصنع
وسيف القضا احد وحكم السماحسم لا يرده

ومن قبله ما قد اصيب نبينا ابو القسم النور المبين بقاسم
وخبر قيس بالجلية في ابنه فلم يتغير وجه قيس بن عاصم
وقال علي في المعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك الماثم
اتصبر للبلوى عزا وحسبة فتوجر ام تسلوا سلو البهايم

لا در در الموت من وقاح ومن كفاح ما انشب نابه الا افترس
ولا اجتح بمخلبه الا افترس سوا عليك الملك المحجب والسلطان
المغلب والمعتز المستضعف والسوقة المتعسف

الا ايها هذا الموت كيف ارتقى الى حمى قصره العالي المنيع الجوانب
فمر على تلك القنا والقنا وجار على تلك النواصي النواصب
عجبت له والموت ليس بمعجب وفيه اذا فكرت كل العجائب
لعمري لقد جراه حين غزا على نهاب النفوس واغتيال الكتايب
وفيهم فتح الحصون وانها سواق المراقي سابيات المراتب

ونصره بالفتك في غزواته ورمى الرزايا وافتراس المضارب
فكرّ عليه شدة الليث وانثنى لطوف نحو السرحول الترايب
ومن عجيب الامور في حكم المقدور ان اخترم الماضي برد الله حفرته
ونوّر غرته حتف انفه على خطاره بنفسه في قحم الحتوف واعتراضه
للشهادة بين الاسنة والسيوف كخالد بن الوليد حين وفى اجله
اذ قال لقد ثاورت الحروب مذ عقلت فما في بدني مقدار ابرة الا وفيه
جرح ضربة او جرح طعنة وها انا اموت ميتة الحمار الا ان الحكم
لله الواحد القهار او كلاما شبيها به اما ان خالدا لم يكن بدرا
ان سيف الله لا يقتل بالسيف ولذلك القتل يربو الى موت الشباب
من خصاص الحتف وان الله تعالى لما جعله اكرم النفوس مناقب
قيض له احمد الامور عواقب وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى
فجوّد ونقض وجه البرهان بما سوّده

ان لم يكن ظفر الهيجا منيته فاكرم البيت بيتي غير مخضود
اما ترى الفرس لا تنوي كرايمه الا على سوقها في سائر الابد
لبنة السيف قوم يشترون بها لبسوا من المجد في غاياتها الجدد
عز الحيوة وعز الموت ما اجتمعا اسى واني [illegible] ذي العهد
موت السلامة للانسان يعلمه وانما المنية الشنعا للاسد

لم يعمل السيف ظلما في ضرايبه فلم يسلط عليه كي يذي قود
لعمري ان الرزية به قدس الله روحه لفاطرة العموم مشاطرة
بين الرجال على العموم غير ان الماضي ابا العلا وساير شيعته
والشاربين من زلال شريعته اوفر من الاحزان اقساطا واشد
على مرور الانحاء ارتباطا وقد كان عرّف الله تربته لهم
ظلا ممدودا وشربا مورودا وكهفا مقصودا ولواء على نصرة
الدين معقودا ولولا ان الله جل ذكره سد ثلمة المصاب
رض وحلة الاكتئاب بملك الشرق وسيد العرب وحجة الله في الا
سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاه وحفظ
على الدين والدنيا بهاه وسناه فهي بنتايه عوض من كل
شاجب وخلف من كل غارب او غارب لا يسع القول اعظم
هذا المعنى وفي ذلك الشهاب المضي والنقاب الالمعي غير
ان النعمة بحمد الله فيما بقي ضافية اللباس نامية الغراس ناضرة
الاكناف حافلة الاخلاف فلان الفضل الله عليه عظيما
وصنعه لديه جسيما ولطفه كريما ولا اخلف عنه الزمان
يتيما والهمه الله فيما عراه راحة الصبر ولحرته فيما عراه
فاتحة النصر ولقاه من الوهم مواهب بخرط الدنيا في سلك ملكه

وتعيد رهاجي الموجوب في قبضة ملكه ورحم الله ذلك الامير
المعدوم النظير والجليل الفقيد المثل والبديل رحمة تبرد مضجعه
وتقدس روحه وريحه وتعرف له مساعيه في الذب عن دين الله
والسعي في سبيل الله والفرض ماله لاولياء الله وعوض الله
المشايخ السادة عما دهاهم فاودهاهم ثوابا يحفظ عليهم
دينهم ويثقل في موقف العدل موازينهم وجعلنا من المستعدين
ليوم الدين ان حكم الله بعزة الجلي فالحق فيها شرع والاخرة
للاولى تبع والحمد لله على كل حال والصلوة على نبيه محمد واله الخيار
الابرار وحسبنا الله وحده ونعم المعين ه

فصل ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا المكان من شرح اخبار السلطان من
الوزير شمس الكفاة وانتصابه لحرب صدق الموالاة قد سبق في اول الكتاب
ما سلف لي الى الامير ناصر الدين سبكتكين انار الله برهانه من خدمه
ومهد عنده من الحرمة وعرست اثناء ذلك في المغرب الى
الوزير شمس الكفاة والتحمل بما راه والتجرد لما ارتضاه ما رجوت
على الايام ابراز ثمرته وايناق نوره وثمره بعد ان صادفت من
اثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته وما نشأ من كريمة المجد في ضمان
ذمته فرأى عند وصولي اليه وعرضي موضوع الكتاب ومجموعه عليه

ان يسمني بالتقليد ويسيرني الى كنج رستاق على البريد وعليها
فرعون ديوان ابو الحسن البغوي الغوي شيخ ظاهره نور
وباطنه ديجور ومنظره مثل السيف ومخبره رذل الزيف
واوله مستور العاسل واخره قرون السنابل فانتحى موقدي عليه
باشتهائه لم تناسب حشمة الامير ولا حرمة الاقلام والمحابر
يوهم من جانب انه مبعوث ومن اخر ان الحقد موروث وقد كذب
ان الرعاف من منبع الشرب محال وورائه محبات الاولاد
حلال وما علمنا ان موالاة الابناء معاداة الاباء وان والدا
يكاشح ولده ويطوي على الداء الدفين معتقده حتى يباغض
من رافقه او عاهده وضرب على وجوب عقد الموالاة بيده
وسامني جبانة الدين بمواطاته على كبائر تغلق الرقاب
وتوجب في عواقبها العقاب حتى اذا علم ان مثلي لا يعين على
الباطل ولا يرضى باستكمال الثابي والارامل رام ان يغري في
بني درذود وبنيه بني في نهوب فاحتال واكتال وحرش
على الامراء الاستبدال وابى الله لعلمه بعناده الا ان يحيق به
مكيدته ويكشف عن افواه الزور وابطال الهواء قصيدته ولما
رايت عمارامة وابلس دون ما جرد له اهتمامه اعتزامه عرج

على ابن زلال شمس الكفاة بسحر التمويه وعرض صورتي عليه
في معرض التشويه موهما إياه أني صغوا إلى بعض من ناظره
يوما على رتبة المقابلة أو وازنه بمعيار الموازاة عادة المماثلة
علما منه بأن حيلة لا يستخف إلا بهذا التأويل وأن رأيه
لا يستنزل إلا على مثل هذا التخييل حتى نفذت فيه رقيته و
عملت في استنزاله دخيلته فتشرب حقدا ولا الارض من صوب
العهاد واللقن من وشم السواد والثوب من لون الجساد أو صبغ
الفرصاد وعلم الله أني لم أكن لأضمر كدرا على صفاء أو أسر
حسوا في ارتغاء أو استخبر عمها الصنيعة إذ طما على عبث شر لعقه
غيري من نكب عن نهج الوفاء وعنت دون فرض النعماء وودع حق
المنعم المثيب وردا الهجر على زيارة القليب ومن عني عمها فلديه يقدم
من أهل جرجان لا يعرف الرشد من الغي ولا الظل من الفي ولا النشر
من الطي ولا النقد من اللحن ولا الاثبات من النفي ولا جرجان من الري
شوهه بوجهه قد صبغ من طول الغثاثة وزرقة البزاة ولبقة
الدواة وصفاقة الصفاة وتحرير الصحف بالعشرات ان
طالما خر على العثنون نسيما للتراب وتكعكعا
للعصا في الجراب ـــــ و

وتمرقا على المكس بالحروف ونهجا للالف بنقطتين من
بين الحروف وطفق بعد من تضح لكنه عجمية في شعر لشعرة المو صوف
بوثارة الصوف مستمحا كل صراف واسكاف وعطار وبيطار
على شعر صفقته الاولى اذا السلعة نامية والحلة دامية
والسبخة ممطورة والنخلة مأبورة وعبر زمانا على هذه
الجملة في الوقاحة والرقاعة ثم انتجع خراسان ببضاعة المزجاة
فوافقت على النظرة الحرف آفتولا ولبست من عز العطاعرة
وحجولا فلما نعتتها التأمل علم أن حرف الاستنفاد صبغ المال
وأورث الوبال فأهمل مخذولا وعودر في قذر شعره مرذولا
إلى أن عز شمس الكفاة عن نفسه فاختاره علي ونفذ معه مليكه
البعوية العوبة في تنصيدت من المكره في المرج دون سائر
الممدوح بالولاء مكان الامير الاجل السيد ابي سعيد مسعود بن
يمين الدولة وأمين الملة وفضل احسانه واستفادة إياه من
نحوات اشتد ابها باحد غلمانه لتراقي الخطب الى ما لعجز
تلافيه ويغلق رهن الحبوة بكافيه ولو كنت علمت من سيرة البغوي
قبل ما عرفته بعد لاستعفيت من جواره واحترست من مساقط
أحجاره لكن السر ابن عبد الله لا يكتنفه إلا الاختبار ه

والظلم في خلق النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
وقد كتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه وتقرير
سجاياه ما هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة ارباب
الصناعة وعصابة اعلام الاصابة من مبادي الاشراق الى اقاصي
العراق من محمد بن عبد الجبار المعروف بابي النضر العتبي رسالة تخص
كل كامل موجود وتعم كل لا حي مولود ما سمع للحق اذان و
اطلق على الكفر عنان وشهر في سبيل الله حسام واقيم على كتاب
الله نقط واعجام سلام عليكم ما راق شارب بمصوب وراق
بارق بمسكوب ودر على الانسان حلوب وكر في حومة الباس
فارح بمغبوب سلام يزيد على نفحات السحر قضبانه ونبر على
فتات المسك والعنبر اردانه اما بعد فان لله تعالى بان النعمة التي
تبلج للسارين صباحها وتبرج للناظرين وشاحها معدلة القدود
موردة الخدود نضرة القرون منورة الشؤون معلقة العوارض
مدبجة المعارض مخضبة الاطراف معطرة الاردان والاعطاف
بثنا منه على عباده ابدا بنفحة حكم كرمه وابتلا لا ثابرهم في جنب
نعمة نعما فابدها شوائب الخذلان وسابقها لوم الكنود والكفران
خالط ابناها مشوهة المطالع منغصة المنازع مرونة المكاسب

متلصصة المشافر مقولة المعارك والمحاسن تنضر فيهم بين اخلاف
مذمومة واخطار مثلومة واعراض مكلومة وافعال للعاجل القار
واجل النار مختومة وقد يستحيل النعم باعيانها نعما منكورة
كما تستحيل المحن على اربابها منحا مشكورة تطبعا على خلق
المكان وترعرعا على عادة المقصود بالاحسان كالحب يعطر
من نوافح الندود المعطرة والجو بدقم من روائح الحشوش المثيرة
والمزن يسقط على عرصة الروض فتوليه طهارة ونضارة ويهبط
على فروة الكلب فتعديه نجاسة وقذارة والماء القراح يسقي
عروق الشجر فيقضي عليها باختلاف الثمر فيقبله كل منها على ما كتب
له من مرارة وحلاوة ومزازة وطراوة وكثافة ولطافة
بسقي بما واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقدرة من البدئ
الاول والابدي الموجود في الازل ان شر خلق الله نفسا وشيمة
واخبثهم قدرا وقيمة من يضيفه صنع الله ديانا ما الطلاقة
مشوار من صهبا اللباقة فبنان من علل السماحة مبسان في حلل السجا جة
مبتسان في حلل الراحة حتى اذا حط رحله وخالط بالبشر الخصيب
اهله قراه من بؤس الخصال وعبوس الملال ومضرة الاستبدال و
مطرة الابتذال ما يطير واقعه ويهيج وادعه ويبتر ودوده

ويقفو عليه ولولاه لم يرتحل عن سواد الحداد شاكيا بسوء الجوار
وحقرة الزمان وذلة المقدار وغلظة الاحماء والاصهار ثانيا
على ثنية الوداع صليبه مستلا سول التنايل ه

بنعمة الله لا تقاب ولكن ربما استقبحت على اقوام
لا يليق الغنى بوجه ابي يعلى ولا نور بهجة الاسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام

ولولا ان العقاب تبع للخطاب وان الناس على الاعراض محمولين في حكم
الاعتقاد وتقرير الكتاب وان مجاز الشعر غير حقائق الكتاب
لادعيت غضب الله تعالى على نعمة حين ابتلاها بمجاورة الاندال
ووقاها عن نطاق الاستحقاق من كرام الرجال بخير المقصود بها
بالكرامة وقدمها بالاستحقاق وكان عقلي في جوارها بغير
الانصاف اولى بان يبهره عاجل الغضب ويبهره أجل اللهب وكم
من وارد ما اشرفه بميره وقادح زندا حرقه بسعيره وشاحذ حد
قطع به وريده وراكب جواد فصم عليه جيده وقد تختلف مواقع
النعم في اربابها على تشتتها من صادق اليه ونبلها من مالك بسوء اختياره
ونبح اثاره عليه فالاجرات بها احسن حالا وارخص الامن
القاعين في الاستار والمشروح الجالين اشطار الزمان فليس

من قدح وحنك وسبر وسبك واخذ على وجه الاستبصار اذ نزك
كان القمر لم تلحقه هواجر الامور والغمر لم تردعه زواجر الدهور
المغفل لم تدربه الحوادث باحوالها والمغتر لم ترضه الرجال باثقالها
وقد يتعذر التاري في طول الجهالة بالشباب الذي هو طليعة
الحيوة وشريعة اللهوات واللذات وان سايس العقل يحرب عليه
عقاله وصيقل التجريب لم يحكم على متنه صقاله وان الرأي
برعونة لا ينفقها الا الجديدين بدر يدور وشمس تطلع ثم تغور
وموسم زمان ينمو فيه النور وان الشباب شعبة من الجنون
والحدث الغر كالجماجر جماحا وعجمها دون جنابها
اعتذار فما بال من خلع لباس الحداثة ووضع جلباب الطراة واجلى
نهار المشيب عيانا واتى تلك عمايم الزمان ه

سوداد اخته وسحق معرف واحد لونا بعد ذاك مجانا ه

وحان له ان يصحو عن قهوة البطالة ويبرك عن صهوة الاستطالة
ويبكي لضحك المشيب براسه ونضول الانفاس عن قرطاسه وبمشي الوهن
في عظامه وقعود القوى به عند قيامه واصاحة على نهار بدمه
ع وافتضاحه بعثار قدمه وقد برهان الله عليه باشباع محجة انطا
لحجته وانلاج الثار اعنا فها البساطه وانحطاطه هاويا

عن صراطه يستخير العمى عن سبيل الله والصمم دون امر الله خبطا
في ليل الجهالة وخبطا في حبل الضلال ورجوعا في حافرة الخسار
ولوعا بفاجرة الاثار وتجلا في شطن العتو والغلو وابا على
النفس الامارة بالسوء فلا درّ درّ الشيب سنو بالدنس الجيب ولا تورث
انا حي العذال الاعلى مكارم الافعال ٥

فافتح ما اجلاه الطرف يوما ضيا الشيب في خلل الخضاب

نعوذ بالله من غضب الرحمن وختمة العمر بطابع الخذلان وتعريضه المشيب
لما يهتك من استاره ويكشف من ازراره ويمحق من نواره ويحرق من نوره
بناره وعصم اقمار الكرام واحرار الانام عن مصرع الغوي ابي
الحسن البغوي ذلة الاحتيال وسلة الافتعال وجراب المخاريق
وجذاب المخاليط وعقرب المتربب وبلمع الاكاذيب وشبه التدليس
وزيبق التمويه ومراة المريب ومعراض المعيب وامة الجحود و
خزانة الموعود وحرباء الالحاد وكيمياء العناد وبريوح النفاق
ويعسوب الشقاق وصنبة العقوق وفارة المسوق وثعلب
الخداع وخنزير القباع وكلب المناة واسود التراث وحرضة
الانذال وفرصة الحمت والخبال وسكين الارحام وبيرب الذم
الحرام ولعل بعض من يتصفح هذه الالفاظ متشوقة والاسجاع محوعة

ومعزوفة يبطن لها ركوبا لبهت في حلبة الابتذار وعصيان المقصد
في طاعة الاضجار ادلالا بنضناض البلاغة واعمالا لمعراض السفاهة
بالفصاحة وحدوا على غرار الشعر في استعمال المجاز واغفال التحفظ
والاحتراز وانكار الالتفات في هذه المساوي المسود في شخص قد مرّي
على تصاريف الزمان وجرّب واكل على طعمى اخواله وشرب ولم يعلم
ان الله جل جلاله اذا خذل من شاء من عباده لم يبق منه الا حماسنا
وجلدا على اخلاط الفساد معطوفا وعلى شكة حاصرة الشك عن
واضحة اليقين بالافصاح عما ابهم والايضاح عما اظلم تحذيرا لغفلة الايام
وتنبيرا لشاكلة الاستعصام وتنبيها على منزلة الاغترار بظواهر
النعم والانخداع لزواهر الاحاظي والقسم فكم من صبيح يروق
العيون نوره وبروح النفوس مشهوده وقد قطف عنا قيد رؤوس
واراق اباريق عروق وفرق المنايا عن عصل من الانياب زرق ومن
شهاب كما اختط بالابريز كاتب او خط عن معقود اللوا ركب
يستوقف الابصار صيبا ممدودا ونهايا في السما معقودا انذر بتد
من طار بطوارق همته من رام التخييم في جواره وكذلك الدقلي
يغر الناظر مجرده ويفتر عن عقيق الورد زبرجده ثم هو الداء
المجلوب لمن خبر والسم المعشوق لمن فكر واعتبر ولولا ان قصد

الشريعة ان يسح خيرها على العموم ويكافى بين الكافة فى فضلها
المعلوم اباحة للكتابة التى هى قيد العلوم وصيد الحكم المبثوثة
فى الرسوم فلله در سياسة العجم ورفعها اقدار الدواة والقلم
حين عشوها دون ذوى الاستحقاق وحذروها الا على الكرام العتاق

لله در انوشروان من رجل ما كان اعرفه بالدون والسفل
نهاهم ان يمسوا بعده قلما وان يذل بنو الاحرار بالعمل

فما كل خيرة لها كفاة فى مناكحة الاداب وملاءة فى متاجرة
الكتاب ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل در يصلح للعين
جلاء واضيع شى عقد فى نحر خنزير وحد بكف ضرير وحطب
تجنب ينير وينشر على نار ناجر شرير وها ان المذكور معتد
الاحرار بخراسان دناءة همة وقماءة نية وخساسة مفعول وخصاصة
معقول منشا بين الفضل والنعمة ونما على فرش اللين والنعمة
وربى عليه نعيم النسب وعلوية نصيب النسب نسيم الادب فاصبح
نحلة لعيوب الصواب انفاله جدير الحكم الاتحاد فى امثاله يظن
به وبعض الظن اثم ان النزوع الى الاصل نازع والعبث للعيم
مضارع ولا علم تبصل بامن النار يهفوا عن زناد ما تنزل والخمر نطفوا
على عكر سافل حتى اذا اتبع وايتع حملته نذالة الطباع وجلالة

المتبح بحث يد الطباع على عقوق ابيه سعاية الى السلطان
بما يجويه وابتياعا ماله باملاكه واملاك ذويه فاستملك عليه
قبل الاستحقاق ماله وقصم محاله واحال حاله ونجع به امه
وكانت عياله واجبره دونها افناه على كبر سنه وضعف
اساسه واشتعال المشيب براسه ورسوب قذى الهم اخر كاسه
فطفق يمرى الشئون دموعا ويبتغى اجل الكتاب بحصصه وجوعا
ويزجى مطايا الاتحاد بين برد الياس وحر الاتعاس بدعوات
لم يرجع بحاجتها الا بناصية الظهور وخالفة البين لاحالية
السعود وعطف بعد على من طلعت عليه شمس والده ورفت عليه
اغصان فوايده فنحنهم تحت السلم وفرضهم فرض الحلم وقشرهم
قشر القلم وعركهم عرك الاديم فعادوا اعرى من الصحو معصورا
والسيف مشهورا والعصن مخبوطا والدجاج على السفود من بوطا
كل ذلك بين يديه ونصب عينيه حتى اضمرته الارض نديما
للزوان كظيما بالحسرات غرقا فى العبرات شرقا بما الحيوة وعقد
على ما لخطبة بلخ رستاق عقدا استرى به اهلها واخذ بطيتهم
بما بربهم من سداد النسبة ودعابة حق الجيرة ذريعة الى استيـ لهم
واستيصالهم دون حرايبهم واموالهم وسامح عدة من شيوخ شايعهم

بتعرض ما لزمهم استمالة لهم على بؤساء مغرورين وضعفاء مضرورين
وسامهم بعد الاحتكام عليهم في التراضي بزعامته والتواصي بطاعته
عقد الوثائق عليهم فتنجيح ما لمن ضمانه بتكسير وجبران حق
من عقده بتجبير حتى اذا استتب له ما اراد واستوفى عليهم الحق
وزاد وضع عليهم يد الاستقصاء بعلة حاصل وباق وجابر وناب
فاخذ ما وجد من صامت وناطق وصاهل وناهق حتى اذا ارب
كل من ذي بدنه وبارعة اطلال الضياع والرباع عليه
رام استنزالهم عنها طواعية او كراهية ثم اهتبل منهم فرصة
الخلاص على التظلم مما دهاه فاوهاه وعراه فعداه سيفه محض
العصبة القائمة بالامكنة في خفارة التوقير وشعارة التزوير
فارتد على عقبيه خزيان قد سال به السيل واستوى اطاف به الويل
وناح عليه النهار والليل فاما ان يرد على كرب وقلق واما
ان يؤول على غيظ وحنق حتى استخلص الضاحية والضامنة
واعتصر البادية والكامنة وغادر الضياع حسيرا وشرد عنها
الزراع عريا واخرس الثغاء والرغاء وانطق الهام والاصداء وطم
المنابع والمشارع وحمى المراعي والمرائع فلو ملك عصافير الهواء
او يعافير البيدا لاستكرهها عن طعوم الفوايض وحقوق الملاجي

والمفاحص قد تحاماه الاطماع ولا مداخل الكهوف ومفاتح الولاج الحوف
كالحوت لا يرد به شي بلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه
وما به التخريب لولا احتياج المالك جوعه واستحلال حرام الملك
بربوعه كانما عقد على الدهر حلفا لا يجوبه واتخذ عنده عهدا
بصونه وتحاماه من دونه مستوثقه وهيهات انها مطامح احديات
التشغاير ومغارم تقبلات الجزاير ومصايد طالما حسنت نخالخها
وضربت عليها الشباه ما ترخاخها ومطاعم ظاهرها الارى
وباطنها السم وان من الربيع ما يقتل حبطا او يلم تعمر واقام
سوق الفسوق خاصة وعامة واباح حمى المحظور بطانة وحامة
ملتزما سمة الشطارة ومستمطيا بقية الجحارة ومصاحبا
بنؤس المجوس في خبث الاعتقاد وصلة الاخوات والاولاد بلاغا
بمنه بقاف جدته واديه على وجه الاكباد جيران حرمته
وربما اراد ولهي السر ملاماما وراموا من خذيه حدود الله
وتخويفه عقاب الله مراما فما بريدهم على طاهر بين عاهر بين
كحدق الجراد دماها الاجفان بوارنها ولا اهداب تنبها تصلفا
بركوب الاثام وتكلفا بمحظور الحرام وكانما اثبت لفظ التكليف
نطقا على ما سمعته بعض مشايخ الادب يحكي عن سال الاحكام

السجستاني عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أبغض الأشياء إلى الله
شيخ زانٍ وعائل مستكبر وفقير فخور وزعم أن القياس
يقتضي كون الشباب الشديد الغلمة القوي المنّة أبغض إليه من
الشيخ المضعوف والمعتصر المنزوف فقال هو بناء على قوله عليه السلام
أبغض الأشياء إلى الله التكلف فأبغض الشيخ لأن فعله تكلف وتقدمه
استكراه الطبع وهو تخلف كذلك هذا الخوف المتكلف والشره
المزورة فقضى شبيبته على اقتراف المحارم واحتراف المآثم
حتى إذا وضح القتير وونح المسير والحل المرير وأفرغ ماء الصبير
أبت عادة السوء أن ترحيه من عقالها وتعريه عن سربالها وتصحيه عن
بغالها أو ترتبه الأعلى شعب الأزار حصالها

وأسعد يا أخي عادة تحوي بها صريا من الشيب
فعادة السوء إذا استحكمت شر على المرء من الدين

هذا ولم يرض بالعقوق الذي دسمه ووسمه وسخم وجهه وحممه
وردّه بالخزي وعممه حتى تطلع على رؤوس الأشهاد وجمه وتيل
في الشايع المستفيض ولده وكان لحمه ودمه ولو كان كأحد
أولاد السوقة في أخلاقهم بين الجرة والخلوقة لكنه لحمه
بما الجهاد والزهد ونسب الشهاد والتمم بن سيف الرضاب والملك

ببرخ الشباب والأمن بطعم الوصال والحلو بطيب الحلال و
العفو ببشرى النوال والعيش بموت العذال وبتمش الجنوب بروح
الشمال عشق الأدب قبل أن عقد عليه تمائمه وزينته دون
الاحتضان روائمه فجاء كالقدح هذا أوله النصل المطار وجا
أسفله الريش الظهار تاهز عشرين من سنيه يرى الخليل في جنب
فضله حليلا وسيبويه كليلا وعبد الحميد أديبا وابن العميد عميدا
أن خط نقش العبد على أيدي الكواعب الغيد وإن لفظ نفعو د
المزود منظومة وأقاحي البطاح مرهومة ولولا أن أباه أعبطه
دون مداه لخلف من آثار بنانه وخلد من أنوار إبداعه وإحسانه
ما ينضح ماء الورد في تصعيده وعصير الخمر عن عناقيده لكنه
لم يغن الأقدار ما لمحته العيون حتى اختطفته المنون فقامت نواعي
المجد يندبنه جميعا ويبكينه جميعا فظللت من بينهم سريعا أنشدهم

قد كان لي في رأيه وذكائه أشراط صدق أن يموت سريعا

ولقد ضمني وإياه مجلس بعض أركان الدولة اليمينية واتفقنا
ثاني اثنين من بين الحضور على شتات الهموم وتذاكر العلوم
وتناشد أبيات الكرم واللؤم ثم كان الأمر في المجلس بإداره وعقر
الشرب بعقاره حتى انخرط عليه عقال اختياره وانبحت له

اعقال اسراره تغرق في بحار الدموع عينه والتفت الى ما دار بين
ابيه وبينه بغير ما نشا عليه من حزمة الادب والاستغنا باعتصام
النفس عن عظائم النسب على طاعة من ولد في حجره والبروز على
حكم امره وزجره وانه حين ملك امره وعرف من خلة خمره
وانفرد بتدبير معاشه وتوفير نعمته ورياشه ناهض باهله معونة
ابيه ببعض ما استحقه برّ الابنا على الابا فلم يرده على ان زاحمه
في ارثه عن امه وحال بينه وبين ما كتب الله له من حقه مطاوعة
لربيق اعتقده فذاق غب بيلته واذاقه ذبيلته فخلاه عنهما
تدبير دانيته وقاصيته وولاه ترتيب حاشيته وغاشيته وحكمه
في عرض ولده وسائر ما اختبره فاحجر ذلك المتاصل دون نعمته
واقعده دون الاستمتاع بحكمته وجعل كل من يعتزي اليه
منقوما ومقذوعا ومن يعتزيه ملطوما ومصفوعا حتى اضطره
صراح الباس والحاح الافلاس الى قصد الوزير شمس الكفاة
لاستماحته والانتجاع بذي راحته فحين علم ابوه المعتق بحبيبه
على شاطي الاقبال واستقلاله على نواطي الامال ندب المكر
لاغتياله واشهر الليل لاقتناصه باحدى حبائله وحباله فدس اليه
على ما شاع وضاع وشحن المسامع والبقاع من ذعف له نقيعا غادره

على فراش المنون صريعا وانتقل عن بعيد الى جوار الله ودار كرامته
متشبكا بيديه فوق هامته ومستصرخا الى الهدل ومالك الخلق
عن ظلامته ومخضما حوله العرش الى يوم قيامته وحدث عن
قهرمان بيته وقد عادا الى ابيه السفينة بما كان استفضله من رواتب
نفقاته واقتطعه دون عوارض حاجاته استظهارا به على حوادث
النوب واستنفاقا عن معالي الرتب انه وآخر من رفقايه انفقا
من جملة المال قدرا ما قطعا به المسافة اليه ووضعاه في اكياسه
تخفق هما بين يديه فكان جزاوهما منه ان وضع الدهق عليهما
حتى ايبس ملكيهما وامر فصليب العظام من جنبيهما ثم قصد هما
في زوجيهما اشفاقا على صورة الحال ومستورة المال من هلكه
الاذاعة وفضيحة الكشف والاشاعة لولا انه اعتصم بالاستتار
دون صاحبه موعدا بما تحاماه ومبرقا باستتر لما او راه فلم يرض بالارث
وبذخائره دون مستحقيه من قرابته وذويه حتى قطع سياط
المطالبة على وكلايه ومواليه وهلم جرا الى شفقة له
معجزه في الحجاب معنته دون الخطاب خلافا على الله في حكمه
واجترا عليه في فرض الاسلام وحتمه واستخفافا بالوالج الالسن
في ذنبه المجروح وعرضه المفضوح وعقده المحلول وسره المعجون بالغلول

نعم ام ذكرانا واناثا عما البسوه من بال وجديد وطارف وتليد
اعتلالا عليهم ببنايا اخرجه المولى على ضياعه وبحث استغلاله
وفي همام من زارعيه وعماله ولم يستثن من جملة الداخلين اليه رحمة
الله عليه لتسليمه غير مرسوم بجرمه ومكدود من هضيمة ومنقوص
عن ذخيرة ومغلوب على ما حواه من ضيعة او تيمة فرانه المقصورة
المهجورة تشكو اليه بلا لسانها خضوعا وترى عليه متكا حلها
دموعا ضيقا بما دهاها من اضاقة وازعجها على من التسبب
من فاقة وتسأله سؤال المضطر ان يملك عليها ما ملكته اربابها
وتحوي ما حوته عفافا وحذرا مصانعة له دون ما اطلقه عليها
من ايدي الجنود واخياف الترك والهنود فهزّ في وجهها
ضجرا بما سوّمته من نظره وقلقا لما حصّنته من ورق الصيانة
عن بحره وجعل برمها في جواب التلطف والتألف باحد من
مولة النزاع واشد من ململة الملاح فعل ما لا تلقه حرمة ولا تكفّه
رحمة ولا ترق عليه رأفة ولا تخف اليه في ذات الله مخافة ولا يثنيه
عن وجوه الناس حيا في ذروة بذالك وعورة نالها الا ابدى لطوال
فلما البسها الاعراض اذركها الاستعاض وانحلفه مصبورة لمن لم ينته
عما لم يعضد مثله والذات حذر وكريمه وراسن لمهتك الحجاب

ولتطرحن الجلباب ولتحثين على رؤوسها التراب منطلقة الى
حضرة السلطان يمين الدولة وامين الملة في ايضاح ما وارته الحذر
منه وطرحته المجاملة عنه وكتمته ضماير الاشفاق فيه وطمسته
ذيول الهوادة دونه فقال المجنون لاحيه وهو معه في باديه اعلق
على هذه المخبية الورها فقد ابطرتها الفضول وانطلقها الة
الاحتمال فما تدري ما تقول هذه والله حمية الابطال في حماية
الذمار ورعاية حقوق الحرم الابكار ورحم ابا الفتح البستي حيث
يقول ٥ خلق الله للناس للفتوه غيره ٥ ولما
فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده ووراثه ما كان تحت يده
واعتصار المظلومة عن بلالة حالها وعلالة ما لها من ارث اخاها
لصلبه وهو عجزه اولاده ومن يرجوه مثله لمعاشه ومعاده للتقبل
بمعاملات تاجنه احتيالا عليه في الخيانة بماحيه واستطاعه
دون كفاف يتصرف فيه فتلطف واعتذر واعترف بالعجز مما
قدر حتى اذا اعياه التلطف ولم ينفعه الا التصرف مدرسه
لرتبة التقليد وكبر سنعا على طارف الملك والتليد وما
يخفى كل وليد ونزر ويرى كل يعجب ونزور حتى نضب
المال الا قليلا وغصب ربعه الا بليلا فطفق يعبره بعجزه

زال

ويفجعه ويبكيه على خرقه ويضيعه وامر فجمع عليه ما لم يثنه
سمع ولا بصر ولم يبته نجم ولا شجر ولم تطلع عليه شمس ولا قمر
وسبب عليه لاعلاج الهنود وعلاط كفارهم السود ما لا اوهى
من طاقته واتى من وراء افاقته وحرشهم عليه في عاجل موذون
وزعبه في اجل مضمون حتى اذهبوه شدادا ابتاقا واخنوه ضربا
وارهاقا ووضعوا عليه في بعض لياليه دهقا استمر به الى الصباح
النابر حتى اذا لم يبق غير فاوزة الطاير علموا انه مظلوم وان
الجنا عليه في دينهم المدخول وشركهم المخذول فزم ولوم
فنفضوا ايديهم به لا عين اباه ومن ارضعه وربّاه واطعمه بعد
الله وسقاه وما ظن الافاضل الكرام بمن توقى رحمة الكافر
الفاجر على قساوته وطبع قلبه وغشاوته بمن يزعم انه والد
يحنوا على ولده وبعده فلذة من كبده وبضعة من روحه وجسده
كل ذلك طمعا في استزادة مال واستضافة حال فصارا الى محق وزوال
فلا رحم الله كل جاني العقيدة خافي المكيدة قاسي الفواد حاسي دما
الاولاد ان للاباء فروضا على الابناء وللابناء حقوقا على الاباء فان المكرم فرض
الوالد لا ينقص منه متى قتل ولده وقطع بيده يده حق الوالد بطاع الله
في صلة رحمه وبتقوى الاقدام على روحه ودمه تم ولما ازحف على الناس
كربه وانجلى عنه وصبه

اشترى الى اجابة الامير ارسلان الجاذب في السلطان يمين الدوله
وامين المله في زحفه السهم المارق والرجم المقذوف على المارد
السارق متنقيا به عارض الباس ومستفيئا روحا معلقة بخيط
الياس فاواه وقبله ونشر عليه جناحه رحمة له وكتب الى
اركان الدوله في بابه بما اطل عليه سعاية ابيه وعادته
نكاية قصده وخبثه وحاذر الفاسق المارق افتضاحه باخر
ولده كما افتضح بمن قبله اروى الله صداه وفتح اباه فلم يزل للقاه
بشعوذة المخاريق وبرقية الزراويق حتى افرضه ما للاسد
به متخر باسه وردّ معه عدوى امتعاضه وشماسه كان المنقع
حين استعرض السجان واستوجب الامن والامان فلو نقب عن منا فس
فوقه ومنافخ جلده وعروقه لاستخرجت حيلا تعجز كل صباغ
وصواغ وتغلب من الوحش رواغ وما زال هذا المذكور
يختلف به السرج والكور الى ان قدم شمس الكفاه وزير
السلطان يمين الدوله وامين المله مرو الروذ سنه ثلث عشره
واربعمايه مستوفيا على العمال بغا بالارتفاعات والانوال
فنجح اليه لا يذا بكنفه وعايذا بواسطه الكرام وواجبه الانام
ورافته الايام من شرفه ومضمرا احالة على الظلم الذي ضرسه

بجريره ومعسة معس المحاج غارب العبره وموطيا لسانه
فراش التقية طاعة لله في لزوم الاحترام وصيانة للعرض من
شوم المدام الى ان حسرت مطالبة العمال اياه الى مثواه من باب
ولي نعمته ومولاه فكم ضرع اليه فما نفع وخشع فما نجع وتلطف
فما اقصر واستعطف فما سمع ولا ابصر حتى اذا عارضه الرد بحجابه
وتكلمه الياس من ورا نقابه باح على شمس الكفاة ببعض تلك المخاوف
وصب له جرعا من الوان تلك الاباريق واشعره ان صنيعته لم تحم منه
الاجاحف الابادية مخافة مساويه بوائل اعاديه مخالفا لكريمة
الحفاظ في مواليه براهين كما سطع الصباح السافر او منع النهار الجاشر
مفرطة بصحاح الاقوال مستنفة بصفاح الافعال ولولا كرم عرق
بلبانه وعجز على مسكه وبانه لرجمه رجم العفريت وضربه
بالمقطع الكبريت لكنه راى ان يضم عليه طرفي بساطه ويستبقي
مختوم سره بين خرزه ورباطه ثقة بما الشفاعة المتسبب ونزوعا
الى ما وراه من الاجل القريب وانما عالم من سمع او نظر وروى او خبر
بما شاهده الافاق من ذكر شيخ معايبه اخوات ولومه ملتسب
وفضله ميراث ولما تسامع اهل عمله بما ركد من ريحه وظهر من
رغوة صريحه تبادروا الى مفصل اللفظ لامان صادحين كما نعق

في الجوبات الاعداد جمهور في الشغب حصد حجج البلاد
واختلفوا في المظالم من قايل هتكت حرمته واخر انتهكت نعمته
وثالث انتهبت ثلثه ورابع طلبت عليه طلته وخامس قيل
على المعصب اخوه وابوه وسادس خددت على المعروف بشرته
ونضت قوته فمنهم من وصل وسعد بلا انصاف ومنهم من خذل وشقي
على ياس الانصراف وراى شمس الكفاة ان يسلك به شعب المجا
فطمر بصرفه على بنابث مساويه وصد عن مسامع السلطان
خبايث افعاله ودواهيه واصم نبا المتظلم عن تربيف ناديه فعاد
المذكور وراه مخذولا ومغلولا واذا اراد الله ان يقضي فيه امرا
كان مفعولا ولما راى قد صحت عليه افعاله وضحكت منه
حيله وادغاله وان الالسن قد مضغته حين اطاع عبد المملوكا
في معصية خالقه ووصل شهوة المجود في قطيعة ولده وعمر
اطلال ضياعه بخراب اخرته وثب به وثوب الثاير الموتور
والجابش المسعود بجمع ما حداه على المشوف ووناه من
ثمن الاستلذاذ لسعة ذلك المشوف ويرى ان صنيعة ذلك بحيبه
شيمة الالامة ويغنيه بنال الالسن الذامة فاستنزد ما حله من صداق
ورجع عليه بقيمة ما اشتريه من مجاجة اشد الى وعراه عما اعطاه

فانشطاه وبطحه للسياط ببغدان بلحيه لوطي اللواط مبتذلا
منه حرزه طالما امتصها بشربه وكنسها بعارضيه و
فداها بنفسه وابويه ودفن عليها احد والديه هذه والله
الجود لا ما بني عن حاتم العرب وروي عن سادات بني المطلب
فلحى الله من رضي بها لنفسه سيرة وجناها على تناسخ الاحقاب
كنزا او ذخيرة انه رذائل الانسان ببطن مكه لا ارذل من
والغ في جيفة مقلوب وانذل من طامع في شربطة مصلوب
ان كان ما اتاه اتفاقا ما يهله ذلك والمولد حتى وفي البلد
من ملك الجبار شيء الان وقد سبق المسيف العذل وقد فعل
القضا ما فعل او رد او قد نضب الما وشيما وقد اصحت السما
دعرة وقد سقط الجدار وستره وقد ظهر الشوار هيهات
هيهات لظن خائل وراي فائل وظل زائل ورد ما سايل ٥
ايها الشن اجملي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا ٥
واحتال ليغرس لذنبه ومعتصر شهوته الانقطاع الى بعض
كبرا الامرا فقبله وآواه وانتزعه من قبضة مولاه مراغمة كونه
بنار اضغانه وشرته على حرار عمومته واشجانه فلا حميم ولا قريب
ولا ولي ولا حبيب ولا والد ولا مولود ولا عابد ولا معبود

فاما الشرع وطريقه والدين وحقيقته فحق وهلا به ان
وضوح هذه الحال على شوه احكامها وسفه احلامها لغنية
دون شرح الحال او شرحها وتبليغ لسان المقال وتفصيحها غير
ان التقرب الى الرسول المصطفى النبي الابطحي المجتبى
صلى الله عليه وعلى اله في قوله اذكروا الفاسق بما فيه تنبيه
التنبيه على مخازيه تلخيصا لخفايا نكره وخبايا وتنكيلا
لاصلاح خبثه وزروا باه ليعلم الافاضل اني جاورته على
البريد فربما من سنتين فلا والله ان يصبغ لاحداقه في المسجد
الجامع للفرض الا يوما واحدا كبيضة العقر او كعمة البر
ربنا فما ادرك ا خطات به خطاه ام الجاه عن الخوف عقباه ونجا
حديث الصلوة فقال مارحا وما صدقك الا مازح او سكران
فام بعضهم وهو يبتغي يوم جمعة للفرض وقد نودي للصلوة
فقال له صاحبه مكانك ان اربعة من خبز البيوت لخير من
اثنين من عمل السوق وقد كان من طريق النحو مساغ للتاويل
على وجه التملح ولكن من هذا قبله وتركه العبادات
بسبيله فلا عبد لعناد ولا قرض كما يقتضيه العباد مخالفه
عن البين بالالحاد وتلقى اوامر الشرع بالعناد واطرق قول القلام

الواصف مولاه انه ليعرب في الشتم ويلحن في الاعراب و
يصلي من قعود ويبيك من قيام يفضي الى صورة حاله وبادي
الى مقصوره خبثه وضلاله فجل احواله عيوب ومعظم افعاله

يصلي فيخفض اركانه ويشهي فينصب شيطانه
يخاطب بالكاف اخوانه ويشتم بالزاي غلمانه
ويكشف للشرا اكمامه ويحجب للاثام اذانه

ومن نادرة البلد اعتقاده الاعتزال علي وعبد الابدم لا يتقي
محظورا او محجورا ولا يستبقي غمة لا مؤزورا ومنكرا من القول
وزورا هاهو طمع بشهرك في مال رجل كان انقطع اليه منذ
زمان فاغوى به زبنيا له كغضب من الاسر مباين بعلة تنكة
كان باسه اذ هو ضيع وعلى جدالة العجز صريع ولقته
استعد الامير الاجل ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة وامين الدولة له
عليه ونحن الامر في معنى الانتصاف عليه فنبه ذلك الامير
الالمعي والسيد اللوذعي على غامض كيده وباطن خبثه
في صيده فامر بالكتاب التي تعرف الحال ويجتنب جانب الاحتيال
والانتداب لاعدا البتالي على خصمه وانقيابه حلم الله في امه
فلما احس اخو دلة الحثالة ان جدسة قد فال وطنه استحال

وسعيه الى الثبور فلما لم تنفع شهود الزور ان يصدعوا
بالحق فيما بذلوا من خطوطهم ترغيبا وترهيبا فرضوا النزول
وادعوا على مستلمهم العول وما بال المزدد والمزور
الى التوسط عن ارش المشتاح دمها على ما بين درهم وثمنها
خمسة دنانير فلم اذ رايت نحلة وقفت بان ترى ثان الامهات
على هذين العقدين نما في الاسلام له ذكر معلوم ولا في
الفقه باب مرقوم ولا عند اهل الكتاب امر محتوم في ديار
الشرك رسم مرسوم ولا في فطر النفوس ان تنزل عن امها بها
منقولة بهذا الوكس والثمن البخس ولا الخنابص ولا الورود
لو نطقت ترضى عن واضعيها بمثله وكم قلت وانوك البقا
ليست دية تودي او وديه بل هي دية نسمة مسلمة وقد
حقن الله دمها الا بالحق ثلث نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهل يستجيز الرخص في هذه الاحكام الا المستخف بدين الاسلام
اما ان المحكوم عليه لم يلبثها الا بقره قومت مائه وعشرة
مثقال فقال المفجوع المجدوع بالله لا رضيت بهذا الغبن ولا ترتبت
الدم الحرام بالثمن ودهم بالرجل في امر القتيل فاعتيل فلم يدر الثلثه
الناراء متربة المآء او النقطة الارض او خطفته السما فالله عز وجل

بها من دينٍ ذهبا بطرا وتحصّن وفدا غيلةً وسحرا هذا والله
المدبّر السليم والعقد الحكيم والامر القويم والسمت المستقيم
والمبالاة بما ورا الجحيم ومما يزيده ادام الله عز المشايخ
فضوحا لي بعد هذه المقدمات ووضوحا ما كانت الاخبار تتشاهد
من استحلاله عند الاستغنا من لواحق جناياته على سلطان زمانه
ورعايا عمله وسكانه حتى ما نسب اليه من ضياع وعقار وبقاع
ودار لتناهب ذكره الاسماع وتتناصر دونه الاطماع حتى
اذا ما خلا جوه واستقام على ابتياع المراد شذوه ندم على
ما فعل ورجع فيما بذل وفصل بالفسخ كل ما اجمل فكان هذا
البلاغ يتزيد تارة من الامكان ويبعد اخرى حتى اعيى تخص
العيان عن الخبر ونابت شمس البيان عن القمر وذلك حين بعث
السلطان يمين الدولة وامين الملة قاضي قضاته ابا محمد عبد الله بن محمد
الناصحي الى ديار خراسان لتدارك امور الاوقاف وانتزاع ما
اقتسمته ايدي التسلط والاختطاف فرفع اليه خليفته وانا
حاضر والى جنابي ما يرد اذ يصدر ناظر ما تعذر عنده من احجانه
ما يتقارب مائة الف دينار عن اوقاف وضع عليها سمة التملك وسومه
التغلب والتحجر كانما فيها انواء اربابها دون التظلم بوعد

دونه دفراق التراب وما عند عنده فراق الرقاب حتى درج
عليها قرن بعد قرن آيسين عن الانصاف وخلف من بعدهم
خلف قانعين من دونه بالكفاف فاوحى اليه بانعام الاستقصا على
حكم امانة المقضا فقام فيه وقعد وابرق وارعد وانتزع
ما لا اعظم من تحت اضراسه وجذبه الافتضاح ان تعرض
لمراسه وكان قصاراه ان سكن وسكت وحشى اسوة امثاله
العنت واحضر الرجل طواعيث الشهود وعقارب الفسوق والمردود
وعقد بمشهدهم وعلى شهادتهم ومشاهدهم بوقفه كل ما ملكه واطلاقه
على وجه الله جميع ما امسك يرى بما فعل ان الشيخ بما تحت يده من
قليل وكثير وزهيد وخطير برا من الطمع في مال الغيرة موقوف
وعرض الى وجوه القربات مصروف فلم يبرح الامد على هذا
العقد الوثيق والخذلان المشبه بالتوفيق حتى قال لي وهو يشكو
الوزير شمس الكفاة وسماعه اباطيل السعاة ما هو الا ان احل
عقود املاكي هذه على طيرة الى العراق سائلا باخراسان واهلها
فالبا مزارة الميلاد ومباه الطارف والتلاد منها تنقلت
انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه بقيته وما ارغط به
على وجه الاستحلال وغيظ العجز عن اموالك بقيته هذا وزن فضل

نباحته وإباحته فيضر راحته أن كل من ساكنه في جلة
على عمل يليه أو مال يجبيه كاله ما شا جزافا ووزنه بندرا
وأسرافا استخفافا بشهاداتهم له بجوده وتحريه حذو الكرام
بموجوده حتى إذا قضى الوطر منهم وملك بسطة الاستغنا
عنهم شنع عليهم صبابات القدور وخلالات الثغور وقمامات
الأظراف وصراحات الأصواف وجعل المطعوم في زنة الذهب
المصون والمشروب في قيمة الجوهر المخزون والدرهم الواحد
قنطارا وحديثا في دواوين الشرف مطارا سعاية من خسة
أرومته ورمت على دمنة اللؤم جرثومته فيصدر عنه
القائل أو المجاور الآمل مغبونا مذمة مقامه موضوعا في شرابه وطعامه
مفجوعا بما أفناه غابر أيامه مخدوعا عن شهادة حسنت صحيفة آثامه
قد حصف على فرحته يكلي يديه يباري في عدوه السليك وينادي لبيك
اللهم لبيك ولبئست هذه من أماره بأعجب من لحوق إجاره وسدول الأستار
دون أسراره وقصور يد الانتقام من معقود إزاره غير أن لكل شيء أمدا وإلى الله
أن يلج الظالم أبدا لأن المال يعود المآء ويحقن الدماء ويجمع الأهواء
ويدفع الشقا ويستر العوائب والعورا ولقد بالغ أبو الفتح البستي في النصح
حيث يقول أشفق على الدرهم والعين تسلم عن العيبة والدين

٢٢٦

فقرة العين بانسانها وقرة الانسان بالعين ٥
غير أن المال متى سلب الجمال وأورث الخبل والقال وبال
ولا الدين مطلوبا والذنب مكتوبا والحال مجدوعا و
البنان مقطوعا فقبح الله الأغراض متى دنست الأعراض والأثو ال
متى لطخت السربال والأملاك متى أعربت الأوراك والجراب
متى أبدت المعايب ٥ فأما موائده ومطاعمه فحدثوا
اليكم بإسناد كما انتحت الأصابع وانبعثت القلوب الفواجع
أنه يغدو مع صغير العصافير على أطعمة يرتق أعليها حشاه
كما حشا الدقوق جرابا وأثقل الرصاص كعابا فما هو الأن
يبذر رش السمسم على صلابات الجدران حتى كان أولاد البقر
تلحس فؤاده وكان الظليم يدعي فيه ميلاده فيتغدى بالفول
سنة وعادة وبما يجانسه من عمل السوق شهوة وإرادة
حتى إذا طفح كالدلو لم يمسح كفه وينفض الكف على فم لا يطهر
داخله ولا يبقى دون الجرب مخاحته فإذا انتصف النهار
أو كاد وانتفخ الجرب بالانجاد دعا بطعام اليوم وهو
المتكلف وما يقيم رسمه المتصلف فأحضر من كل حلو وحامض
وامتلا من كل بكر وفارض حتى تخشى عليه في الصفاق من الانشقاق

وفي الحروف من الشوق فيظل باقي النهار يشكو اقامة عاوية وخلا
خاوية خاوية حتى اذا اجنحت للاصيل وهم الطفل على الليل بالتطفيل
أعيد عليه الطباخ والغروف وحشر اليه المزاطف والمغرف
ثم يوتى لمبيته بلفايف كالاضابير مطوية والطوامير مختومة
ومسجية وربما يفاريه بعض ساعات الليل فينادي بالجوع و
يلاقي الطهاة بالفوع فيجار عليه عجالة الوقت من مسنون عات
السابق ومطبخات الطيور والغرانيق فيتهجد عليهما من غير
نيام ويتسحر منها لغير صيام لا يشركه فيه غير الملائكة حاضرة
والكواكب من محاجر الظلما ناظرة فما الارض وهي الغاية
في الالتقام والالتهام ولا الذعص وهو النهاية في الاستفاف
والارتشاف بابلغ منه لولا افنا زاده ولا باجرع لولا افنا نفاده
ومن نادر امره في المعاقرة انه يكتسب صمتا في الشغل من الصبوح
الى الغبوق والتردد بين الخور والسوق فان نشط للتنزه
نبوا مقاعد الاكتاف كما تعود مقاعد الاخفاف فيتهادى بين اثنين
جرضا في جلده شيطان وجنة في سورة اقعوان وقد جمع بينهما
نوح النحل للرماك بل صنيع الذاهبين بالضحاك وربما بني في
النهار بنية واخذ شعثا من تكلف الحزنة لولي النعمة وجسم

المسير الى باب الوزير فيرشوا على البغال ذبالا وبحلوا وجه
الاطباء واصحاب الاتفاق فرها جفافا وبذور اثقالا وليس هذا
الاختيال باغرب من اكتيابه الزمانة على امتناع الطباع
وشموس النفوس دون الاصغاء اليها فضلا عن الغرار عليها فسبحان
من خلق النفوس اطوارا وجعل من الهمم انجادا واغوارا هذه
من اعيان مساوي هذا الفاضل العاطل ولو سردت امثالها لطال
الكلام وغال الابرام ووراها من دقائق الظلم المذموم و
الدغل المكتوم وثقل الجيب ومرد الزل المبلول بلعاب اللوم
ما يربي على دقايق الابراج واجزا الجوامع الامشاج والصغاير
على الاصرار كبائر كما ان عيب الشعور على الايام غرائر ولقد
احسن ابن المعتز حيث يقول

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى

ومما اقتضى التنبيه على معايب المذكور ومعايبه والعلق عن
بسط عقابيله وذوايبه مقابلته صنايع لي عنده ايام ال
سامان وبعدها في حق قضيته وعقد رعيته وعيب طويته
وسترا خبيثه وشغل كفيته وبر اولسته بان كاسي لمودته

جمعتني وولده المغبط ابا المظفر رحمة الله عليه بعداوة
لم يرج لعظيم سيلها اصفا ولا لبصيص ليلها انقضا وذلك
ان شمس الكفاة تدبني لمجاورته وبمن لي حبر المعاشرته
مكافاة على خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وامين الملة
باليميني في شرح اخباره ومدح مقاماته في عديده وانصاره
فما زال الشرى اليه عني بهمة كقطار ديمة ووتبعه كسراب
بقيعة على غفلتي دون ما ينصبه لي من شرك ويهيجه من
معترك يموّهها له اني لحمة كامن وعن فرص محنته نافر والى
مرموق بعين الكفاة في استحقاق صدر الوزارة مائل وفي شعب
الاختصاص به والانقطاع اليه سائل اكذوبة لم يخلق الله
لها اساسا ولا ذنبا ولم يضرب لها وتدا ولا طنبا ودمنة لم يهتد منه
لسر حوافرها ويصغون كلاهها واباهرها حتى هاجه علي
كالليث موتورا والنمر محرجا ومخرجا فكم كد جنبـ
حتى استنزلته عن حران شماسه وجهدت حتى لجوت راسا
براسه وطفقت اتسدد وقد فارقته سالما ه

اذا لم تنا سائلين بانفسكم ام رحت امر الحاذر جاوزها
بانفسنا خيرا لغنيمة انها توب رفيها ما دها وعتباوها

واغرتني بدر الملك بن شمسه يمين الدولة وامين الملة
لولا ان الهمه الله الاناة واشعره الحصاة فنفر ونفث واستشعر
اعطاف البلاغ بعقل مجرب ودرب لثار عليّ منه ذا بنه
لا ينبي ولا ينذر واستطارت عمائبه يبني عليها الشعر والبشر
ثم ان الله تعالى ياذن فضح الفاضح بما زوّره وكشف وجهه
وكوره واهواه فيما حفره وجهه بقوى ما اضمره وسحر
وجهه بنور الاشتعال وكشف عورته بمحول الرجال
وجعله عبرة للعابرين بشرح هذه الاحوال من فيرا
هذه الفصول فليحمد الله تعالى على السلامة من مثلها والبراءة
من فوادح الاوزار وفوادح المقاربها وليعلم ان الاساءة
تعقب على الايام عيبا تقيلا وعارا بيلا وخطبا جليلا
ولسانا كالحسام صقيلا ونسئل الله تعالى من نقص عمره
على زيادة الاثام ومساءة الانام وحيازة الملام ويرحم الله
عبدا قال امينا ه

تم كتاب اليميني في شرح اخبار السلطان يمين الدولة وامين الملة
ابي القسم محمود بن ناصر الدين سبكتكين ولي امير المؤمنين ومدح مقاماته
في عديده وانصاره وما يتصل بها من اخباره واخبار ولاة الاطراف
في جواره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

[illegible]